جمهورية السُّودان

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلّيَة الدّراسات العليا

كلّيَة أصول الدّين

قسم التّفسير وعلوم القرآن

القَنُّوْجي وآراؤه التَّفسيريَّة

على ضوء أقوال أئمَّة التفسير

من سورة "الذاريات الآية ٣١ إلى آخر سورة الناس"

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة الدكتوراه

في التفسير وعلوم القرآن

إعـــداد:

محمد مهدي علي الحمودي

إشراف فضيلة الدكتور:

صلاح عوض محمد إدريس

عميد كلية أصول الدين

العام الجامعي: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

جمهورية السُّودان

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلّيَة الدّراسات العليا

كلّيَة أصول الدّين

قسم التَّفسير وعلوم القرآن

القَنُّوْجي وآراؤه التَّفسيريَّة

على ضوء أقوال أئمَّة التفسير

من سورة "الذاريات الآية ٣١ إلى آخر سورة الناس"

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة الدكتوراه

في التفسير وعلوم القرآن

إعــداد:

محمد مهدي علي الحمودي

إشراف فضيلة الدكتور:

صلاح عوض محمد إدريس

عميد كلية أصول الدين

العام الجامعي: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

استهلال

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ
بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾

سورة فاطر، الآية [٣٢]

إهداء

أهدي هذا البحث إلى والدي ووالدتي الذين ربياني وكانا السبب في وجودي بعد الله تعالى.

إلى إخواني جميعا وعلى رأسهم أخي وأستاذي الأول أبي عبد العزيز عبد الله بن مهدي الحمودي.

إلى أولادي وزوجتاي، الذين صبروا عليَّ وتحملوا اعتكافي طيلة إعداد هذا البحث.

لكل محب وداعٍ لي بظهر الغيب، لكل متمنٍ لي الخير، من شيخٍ ناصح، وصديقٍ مساعد، لأمة القرآن وجيل القرآن ،،،

۞۞۞

شكر وعرفان

الحمدُ والثناء لمستحق الحمد وأهل الثناء، رب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

تصـــاعد أنفاســـي إليـــك جـــوابُ   وكـــل إشاراتـــى إلـــيك خطـــابُ
فليـــتك تحلـــو والحيـــاة مـــريرةٌ   وليـــتك ترضـــى والأنـــام غضـــابُ
وليـــت الـــذي بيـــني وبينـــك عـــامرٌ   وبـــيني وبيـــن العـــالمين خـــرابُ
إذا صـــح منـــك الـــود فالكـــل هيـــنٌ   وكـــل الـــذي فـــوق الـــتراب تـــرابُ(١)

وصلاة ربي على الحبيب المرتضى إمام الورى وسراج الدجى وعلى آله وصحبه مصابيح الدنا ،،،

وبعد:

فالشكر موصول لقلعة العلم العريقة جامعتنا العتيدة "جامعة أم درمان الإسلامية" كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن، على إتاحتها فرصة التعلم ومواصلة نيل "درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن".

وأخص بشكري شيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور **صلاح عوض محمد إدريس** عميد كلية أصول الدين، على توليه الإشراف على رسالتي هذه، وتقديمه النصح والتوجيه لي خاصةً ولطلاب العلم عامة؛ فجزاه الله خيرًا وبارك له في علمه وعمره، وأصل شكري ممتنًّا إلى صاحبي الفضيلة

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، ط٢، ت١٤١٤هـ ١٩٩٤م،ص٤٨.

الدكتور **محمد حسن محمد عبد الرحمن** رئيس قسم التفسير بجامعة أم درمان، والدكتور **الطيب محمود عبد القادر** نائب عميد كلية الدراسات العيا بجامعة القرآن الكريم، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة وتصويبها.

وشكري لكل من أعانني من شيوخي الفضلاء وزملائي الأحباء على تشجيعهم لي، وبذل النصح والإرشاد والدلالة على المصادر والمراجع.

لكل هؤلاء دعائي برحمة من الله تنالهم ومغفرة تشملهم، وبقبول الصالح من أعمالهم، وأن يديم لنا في الدنيا أخوتهم، وفي جنان الخلد يرزقنا مسامرتهم ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1].

(١) سورة الحجر، الآية [٤٧].

مستخلص البحث

من سعادة النفس البشرية أن تعيش مع كلام الله تعالى، الذي يخاطب به عباده، خطاب من يعلم صلاح النفس ومكنوناتها، العيش مع القرآن تلاوةً وحفظًا ومدارسةً من عظيم منن الله على عبده؛ إذ وفقه لدراسة كتابه، فيعيش مع الآيات، يعي تفسيرها، ويفقه أحكامها، ويدرك طرق العلماء الناظرين في كتاب الله تعالى وأساليبهم، فلكلٍّ أسلوبه وطريقته في تفسير كتاب الله تعالى، ومن هؤلاء صديق حسن خان القنوجي الذي كان له منهج وطريقة في تفسير كتاب الله تعالى، وهو ما وقفت عليه في رسالتي هذه "**القنوجي وآراؤه التفسيرية من سورة الذاريات الآية ٣١ حتى سورة الناس**"، وقد انتظم عقد هذه الرسالة حسب خطتها المقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية في: مقدمة وبابين وخاتمة.

أولاً: المقدمة، تحدثت فيها عن مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة في الموضوع، وحدود البحث.

ثانيًا: الباب الأول، صديق حسن خان القنوجي، وتفسيره فتح البيان وجعلته على فصلين، **الفصل الأول:** ذكرت فيه ترجمة صديق حسن خان القنوجي، اسمه، ونسبه، ولقبه، ومولده، ونشأته، ووفاته، وطلبه للعلم، وشيوخه، ومؤلفاته، وعصره السياسي والاجتماعي والديني، وجهوده الإصلاحية والاجتماعية، أما **الفصل الثاني:** فتحدثت فيه عن تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، من حيث: تأليفه، وكلام العلماء عن منهج مؤلفه، والدراسات السابقة عليه.

ثالثًا: الباب الثاني، صديق حسن خان القنوجي وآراؤه في تفسيره فتح البيان من سورة الذاريات حتى آخر سورة الناس، وجعلته على ستة فصول:

الفصل الأول: ذكرت فيه آراءه التفسيرية التي تتعلق في مسائل علوم القرآن، وفي **الفصل الثاني** بينت آراءه العقدية، أما **الفصل الثالث** فعقدته لبيان مذهبه الفقهي ثم ذكر آرائه الفقهية في بعض المسائل، وفي **الفصل الرابع** أبرزت آراءه الاجتماعية التي أشار إليها في تفسيره حيز الدراسة، وفي **الفصل الخامس** كانت آراؤه في بعض الآيات الكونية التي تحدث عنها في تفسيره حيز الدراسة، وختمت الباب **بالفصل السادس** والذي بينت فيه آراءه اللغوية.

رابعًا: الخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، وختمت ذلك بفهارس الآيات، ثم فهارس الأحاديث التي التزمت تخريجها وعزوها لكتب الحديث ومتونه، دون الآثار الموقوفة على الصحابة ومن دونهم من أئمة التفسير، ثم بفهارس الأعلام دون الصحابة، ثم فهرس المصادر والمراجع، وأخيرًا فهرس العناوين والموضوعات.

۞۞۞

abstract

It is happiness to the human soul that it lives with the Word of God Almighty, with which He addresses His servants. It is a speech from He Who knows the righteousness of the soul. Living with the Glorious Qur'an is one of the greatest favours of Allah upon His servant. He grants him the well-without to study and understand His Book, comprehend its concepts and laws, put its teachings into practice, and makes him understand the various approaches of scholars who treated and interpreted the Qur'an.

Each and every one of these scholars who treated and interpreted the meanings of the Qur'an has their peculiar methodology. Sadiq Hassan Khan al-Qanuji, as a scholar who treated and interpreted the meanings of the Qur'an, also had his peculiar approach and method in his interpretation. This is what I treated in this project entitled "al-Qanuji and his expository views from Surat-ul-Dhariyat to an-Nas", which was duly accepted as a thesis based on my proposal submitted to Omdurman Islamic University. The proposal is made up of an Introduction, two sections and a conclusion.

The introduction treated the research problem, importance of the subject, reasons for the choice, previous studies on the subject, and the research limitations.

Section One: This first section discussed Sadiq Hassan al-Qanuji and his exposition 'Fathul Bayan'. It is in two

chapters, the first has the biography of Sadiq Hassan treated in it. His name, lineage, birth and upbringing, his death, request for knowledge, his teachers, his literature works, his political, social and religious life and social reform efforts etc, were all discussed. Chapter two talked about his exposition "Tafsir fath-ul-bayan fi maqasid-il-Qur'an". It was discussed from the aspects of its authorship, views of scholars on the approach and previous studies about it.

Section Two: Sadiq Hassan Khan al-Qanuji and his expository views in his exegeses "Tafsir fath-ul-bayan fi maqasid-il-Qur'an" from Surat-ul-Dhariyat to an-Nas. I studied it in six chapters.

Chapter One discussed his explanatory views relating to issues in sciences of the Qur'an, and his opinions on matters of aqeedah were treated in Chapter Two. Chapter three was specified for explaining his fiqh (Islamic Jurisprudence) school of thought while discussing some of his views in fiqh matters. In Chapter Four, I presented his social views referred to in his exposition in the course of study. Chapter Five treated his views in some cosmic signs talked about in his interpretation. Chapter Six outlined his views on language.

Conclusion: In it I presented my findings and recommendations, and concluded with the lists of indexes.

المقدمة

١- مشكلة البحث.

٢- أهمية الموضوع.

٣- أسباب اختيار الموضوع.

٤- الدراسات السابقة.

٥- حدود البحث.

٦- خطة البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي نزَّل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على رسول الهدى ونور الدجى وعلى آله وصحبه ومن اقتفى ،،،

قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (١).

وبعد:

فقد اعتنى العلماء اعتناءً عظيمًا بتفسير القرآن الكريم، وكانت العناية بكتاب الله وما يتعلق به هي على رأس العلوم جميعًا، وعلم التفسير أعلاها شأنا، وأقواها برهانا، وأوثقها بنيانا؛ فإنه رأس العلوم وأساسها، وذلك لأن موضوعه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، لهذا اهتم العلماء بتفسيره وتجلية معانيه واستشفاء العلوم منه.

وقد كثرت الدراسات حوله على مرِّ العصور، وكل منهم أخذ جانبًا معيَّنًا منه، يقول الفخر الرازي(٢) رحمه الله في ذلك: "ومن تأمل في لطائف نظم السور وبديع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو –أيضًا–

(١) سورة الإسراء، الآية [١٠٦].

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ، كان عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها، ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بـ(مفاتيح الغيب)، (الأعلام لـ خير الدين الزركلي، ج ٦، ص٣١٣، ط١٥، دار العلم للملايين، ت٢٠٠٢م. وانظر: شذرات الذهب، لـ لابن العماد، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، ت١٤١٢هـ ١٩٩١م، ج٧، ص٤٠-٤١).

بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار "[1].

ولما كان العلم يشرف بشرف قائله، وكان القرآن الكريم أشرف العلوم على الإطلاق فهو كلام الله سبحانه وتعالى؛ اخترتُ هذا الموضوع في فنِّ تفسير القرآن الكريم؛ لأن هذا العلم يعين على فهم كلام الله سبحانه وتعالى وتفسير كلامه.

والقنوجي موضوع الدراسة ممن خاض في هذا الفن العظيم، وفي دراسة كتاب الله تعالى تفسيرًا ومعرفة، وقد اعتنى به عنايةً كبيرة، وهاهي هذه الدراسة تأخذ تفسيره بالدراسة والتمحيص والمقارنة حتى تخرج كنوزه وتبين للناس نور لآلئه التي غاص فاستخرجها، وجهد ليحصلها، فورَّث لنا سفرًا مباركًا في تفسير كلام الله تعالى، وسمَّاه: **فتح البيان في مقاصد القرآن**.

مشكلة البحث:

دراسة تفسير "**فتح البيان في مقاصد القرآن**" من سورة الذاريات الآية ٣١ إلى آخر سورة الناس، دراسةً لأقواله واختياراته على ضوء أقوال أئمة التفسير.

أهمية الموضوع:

إن أهمية أي موضوع، تنبع من الموضوع الذي يُبحث فيه، وهذا العلم علمٌ عظيمٌ به يرسخ الإيمان، ويتمكن من القلب، ومن تأمل هذا العلم وجد كثيرًا من

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار الفكر بيروت، ط١، ت١٤٠١٩هـ١٩٨١م، ج٧، ص١٣٩.

لطائف القرآن مودعةً في الترتيبات بين الآيات والسور، وبه ومن خلاله تظهر وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ومع التأمل فيه يطمئن القلب، وهذا العلم يفيد في معرفة أسرار التشريع، وبيان مدى الارتباط بين جُمل القرآن الكريم، ويعين على فهمها ومراد الله منها، وتبرز أهمية الموضوع في:

أولاً: صاحب هذا التفسير من رموز العلماء الأعلام، ملم بالعلوم، معدود من كبار الحفاظ والمفسرين، فهو من تصدر للتدريس والإفتاء، وله الباع الطويل والمعرفة الوافرة بعلم التفسير والتأويل والفقه والسيرة والتاريخ، ذاع صيته في بلاد الهند، ووصل نور علمه الى الجزيرة العربية ومنها انتشر ليبلغ الأقطار، وهو من بلغت مؤلفاته مائتين واثنين عشرين مؤلفًا منها ما هو بالعربية ومنها ما هو بالفارسية.

ثانيًا: تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن يعد مصدراً من مصادر تفسير القرآن الكريم، يستحق الوقوف عنده ودراسة معانيه وإظهار لآلئه.

ثالثًا: إبراز هذا الجهد المبارك الذي قام به هذا الإمام تجاه كتاب الله تعالى وإظهار ذلك للناس.

رابعًا: أهمية دراسة أقواله واختياراته، ومقارنتها بأقوال الأئمة الآخرين.

خامسًا: خدمة الباحثين والدارسين لعلم التفسير في إبراز هذا التفسير الجليل وتيسير الوصول لمعرفة اختياراته ومسائله ومقارنتها بأقوال أهل العلم الآخرين.

أسباب اختيار الموضوع:

كان هذا هو مشروع جامعة أم درمان الإسلامية تم توزيعه على طلابها المتقدمين للدراسات العليا، نالني منه شرف البحث في الأربعة الأجزاء الأخيرة.

الدراسات السابقة:

هذا البحث جزء من مشروع تقوم به جامعة أم درومان الإسلامية من خلال توزيعه على عدد من طلابها المتقدمين للدراسات العليا، وهناك بعض الدراسات تناولت بعض جوانب تفسير صديق حسن خان، تأتي الإشارة إليها في مبحث تفسير فتح البيان، لكني لم أجد دراسة خصت جزءًا من تفسير صديق حسن خان القنوجي كما هي هذه الدراسة.

حدود البحث:

ينصب هذا البحث حول فتح البيان في مقاصد القرآن من سورة الذاريات الآية ٣١ إلى سورة الناس، دراسةً مقارنةً لآرائه: التفسيرية، والعقدية والفقهية والاجتماعية والكونية واللغوية، تتقدمها ترجمة عن الإمام صديق حسن خان ، وتفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن.

منهجي في البحث:

بعد الاستقرار على الموضوع وإرسال الخطة وإقرارها، كان منهجي في البحث على النحو الآتي:

١- قمت بقراءة تفسير الأجزاء الأربعة من تفسير فتح البيان والتي وقعت في مجلدين ونصف فيما يقرب من ألف ومأتين صفحة، وصنَّفت مسائله على الأبواب والفصول.

٢- قارنت آراء القنوجي بآراء عدد من أئمة التفسير المتقدمين والمعاصرين وبيَّنت من وافقه ومن خالفه وذكرت الراجح من وجهة نظري كباحث.

٣- اكتفيت بتخريج الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ دون الآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين.

٤- ترجمت للأعلام من غير الصحابة لشهرتهم.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وبابين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: تحدثت فيها عن مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة على تفسير فتح البيان، وحدود البحث، وخطته.

الباب الأول: صديق حسن خان القنوجي، وتفسيره فتح البيان، وجعلته على فصلين.

الفصل الأول: التعريف بالإمام القنوجي وعصره، وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ولقبه.

المبحث الثاني: مولده، ونشأته، ووفاته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: مؤلفاته.

المبحث السادس: عصره السياسي والاجتماعي والديني.

المبحث السابع: جهوده الإصلاحية والاجتماعية.

الفصل الثاني: التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن وبيان منهجه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تأليفه، وكلام العلماء عنه.

المبحث الثاني: منهجه في تفسيره فتح البيان.

المبحث الثالث: الدراسات على تفسير فتح البيان.

الباب الثاني: صديق حسن خان القنوجي وآراؤه التفسيرية على ضوء أقوال أئمة التفسير من سورة الذاريات الآية ٣١ إلى آخر سورة الناس، وفيه ستة فصول.

الفصل الأول: آراؤه التفسيرية في علوم القرآن وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: آراؤه في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: آراؤه في أسباب النزول.

المبحث الثالث: آراؤه في الزوائد في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: آراؤه في التفسير الفلسفي.

المبحث الخامس: آراؤه في القراءات القرآنية.

المبحث السادس: آراؤه في الإسرائيليات.

المبحث السابع: آراؤه في المكي والمدني.

الفصل الثاني: آراؤه العقدية وفيه ثمانية مباحث.

المبحث الأول: آراؤه في آيات الصفات.

المبحث الثاني: آراؤه في القدر.

المبحث الثالث: آراؤه في خلق أفعال العباد.

المبحث الرابع: عقيدته في أصحاب رسول الله ﷺ.

المبحث الخامس: آراؤه في رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.

المبحث السادس: آراؤه في تعريف الإيمان.

المبحث السابع: آراؤه في مرتكب الكبيرة من الموحدين.

المبحث الثامن: آراؤه في الجنة والنار.

الفصل الثالث: آراؤه الفقهية، وفيه مبحثان.

المطلب الثالث: حقيقة إصابة السحر للنبي ﷺ.

الفصل الخامس: آراؤه في الآيات الكونية، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: كروية الأرض.

المبحث الثاني: البرزخ الحاجز بين البحار.

المبحث الثالث: تكون الأمطار.

الفصل السادس: آراؤه اللغوية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منزلته في اللغة العربية.

المبحث الثاني: شعره العربي.

المبحث الثالث: آراؤه في تناوب الحروف.

الخاتمة: وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج والتوصيات.

ثانياً: الفهارس، وهي:-

١- فهارس الآيات.

٢-فهارس الأحاديث.

٣-فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤-المصادر والمراجع.

٥-فهارس العناوين والموضوعات.

۞۞۞

الباب الأول:
صديق حسن خان القنوجي
وتفسيره فتح البيان

وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بالإمام القنوجي ونشاطه العلمي.

الفصل الثاني: التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن وبيان منهجه.

الفصل الأول:

التعريف بالإمام القنوجي ونشاطه العلمي.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ولقبه.

المبحث الثاني: مولده، ونشأته، ووفاته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: مؤلفاته.

المبحث السادس: عصره السياسي والاجتماعي والديني.

المبحث السابع: جهوده الإصلاحية والاجتماعية.

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه

اسمه: هو أبو الطيب محمد صديق بن أولاد حسن بن أولاد لطف الله ابن عبد العزيز بن لطف الله بن عبد العزيز بن لطف علي بن علي أصغر بن كبير ابن تاج الدين بن جلال رابع بن راجو شهيد بن جلال ثالث بن ركن الدين أبو الفتح ابن حامد كبير بن ناصر الدين محمود بن جلال الدين قطب عالم بن أحمد كبير ابن جلال أعظم بن علي مؤيد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن علي أشقر بن جعفر بن ذكي بن علي تقي بن محمد تقي بن إمام علي رضا ابن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١).

نسبه: بهذه السلسلة عُلم أن نسب هذا الإمام يصل الى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا، ولأجل هذا النسب قيل له الحسيني نسبة إلى الحسين رضي الله عنه.

أما البخاري فهو نسبة الى بلدة بخارى(٢) التي استقرت بها أسرته بعد هجرتهم من البلاد العربية.

والقَنُّوجي: بفتح القاف وتشديد النون وتسكين الواو، نسبة إلى بلدة قَنُّوْج(٣) وهي موطن آبائه.

---

(١) نواب صديق حسن خان، لـ د رضية حامد، بهوبال (بالأردية)، ط١، ت١٩٨٤م، ص٥٤.

(٢) بخارى بالضم، كانت قاعدة ملك السامانية، وتقع اليوم في أوزبكستان، وتعد خامس أكبر مدن أوزبكستان.(معجم البلدان، لـ شهاب الدين ياقوت الحمودي، دار صادر، ط١، ت١٤٧٧هـ ١٩٧٧م، ج١، ص٣٥٣)

(٣) قنوج بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره جيم موضع في بلاد الهند، وتقع اليوم في الولاية الهندية أتر برديش، وهي بلدية مقاطعة قِنَوْج.(معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٩).

لقبه: له ألقاب تدل على التشريف منها: خان ونواب والأمير الملك والأجاه وبهادر، وهي ألقاب رسمية تدل على المكانة العالية والمقام الرفيع.

المبحث الثاني: مولده ونشأته ووفاته

مولده: ولد ﷺ يوم الأحد التاسع عشر (وقيل الحادي عشر) من شهر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومأتيين وألف من الهجرة (١٩/٥/١٢٤٨هـ) الموافق الرابع عشر من أكتوبر عام اثنين وثلاثين وثمان مائة وألف من الميلاد (١٤/١٠/١٨٨٢م)، ولد ببلدة (بانس بريلي)، وهي موطن أجداده لأمه[1].

نشأته: ينحدر صديق خان القنوجي من أسرة كريمة وسلالة شريفة، قدم أجداده من الجزيرة العربية، واستقرت بالملتان عن طريق بخارى، ثم نزحت الى دلهي عاصمة الهند، ثم استقرت أخيرًا في بلدة قنُّوج بشمال الهند، وانتقل بعض منهم الى حيدر أباد بجنوب الهند، ومنهم جد الإمام صديق حسن خان، والمسمى بأولاد علي، والذي شغل منصبًا بالجيش هناك، توفي سنة ١٨٠٣م[2].

وهذه الأسرة المنحدرة من سلالة النبوة أدركها ما أدرك الأمة من البدع والفرق الضالة، فتشيع بعض أجداده الأوائل، فكانوا اثني عشرية، وهي فرقة ضالة من فرق الشيعة، لكن عناية الله أدركت والد هذا الإمام، والذي يسمى بأولاد حسن الذي استقر مقامه ببلدة قنُّوج فرجع الى دين الإسلام الصافي دين أهل السنة والجماعة.

وقد كان لهذا الأب قدم في العلم راسخة، أخذ العلم عن علماء بلده، ومن علماء لكنو ودلهي[3] وهي عاصمة العلم آنذاك، وتتلمذ على أبناء الشيخ الإمام ولي

---

(١) أبجد العلوم، لـ صديق حسن خان، منشورات دار الثقافة والإرشاد القومي دمشق- دار الكتب العلمية، ط١ ت١٣٠٧هـ، ١٨٨٩م، ج٣، ص٢٧١.

(٢) انظر: أبجد العلوم، ج٣، ص٢٧١-٢٧٤. والإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لـ عبد الحي الحسني، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج٨، ص١٢٤٧.

(٣) لكنو هي عاصمة ولاية أوتار براديش الهندية، دلهي هي ثاني أكبر مدينة هندية بعد مومباي .(ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية)

الله الدهلوي[١] رحمه الله، وصحب الإمام المجاهد الشهيد أحمد بن عرفان[٢] رحمه الله، وبايعه على الجهاد، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ومحاربة البدع.

توفي سنة ١٢٥٣هـ، خلَّف مؤلفات كثيرة بالعربية والأردية، خلف ولدين هما أحمد حسن العرشي[٣]، والسيد صديق حسن خان، وهو صاحب الدراسة[٤].

السيد صديق حسن خان، نشأ في بيت صلاح وهدى، كانت له أم فاضلة، مما يدل على صلاحها واهتمامها بتنشئة ولدها صديق قوله عنها: كنت في السابعة من عمري، وكان المسجد قريبا من بيتي، حينما يؤذن لصلاة الفجر، وأنا في سبات عميق وهادئ، كانت أمي رحمها الله توقظني وتوضئني، وتبعثني إلى المسجد ولا تتركني أصلي في البيت، وإن لم أقم من نومي ترش الماء على وجهي[٥].

---

(١) أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله: فقيه حنفي من المحدثين، من أهل دلهي بالهند ولد سنة ١١١٠هـ، قال صاحب فهرس الفهارس: أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار، كانت وفاته سنة ١١٧٦هـ، من كتبه: الفوز الكبير في أصول التفسير، وفتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير، وحجة الله البالغة، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفا. (الأعلام للزركلي، ج١، ص١٤٩، وانظر: الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٨، ص٨٥٨).

(٢) السيد أحمد بن محمد عرفان، ولد في صفر سنة ١٢٠١ هجري الموافق سبتمبر ١٧٨٦ ميلادي في قرية من قرى "راي بريلي"، ارتقى إلى العلا شهيداً بعد حياة حافلة بالجهاد والنضال والدعوة والتربية في موقعة (بلاكوت) بين المسلمين وبين السيخ وذلك يوم ٢٤ من ذي القعدة ١٢٤٦هـ– ١٨٣١م. (ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان لأبي الحسن الندوي، مجمع الإمام أحمد بن عرفان، ط٢، ت١٤٢٠هـ).

(٣) السيد العلامة ابو أحمد الأديب النحوي الملقب بالعرشي، توفي بطريقه الى مكة سنة ١٢٧٧هـ. (التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص٢٨٥، لـ صديق حسن خان، وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).

(٤) انظر: أبجد العلوم، ج٣، ص٢٧١-٢٧٤، والتاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، لـ صديق حسن خان، وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٢٨هـ٢٠٠٧م، ص٢٨٤.

(٥) مجلة الأمة (القطرية) العدد [٣٧].

فَقَد صديق حسن خان أباه في سن الخامسة من عمره، فتولت أمه تربيته وتنشئته على منوال أهل الصلاح والتقى.

وسيأتي معنا في مبحث طلبه للعلم ما يجلي هذه النشأة ويكشف الستر عن نور عبقها المضيئ.

وفاته: أصابه داء الاستسقاء[١] وما زال به، حتى جاءه رسول ربه، فجعل يقول أحب لقاء ربي، كررها مرارًا، وطلب الماء، ثم فاضت روحه الى بارئها.

كان ذلك في ليلة التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧هـ، وله من العمر تسع وخمسون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام.

شيعت جنازته بجمع حاشد، وصلي عليه ثلاث مرات، ودفن وفق السنة المطهرة، ببلدة قنوج[٢].

❁❁❁

(١) مرض من أمراض الكبد، وقد يصيب الطحال بالتورم والكلى والرئة والمعدة.

(٢) جلاء العينين لمحاكمة الأحمدين، لـ نعمان الألوسي، المكتبة العصرية، ط١، ص٥٩.

المبحث الثالث: طلبه للعلم

لقد أثرت تلك التنشئة المباركة لصديق حسن القنوجي مما جعلته يتوجه للعلم وأخذه من أفواه المعلمين، فقرأ القرآن على معلمي بلدته قنوج، والمختصرات من فنون شتى على جماعة من أعيان نواحيها، وقرأ مختصر المعاني على أخيه الأكبر أحمد بن حسن العرشي، ثم ارتحل إلى مدينة دلهي، فلقي فيها جماعة من العلماء فقرأ عليهم سائر الفنون من النقليات والعقليات، وفنون اللغة العربية، وكان أبرز من أخذ عنه في دلهي الشيخ المفتي محمد صدر الدين خان صدر الصدور(١)، وهو من طلاب أبناء المسند العلامة ولي الله الدهلوي، فأجازه إجازة عامة في سائر العلوم(٢).

ثم عاد بعدها إلى بلده قنوج، ومنها ارتحل الى بهوبال، والتقى فيها بعلمائها، كان منهم الشيخ القاضي حسين بن محسن السبيعي(٣)، وهو من تلامذة الشيخ محمد ناصر الحازمي الشريف(٤) تلميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني(٥).

---

(١) الشيخ العالم الكبير العلامة المفتي صدر الدين بن لطف الله الكشميري الدهلوي، ولد بدلهي سنة ١٢٠٤هـ، من مصنفاته منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال، توفي بدلهي سنة ١٢٨٥هـ. (الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٨، ص٩٩٢).

(٢) انظر: التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص٥٣٥-٥٣٦، وأبجد العلوم، ج٣، ص٢٧١.

(٣) حسين بن محسن بن محمد الأنصاري السعدي الخزرجي اليماني ولد سنة ١٢٢٥هـ، من المشتغلين بالحديث، من أهل الحديدة، رحل إلى الهند، فصحب محمد صديق حسن خان، وتردد بين الهند واليمن يجلب نفائس المخطوطات، توفي في بومبي سنة ١٣٢٧هـ، من كتبه: التحفة المرضية في حل بعض المشكلات الحديثية، (الأعلام، للزركلي ج٢، ص ٢٥٣، وانظر: الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٨، ص١٢١٢)

(٤) محمد بن ناصر الحازمي الحسنى التهامى الضمدى، المحدث اليمانى، من أهل ضمد، له رسالة مخطوطة في (إثبات الصفات، ورسالة في مشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد توفي سنة ١٢٨٣هـ)، (الأعلام، للزركلي ج٧، ص ١٢٢-. وانظر: نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، لـ محمد زبارة، المكتبة السلفية، ط١، ت١٣٥٠هـ، ج٢، ص٣٢٢).

(٥) القاضي محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، صاحب المؤلفات الشهيرة في التفسير والحديث والفقه، منها: فتح القدير في التفسير، ونيل الأوطار، وغيرها كثير، ولد بهجرة شوكان باليمن سنة ١١٧٣هـ، وتوفي بصنعاء عام =

وقد رزقه الله همة عالية في المطالعة والكتابة، ورزقه مقدرة عالية من سرعة الحفظ، طالع بفرط شوقه وصحيح ذوقه كتبًا كثيرة ودواوين شتى في العلوم المتعددة والفنون المتنوعة، ومر عليها مرورًا بالغًا على اختلاف أنحائها، وأتي عليها بصميم همته وعظيم نهمته بأكمل ما يكون حتى حصل منها على فوائد كثيرة، أغنته عن الاستفادة من أبناء الزمان، وأقنعته عن مذاكرة فضلاء البلدان.

وجمع بعونه تعالى وحسن توفيقه ولطف تيسيره من نفائس العلوم والكتب ومواد التفسير والحديث وأسبابها ما يعسر عده ويطول حده[1].

۞۞۞

١٢٥٠هـ .(الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٩٨. وانظر: نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر،ج٢، ص٢٩٧-٢٩٨.)

(١) التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص٥٣٥-٥٣٦، وأبجد العلوم، ج٣، ص٢٧١.

المبحث الرابع: شيوخه

كثرة علومه وتنقلاته تدل على كثرة من لقيهم واستفاد منهم، ولعلي أن أذكر بعضًا من شيوخه الذين ذكرهم وأشار إليهم في مؤلفاته:

١- أخوه الأكبر السيد أحمد بن حسن العرشي، قرأ عليه ببلده قنُّوج مختصر المعاني.

٢- الشيخ المفتي محمد صدر الدين خان صدر الصدور، وهو من طلاب أبناء المسند العلامة ولي الله الدهلوي، أجازه إجازة عامة في سائر العلوم.

٣- الشيخ القاضي حسين بن محسن السبيعي، وهو من تلامذة الشيخ محمد بن ناصر الحازمي الشريف، وهو من تلامذة الإمام المجتهد محمد بن علي الشوكاني.

٤- الشيخ المعمر عبد الحق الهندي، وهو كذلك من تلامذة الإمام الشوكاني.

٥- الشيخ محمد يعقوب الدهلوي، أخو الشيخ محمد إسحاق، وهما أبناء الشيخ العلامة المفسر عبد العزيز الدهلوي، ابن الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي[1].

❁❁❁

(١) أبجد العلوم، ج٣، ص٢٧١-٢٧٢.

المبحث الخامس: مؤلفاته

لقد من الله على صديق حسن خان القنوجي بجودة الخط وسرعة الكتابة، مع سعة العلم والتبحر في فنونه، مما مكنه من كثرة التأليف.

يقول عنه أبو الحسن الندوي[(١)]: ولقد نبغ في الهند في القرن الرابع عشر الهجري مؤلفون فاقوا في العالم الإسلامي كله، في سرعة التأليف، وكثرة المؤلفات، وضخامة الإنتاج، وكان كل واحد منهم مجمعًا علميًا نشيطًا، وقد قام بعضهم شخصيًا بما لا يقوم به مجاميع علمية في أكثر الأحيان.

فالأمير صديق حسن بن أولاد حسن القنوجي، أمير بهوبال، يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتين (٢٢٢) منها ستة وخمسون مؤلفًا باللغة العربية، ومنها كتب كبار ذات قيمة علمية، منها، فتح البيان في تفسير القرآن، وأبجد العلوم، والتاج المكلل، والبلغة في أصول اللغة، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق[(٢)].

وقال هو عن مؤلفاته: "وكنت كثير الاشتغال بمطالعة الكتب، وكتابة الصحف، من أيام كوني في المكتب ... وألفت في زمان الطلب رسائل ومسائل،

(١) علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي ، ولد بقرية «تكية» بمديرية «راي بريلي» في الولاية الشمالية بالهند في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م أسس حركة رسالة الإنسانية عام ١٩٥١م، والمجمع الإسلامي العلمي عام ١٩٥٩م، في لكنو بالهند، دعا إلى تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واختير أول رئيس لها عام ١٩٨٦م، كان عضوًا في كثير من الهيئات والمؤسسات الدعوية العلمية والعالمية منها: رابطة العالم الإسلامي والمجلس الأعلى للدعوة الإسلامية في القاهرة- رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ترك ثروة علمية كبيرة من المؤلفات الدعوية والفكرية والأدبية قارب ثلاثمائة عنوان باللغة العربية، ومن أهمها: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، إذا هبت ريح الإيمان، توفي يوم الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩م.(موقع رابطة الأدب الإسلامي العالمية (http://www.adabislami.org

(٢) المسلمون في الهند، لـ أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، ط١، ت١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ص٥٣-٥٤.

وحررت تراجم كثيرة لكتب الدين باللسانيين .. وبلغت الى حال تحرير هذا الكتاب تسعة وخمسين مؤلفًا ما بين مطول منها ومختصر عربيًا وفارسيًا .. وقد سارت بها الركبان في حياتي إلى أقصى المدائن والبلاد"[1].

وهذا ذكر بعض مؤلفاته، التي هي باللغة العربية، وضعت مع كل مؤلَّف المطبعة التي قامت بطباعته، والتي لم أجد مكان طباعته تركته خاليًا:

١- **أبجد العلوم**، دار الكتب العلمية.

٢- **الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة**، تحقيق: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير.

٣- **أربعون حديثًا في فضائل الحج والعمرة**، تحقيق: محمد خير يوسف، دار الوطن.

٤- **أربعون حديثًا متواترة.**

٥- **الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد**، مطبعة الجوائب، بتركيا سنة ١٢٩٦هـ.

٦- **إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة**، المطبعة الصديقية في بهوبال ١٢٩٤هـ.

٧- **الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح**، تحقيق: سعيد مشاشة، دار بن حزم.

٨- **البلغة في أصول اللغة**، تحقيق: نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية.

٩- **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، وزارة الأوقاف القطرية.

---

(١) التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص ٥٣٦-٥٣٧ .

١٠- **تخريج الوصايا من خبايا الزوايا**، مؤسسة الكتب العلمية.

١١- **الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة في اتباع السنة.**

١٢- **الحرز المكنون من لفظ النبي المعصوم المأمون.**

١٣- **حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة**، تحقيق: مصطفى الخن، ومحيي الدين مستو، مؤسسة الرسالة.

١٤- **حصول المأمول من علم الأصول**، مطبعة الجوائب بتركيا، سنة ١٢٩٦هـ.

١٥- **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، تحقيق: الشيخ يحي الحجوري، طبع دار الآثار، بصنعاء.

١٦- **خبيئة الأكوان في افتراق الأمة على المذاهب والأديان**، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م.

١٧- **الدين الخالص**، طبع وزارة الأوقاف القطرية سنة ٢٠١٢م.

١٨- **ذخر المحتي من آداب المفتي**، تحقيق: أبي عبد الرحمن الباتني، دار ابن حزم.

١٩- **رحلة الصديق إلى البيت العتيق**، وزارة الأوقاف القطرية.

٢٠- **الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة**، مطبعة الفاروقيه، دلهي سنه ١٣٠٠هـ.

٢١- **الروضة الندية شرح الدرر البهية**، طبع دار المعرفة.

٢٢- **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**، وزارة الأوقاف القطرية.

٢٣- **الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأولى**، تحقيق: سعيد معشاشة، دار ابن حزم.

٢٤- **طلب الأدب من أدب الطلب.**

٢٥- **ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي**، المطبع الصديقي، بهوبال ١٢٩٤هـ.

٢٦- **العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، قدم كرسالة ماجستير في جامعة غزة، وطبع بدار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٨٨م.

٢٧- **العلم الخفاق من علم الاشتقاق**، تحقيق: أحمد عبد الفتاح، مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٨- **عون الباري بحل أدلة البخاري**، وزارة الأوقاف القطرية.

٢٩- **غصن البان المورق بمحسنات البيان**، تحقيق: سمير حسين حلبي وأحمد عبد الفتاح تمام، دار الكتب العلمية.

٣٠- **الغنة ببشارة أهل الجنة**، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية.

٣١- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: الشيخ عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية بمصر سنة ١٩٩٢م.

٣٢- **فتح العلام شرح بلوغ المرام**، تحقيق: محمد بن علي الإبي، مؤسسة الرسالة.

٣٣- **قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل.**

٣٤- **قضاء الأرب في تحقيق مسألة النسب.**

٣٥- **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، تحقيق: د/ عاصم بن عبد الله القريوتي، وكالة المطبوعات والنشر السعودية.

٣٦- **لف القماط** على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط، المطبع البوهوبال ١٢٩٦هـ.

٣٧- **لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان**، دار الكتب العلمية.

٣٨- **مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام.**

٣٩- **الموائد العوائد من عيون الأخبار والفوائد**، المطبع الصديقي، بهوبال، ١٢٩٨هـ.

٤٠- **الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة**، طبع وزارة الأوقاف القطرية.

٤١- **نشوة السكران** من صهباء تذكار الغزلان في ذكر أنواع العشق وأحوال العشاق والعشيقات من النسوان وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمان، مطبعة الجوائب بتركيا ١٢٩٦هـ.

٤٢- **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد المزيدي، دار الكتب العلمية.

٤٣- **يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار**، تحقيق: إياد القيسي، دار ابن حزم[١].

۞۞۞

(١) ذكر مؤلفاته في كتابه أبجد العلوم، ج٣، ص٢٧٥-٢٧٩.

المبحث السادس:

عصره السياسي والاجتماعي والديني

أولا: عصره السياسي:

بدأ دخول الإسلام الى الهند في عصر الخلفاء الراشدين، فالتاريخ يذكر أن الفاتحين العرب قد وصلوا إلى أطراف السند[1] في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي أواخر القرن ٩٥هـ فتح المسلمون في عصر الخلافة الأموية بلاد السند بأكملها.

ثم تتابعت الفتوحات على يد الغزنويين[2]، ثم الأتراك، ثم المغول[3].

وخضعت القارة الهندية لحكم الإسلام، الذي رحب به الهنود وأقبلوا على عدالته التي لا تفرِّق تلك التفرقة الوثنية الهندوكية.

نعمت الهند بحكم المسلمين، حتى ابتليت بالاستعمار البريطاني سنة ١٧٨٧م، بعدما ضَعُف الحكام المسلمون، وتفرقوا في دويلات صغيرة[4].

لقد ابتلي عالمنا وإمامنا القنوجي بأن عاش هذه الفترة المؤلمة التي يموت القلب لها كمدًا، وهو يرى أمة الإسلام ونجمها في أفول.

---

(١) السند اسم لنهر وهو أطول وأهم نهر في باكستان وشبه القارة الهندية، ويقصد ببلاد السند اليوم باكستان وشمال الهند.

(٢) الغزنويون: أصحابُ الدولة الغزنويه والتي أخذت اسمَها من عاصمتهم غزنه التي تقع الآن في أراضي دولة أفغانستان الحالية، مؤسس دولتهم هو القائد التركي سُبُكتكين.(الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢٢٠)

(٣) هي نتاج توحيد قبائل المغول والترك، وسميت مغولية نسبة لبلد المنشأ منغوليا، مؤسسهم الأول تيموجين (جنكيز خان) الذي أعلن حاكما لها عام ١٢٠٦م. (دولة المغول والتتار لـ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الأندلس الجديدة، ط١، ١٤٣٠ات هـ - ٢٠٠٩)

(٤) انظر: بلاد الهند في العهد الإسلامي، لـ عصام الدين الفقي، عالم الكتب، ط١، ت١٩٨٠م، ص٩-١٢، وتاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، لـ احمد الساداتي، مكتبة الآداب، ط١، ص٢٤٥-٢٤٨.

وقد تولى مناصب سياسية، وحاول خلالها بسط سيطرة شعائر الإسلام من جديد، إلا أن الاستعمار البريطاني عمل على بث الشائعات ضده، ثم عزله عن مناصبه تلك، وأعاد إليه تلك المناصب قبل وفاته بقليل.

وسيأتي معنا في حياته الاجتماعية مزيد بيان هذه الأمور بتفصيل، والذي أردنا قوله عن الحالة السياسة في عصر القنوجي، أنه عصر استعمار من الخارج، وتفرق وشتات من الداخل، فلا حول ولا قوة إلا بالله[1].

۞۞۞

(١) انظر: بلاد الهند في العهد الإسلامي، ص ٩-١٢، وتاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص٢٤٥-٢٤٨.

ثانيا: **عصره الاجتماعي**:

ولغلبة السياسة على الناس، فقد تأثرت حياتهم الاجتماعية، تأثرًا بالغًا، ولعلي أن أترك إمامنا القنوجي وهو يعبر عن عصره الاجتماعي بنفسه، حيث يقول: "وبرزت في أناس من الأوغاد والسفهاء، وولدت في عصر طغى فيه أهل البدع على أهل الاتباع، وخفي فيه أصحاب الفضل والكمال، ومن كان منهم نادرًا فله الصداع، وجئت في دهر غلب على أهله حب المال على الكمال، وفاق شره على خيره بلا احتيال، وطمس فيه أعلام الدولة الإسلامية، وظهر فيه رايات الفرق الكفرية، وكل حين يزداد ذلك قوة ورفعة، ويندرس معه الإسلام وأهله"[١].

وفي ظل ضعف المسلمين فقد عاد للهندوس[٢] والسيخ[٣] كلمتهم في ظل الدعم الكبير من حكومة الاستعمار البريطاني، وسلمت لهم بعض الولايات والمناصب، وحورب المسلمون في ذلك كله.

وخالطهم المسلمون وتعايشوا معهم، وجرَّت هذه المعايشة على المسلمين وبالا، كما أن تلك المعايشة الطويلة من قبل المسلمين للفئات الهندية من غير المسلمين من الهندوس، والسيخ وغيرهم من ذوي الديانات الضالة والأعراف والأنظمة الجاهلية الخاصة بهم، أثرت فيهم تأثيرًا كبيرا، فانتقلت إليهم بقايا الجاهلية، من عادات المواطنين الهنود غير المسلمين، وظهر فيهم التمييز بين الطبقات، واحتقار بعض

(١) التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص٥٤٣.

(٢) الديانة الهندوسية مزيج من الفلسفة الهندية والديانتين اليهودية والمسيحية، تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والأبقار. (الموسوعة الميسرة في المذاهب والأفكار المعاصرة، لـ مانع الجهني، دار الندوة، ط٤، ت١٤٢٠هـ، ج٢، ص٧٢٤).

(٣) جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين داعين إلى دين جديد زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار "لا هندوس ولا مسلمون، وكلمة سيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع.(الموسوعة الميسرة ج٢، ص٧٦٤).

الصناعات، والتفاخر بالأنساب، وتنزه أبناء البيوت الشريفة عن مخالطة ومؤاكلة أصحاب الحرف الوضيعة، ويرون في ذلك عارًا وغضاضة[1].

❁❁❁

(١) انظر: إذا هبت ريح الإيمان، لـ أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، ط١، ت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ص٢١٠.

ثالثا: **عصره الديني**:

لم يكن السوء في العصر السياسي والاجتماعي إلا نتاجًا طبيعيًّا للضعف الديني الذي اعترى الأمة، والمسلمون في الهند جزء من هذه الأمة، إلا أن المسلمين في الهند يختلفون عن بعض بلاد المسلمين ببعض الأمور، من أهمها:

١- مع أن الإسلام قد وصل الهند في عصور الخلافة الإسلامية أيام الفاروق ﵁ ودخوله بلاد السند في عصر الأمويين، إلا أن الخلاف في مركز الخلافة أوقف التوسع في فتح الهند، وهو كذلك لم يتوسع في عصر الخلافة العباسية، إنما حصل التوسع في عصر الأتراك، ثم في عصر الغزنويين، وهذا يعتبر دخولاً متأخرًا عن القرون الفاضلة كما هو الحال في بعض البلاد.

٢- لقد دخل على الأمة بلاء المنطق والفلسفة من كتب اليونان التي ترجمت إلى العربية وانتشر من تشرب تلك العلوم في الأقطار، ومن أولئك المتشربين لهذه العلوم البعيدين عن علم الكتاب والسنة، من دخل الهند وبث فكره وأفكاره فيها، وبالأخص أولئك الذين قدموا من إيران وهم يحملون عقيدة الرفض والفلسفة والبعد التام عن علوم القرآن والسنة.

٣- مع تباعد الأمة عن القرون المفضلة فقد داخلها الخلل في المعتقد وظهرت البدع والفرق الضالة، وهو ما حمله بعض الفاتحين المتأخرين، ومنهم الفاتحون المتوجهون للهند، فقد تأثر بعضهم بالفرق الصوفية المغالية، وبعضهم بفرق الشيعة، وبعض الفرق كانت الساعد الأقوى للاستعمار البريطاني الذي غزا الهند.

ويحسن بنا أن نذكر بعضًا من تلك الفرق ليعلم القارئ الكريم مدى الانحطاط الديني الذي حصل أن عايشه القنوجي ﵀.

١-الصوفية.

لم تكن دعوة هؤلاء العلماء الصوفية القاصرة عن استيعاب الإسلام الصحيح كافية لأن تعمق في نفوس هؤلاء المسلمين الجدد الإسلام الحق، وأن تخلصهم من عقائدهم الشركية، وعاداتهم وتقاليدهم الباطلة التي ورثوها عن أديانهم السابقة، ولم يفعل هؤلاء المسلمون الجدد من الهندوس بعد إسلامهم شيئًا إلا تغيير أسماء آلهتهم القديمة وإحلال آلهة جديدة من أولياء الله مكانها، فقد تركوا الهندوسية لكنهم لم يتخلوا عنها من الناحية المعنوية، حيث عجنت طينة هذه الديانة بالشرك والوثنية، وجريا فيها مجرى الدم، وكانت أكبر ممثل في القرون الأخيرة للوثنية والمحافظة الأمينة على الجاهلية القديمة[(١)].

حتى إن كثيرًا من مسلمي الهند قد تأثر بالفلسفة الصوفية، فلونت التوحيد الإسلامي بشيء من الصوفية الدينية المشتقة من مذهب وحدة الوجود في الدين البراهمي"[(٢)].

ويشهد لهذا الكلام، تلك المصنفات الكثيرة في الهند عن الصوفية، بأنواع فرقهم ومذاهبهم الباطلة.

وبالطبع فهم يتحدثون عن الصوفية الحلولية والقبورية، وليس عن المتصوفة أصحاب الزهديات التي نشأت في بداياتها، والتي ينسب إليها بعض السلف المتقدمين، والتي هي في الحقيقة لا تختلف عن منزلة الإحسان في شيء.

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ط١، ص١٥-١٦.

(٢) انظر الهند الجديدة، لـ سير تشاترجي، دار الفكر، ط١، ت١٩٥٥م، ص٢١.

٢-البريلوية.

بالإضافة إلى كدر الصوفية بفرقها الضالة، ظهرت فرقة تسمى البريلوية، وهي نبتة شيطانية، تدس الكفر في الإيمان، وتكدر صفاء التوحيد بالكفر، أسس هذه الفكرة أحمد رضا خان، ويرجع أصله إلى أسرة شيعية تسننت تقيةً وخبثًا، وكانت تحظى بدعم ومساندة من الاستعمار البريطاني، الذي وجد فيها تقوية لجانبه وإبطاء لبقائه في الهند، إذ تقوم هذه الدعوة على تعطيل الجهاد، وعبادة القبور وتقريب النذور.

"إن البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية في مدينة بريلي الباكستانية إبان الاستعمار البريطاني، وهم يغلون في الأنبياء والأولياء، ويحاربون دعاة التوحيد الخالص، ويعتقدون أن الرسول ﷺ له قدرة يتحكم بها في الكون، وأنه ﷺ والأولياء من بعده لهم قدرة على التصرف في الكون، ولديهم عقيدة اسمها عقيدة الشهود فيعتقدون أن النبي ﷺ حاضر وناظر لأعمال الخلق في كل زمان ومكان، وهم ينكرون بشريته ﷺ، ويكفّرون المسلمين من غير البريلويين لأدنى سبب، ولم يتركوا تجمعًا إسلاميًّا ولا شخصية إسلامية إلا وصفوه بالكفر، وقد شمل تكفيرهم زعماء التعليم والإصلاح ومحرري الهند من الاستعمار، كما شمل الشيخ إسماعيل الدهلوي[1] وهو من علماء الهند ممن حاربوا البدع والخرافات، ومحمد

(١) هو الشيخ العالم الكبير، العلامة المجاهد في سبيل الله، إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي، أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة، والشهامة، وقوة النفس، والصلابة في الدين، وُلد بدِهْلِي ١٢ ربيع الثاني سنة ١١٩٣هـ، وتوفي والده في صباه، فتربّى في مهد عمه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي، وقرأ عليه الكتب الدراسيّة، واستفاد من عمَّيْه الشيخ رفيع الدين، والشيخ عبد العزيز أيضاً، ولازمهما مدةً طويلة، وصار بحراً زاخراً في المعقول والمنقول، ثم لازم السيدَ الإمام أحمد بن عرفان، من مؤلفاته: تقوية الإيمان، كتاب مشهور له بالأردوية (المترجَم الآن بالعربية باسم «رسالة التوحيد، أُستشهِد الشيخ إسماعيل في سبيل اللّه لستِ ليالي بقين من ذي القعدة سنة ١٢٤٦هـ بمعركة بَالَاكُوت. (رسالة التوحيد، لـ اسماعيل الدهلوي، ترجمة وتقديم

=

إقبال[1] والرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق[2] ويعملون دائمًا على شق صفوف المسلمين وتوهين قوتهم وإضعافهم وإدخالهم في متاهات من الخلافات التي لا طائل تحتها"[3].

٣- الفرق الشيعية.

ومما ابتليت به الأمة بلاءًا عظيمًا الفرق الشيعية، والتي منذ نشأتها عانت منها الأمة، وما زالت تعاني، فهم أعداء الأمة، وأصدقاء أعداء الإسلام في كل عصر ومصر، وقد تفرقوا فرقًا وأحزابًا، فمن أهم فرقهم الموجودة في الهند:

أ-الإمامية الاثناعشرية: وهم تلك الفرقة الذين زعموا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان ﷺ أجمعين، وقد أطلق عليهم الإمامية؛ لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم وسُمُّوا بالاثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم، من شخصياتهم

أبي الحسن الندوي، مكتبة ندوة العلماء لكهنؤ، ط١، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م. وانظر: الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٧، ص٨٩٩-٩٠٢).

(١) محمد إقبال ابن الشيخ نور محمد، شاعر الهند العظيم، ولد ببلدة سيالكوت بإقليم البنجاب سنة ١٢٨٩هـ - ١٨٧٣م، أول من نادى بضرورة انفصال المسلمين في الهند عن الهندوس، وتأسيس دولة خاصة بهم، دعا إلى تجديد الفكر الديني وفتح باب الاجتهاد، وتقدير الذات الإنسانية ومحاربة التصوف السلبي الاتكالي، تُوفي في٢٠ من صفر ١٣٥٧هـ - ٢١ من إبريل ١٩٣٨م، من مؤلفاته: بالإنجليزية: تطور الفكر الفلسفي في إيران، وقد ترجمه إلى العربية حسن الشافعي ومحمد السعيد جمال الدين، وتجديد الفكر الديني في الإسلام، وترجمه عباس العقاد إلى العربية.(مقدمة ديوان محمد إقبال، لـ سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ج١ ص١٩-٢٥).

(٢) محمد ضياء الحق بن محمد أكرم، ولد في ١٢ أغسطس ١٩٢٤م، في بلدة "جالاندهار" في مقاطعة البنجاب، وهو الرئيس الباكستاني السادس بعد تأسيس دولة باكستان، تولى قيادتها في ٥ يونيو ١٩٧٧م، تم اغتياله يوم ١٧ أغسطس ١٩٨٨م. (موقع الجزيرة نت www.aljazeera.net)

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب والأفكار المعاصرة، ج١، ص١٩٨-٣٠٣، وانظر -أيضًا- الدعوة السلفية في الهند، لـ عبد الوهاب خليل الرحمن (رسالة دكتوراة جامعة أم القرى) ت١٤٠٦هـ، ص٣٤٠.

البارزة تاريخيًّا والمؤسسة عبد الله بن سبأ، وهو يهودي من اليمن، أظهر الإسلام ونقل ما وجده في الفكر اليهودي إلى التشيع.

من عقائدهم، العصمة لأئمتهم، وبجريان خوارق العادات على يد أئمتهم، والغيبة وهي أن لهم إمامًا غائبًا، والقول برجعة الحسن العسكري[1] في آخر الزمان، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات.

والتقية وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين، ويرون المتعة ويجعلونها من أفضل القربات، ويعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة، ويتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وبالجملة فقد انعكست في التشيع معتقدات الفرس الذين يدينون لهم بالملك والوراثة وقد ساهم الفرس فيه لينتقموا من الإسلام الذي كسر شوكتهم باسم الإسلام ذاته.

(١) محمد بن الحسن العسكري (الخالص) بن علي الهادي، أبو القاسم: آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر، والحجة، وصاحب السرداب، ولد في سامراء، سنة ٢٥٦هـ ٨٧٠م، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين، ولما بلغ التاسعة أو العاشرة أو التاسعة عشرة دخل سردابا في دار أبيه بسامراء ولم يخرج منه، قال ابن خلكان: والشيعة ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب، تاريخ غيبته سنة ٢٦٥هـ، وفي المؤرخين من يرى أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل، قال الذهبي في السير: نعوذ بالله من زوال العقل، فلو فرضنا وقوع ذلك في إلف الدهر، فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نص لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شئ؟ هذا هوس بين، إن سلطناه على العقول ضلت وتحيرت، بل جوزت كل باطل، أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإمامية، وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة وثقة. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص٨٠. وسير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، ط١، ت١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ج١٣، ص١١٩-١٢٢).

واختلط الفكر الشيعي بالفكر الوافد من العقائد الآسيوية كالبوذية والمانوية والبرهمية وقالوا بالتناسخ وبالحلول.

بدأ التشيع كحزب يرى أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخلافة، ثم تطوَّر حتى أصبح فرقة عقائدية وسياسية انضوى تحت لوائها كل من أراد الكيد للإسلام والدولة المسلمة، حتى إن المتتبع للتاريخ الإسلامي لا يكاد يرى ثورة أو انفصالاً عن الدولة الأم أو مشكلة عقائدية إلا وكان الشيعة بفرقها المتعددة وراءها أو لهم ضلعٌ فيها، وكاد التشيع أن يكون دينًا مختلفًا عن الإسلام تمامًا، وقد استغل الاستعمار البريطاني هؤلاء وحارب بهم الأمة الإسلامية(١).

ويلحق بالاثني عشرية فرق أخرى شيعية، لا تقل خبثًا ومروقًا عن الدين، كلها عملت على تشويه الإسلام وخدمة المستعمر.

وكان القنوجي رحمه الله ممن خاض الحرب على أفكار الشيعة ومعتقداتهم، وسيتضح لنا في الكلام على آرائه التفسيرية العقدية، في مبحث الصحابة شيء من تلك الردود.

ولم يكتف الاستعمار بدعم الحركات المارقة من الإسلام والموالية له، بل عمل على نشر التنصير وسخر لذلك جهوده الاستعمارية.

وتمثل هذا السعي من خلال البعثات التنصيرية المتلاحقة، وأصدرت الحكومة البريطانية مرسومًا تم نشره على العمال والموظفين، يدعوهم للدعوة للمسيحية، ومما جاء فيه (ستكون الهند موحدة في جميع الأحكام والقوانين والمنافع والبرق وطرق

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب والأفكار المعاصرة، ج١، ص٥١، وأيضا: الدعوة السلفية في الهند، ص ١٥٨-١٦٥.

المواصلات، لذا يجب أن تكونوا مسيحيين جميعًا)[(١)].

وانطلق الاستعمار في دعوته للنصرانية مستغلًا ظروف الناس المادية وفقرهم فربما دفع بعض الفقراء أبنائه للمنصرين حفاظًا عليهم من الموت جوعا.

وقام هؤلاء بالتشكيك في الإسلام وتعاليمه علانية، وطبعوا الكتب ونشروها بلغات الهند المختلفة، مما جعل القنوجي ﷺ يتصدى لهذه المقالات ويكتب في الرد عليها، وربما أثبت لهم نبوة محمد ﷺ من كتبهم، كما فعل ذلك في تفسيره فتح البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[(٢)]، فساق أدلة كثيرة رادة على دعاة التنصير.

وبعد هذا السرد المختصر للحالة الدينية في عصر القنوجي، تبين سوء هذا العصر، وانحطاط المجتمع دينيا.

والتي سعى القنوجي جاهدًا في رأب الصدع ومجاهدة هذه الأفكار، محاولاً إعادة الأمة إلى نبع دينها الصافي، فعاش مجاهدًا، ومات عزيزا.

۞۞۞

---

(١) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، لـ خادم الهي بخش، (رسالة دكتوراة جامعة أم القرى، ت ١٤٠٤-١٤٠٥هـ)، ص٥٥.

(٢) سورة الصف، الآية [٦].

المبحث السابع: جهوده الإصلاحية والاجتماعية

انطلق صديق حسن خان القنوجي رحمه الله بما منَّ الله عليه من ذخيرة العلم والعقيدة الصافية، انطلق بجد وجهد، بعدما رأى ما رأى من ويلات تنزل بالأمة عمومًا وبمسلمي الهند خصوصًا من ويلات التنصير، ومن زيغ الفرق المحسوبة على المسلمين، وقد ساعده بعد عون الله على ذلك عدة أمور:

أولا: صفاء معتقده وقربه الكبير من كتب السلف النقية، وأعظمها كتب الحديث التي تتلمذ عليها وترك ما سواها، وتعتبر حركة أهل الحديث في الهند، والتي سخر كل جهده وإمكاناته لخدمتها ونشرها، تعتبر امتدادًا لحركة الإمام المحدث ولي الله الدهلوي رحمه الله، وقد وصف هذه الحركة بقوله: "ثم جاء الله من بعدهم بالشيخ الأجل، والمحدث الأكمل، ناطق هذه الدورة وحكيمها، وفائق تلك الطبقة وزعيمها، الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، وكذا بأولاده الأمجاد وأولاد أولاده، أولي الرشاد المشمرين، لنشر هذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد، فعاد بهم علم الحديث غضًّا طريًّا بعد ما كان شيئًا فريًّا، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيرًا من عباده المؤمنين، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس بخاف على أحد من العالمين، فهؤلاء الكرام قد رجحوا السنة على غيرها من العلوم، وجعلوا الفقه كالتابع لها والمحكوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، ويبغيه أهل الدراية"[(١)].

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة، لـ صديق حسن خان، دار الجيل الجديد، ط١، ص٧٠، وانظر: الدعوة السلفية في الهند، ص٢٠١-٢٠٢.

فهذه المدرسة المباركة جعلته ثابت الرأي صادعًا بالحق، محاربًا للبدع، كارهًا للاستعمار، راضيًا بقضاء ربه في عيشه ومعاشه، لا تؤثر فيه المغريات والماديات، التي لأجلها تأول المتأولون، وانحرف المنحرفون.

فآلى على نفسه إكمال الدور الذي بدأه ولي الله الدهلوي، وورثه عن أبيه، لرفع راية السنة وقمع البدعة، ونبذ التقليد، ونشر المعتقد الصافي المستمد من كتب سلف الأمة وأئمتها.

ثانيا: أخلاقه وكرم طبعه وتواضعه.

لكرم أخلاقه وتواضعه أحبته القلوب وتعلقت به، ومن تعلقت به القلوب استطاع أن يغرس فيها القيم الخيرة، وينزع من داخلها كدر الشر وغوائل الشياطين.

كان غاية في صفاء الذهن، وسرعة الخاطر، وعذوبة التقرير، وحسن التحرير، وشرف الطبع، وكرم الأخلاق، وبهاء المنظر وكمال المخبر، وله من الحياء والتواضع ما لا يساويه فيه أحد، ولا يصدق ذلك إلا من تاخمه وجالسه، فإنه كان لا يعد نفسه إلا كأحد الناس، ثم له من حسن الأخلاق أوفر نصيب وأجل، قلَّ أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه، عند أصغر المتعلقين بخدمته(١).

حدث بينه وبين الشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي(٢) بعض المراجعات والخلافات، فلما بلغه وفاته تأسف عليه غاية الأسف وأقام عليه صلاة الغائب ولم يطعم تلك الليلة طعامًا رحمهم الله جميعا(٣).

---

(١) انظر: الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٧، ص ١٢٤٩.

(٢) محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الانصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، عالم بالحديث والتراجم، من فقهاء الحنفية، ولد سنة ١٢٦٤هـ ١٨٤٨م، من كتبه: الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، والرفع والتكميل في الجرح والتعديل، توفي سنة ١٣٠٤هـ، ١٨٨٧م. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص١٨٧. الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٨، ١٢٦٨)

(٣) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، مكتبة ابن تيمية، مقدمة عبد الفتاح أبو غدة، ص٣٠.

ثالثا: مكانته الاجتماعية.

فقد ولاه الوزير جمال الدين الصديقي الدهلوي في بهوبال تعليم أولاده، وزوجه بابنته.

وبعد رجوعه من الحج ولي نظارة المعارف سنة ١٢٨٦هـ، ثم تولى نظارة ديوان الإنشاء سنة ١٢٨٧هـ.

ثم أصبح زوجًا لملكة بهوبال شاه جان بيكم[١]، وبهذا أصبح مساعدًا ومعاونًا لزوجته ملكة بهوبال، واستغل هذا المنصب لإصلاح المجتمع ونشر تعاليمه الصافية، ونشر الحديث وطبع كتب العلم، وانفق المال في وجوه الخير، ونشر كتب العلم، وبالأخص كتب الحديث والتفسير وتراجم العلماء الأعلام.

كما أنه قرر دفع جائزة مالية لمن يحفظ كتب السنة أو يؤلف تأليفًا نافعًا ينصر فيه السنة ويرد البدعة، كما قرر رواتب شهرية للعلماء وطلبة العلم تشجيعًا لهم وعونهم على التفرغ للعلم والتأليف والتدريس.

رابعا: العلماء العاملون الذين سكنوا بهوبال.

ومن توفيق الله ومنته على صديق حسن خان القنوجي أن قدره على استقدام علماء أعلام الى بهوبال، فنشروا العلم وأعانوه على الخير، ومن هؤلاء الأعلام الكبار العلامة حسين بن محسن الأنصاري اليماني ﷀ، الذي طلبه من اليمن فحضر الى بهوبال فأقام فيها إقامة دائمة نشر فيها علم الكتاب والسنة، فاستفاد منه

---

(١) نواب شاه جهان بيكم، ولدت سنة ١٢٥٤م، في قلعة إسلام نكر قرب بهوبال، أصلها من الأفغان من العمالقة، أميرة بهوبال، توفيت سنة ١٤١٩هـ،١٩٠١م. (التاج المكلل من جواهر الطراز الآخر والأول، ص٥٣٢- الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج١، ص١٤٥).

طلاب العلم استفادة عظيمة[1].

يقول أبو الحسن الندوي ﷺ: "وبوجود العلامة الأمير على منصة الرئاسة والإمارة، وطلوع السهيل اليماني في جواره وحماه، أصبحت بهوبال محط رحال العلماء، ومنتجع رواد الحديث، وكانت لعلم الحديث انتفاضة لا نظير لها حتى في البلاد العربية، وفي مراكز هذا العلم القديمة، ونشطت حركة التأليف والتدريس والشرح في طول الهند وعرضها وكان للسنة وحملتها والدعاة إليها جولة وصولة، وكان لأهل البدع ضعف واختفاء في ربوع هذه الإمارة الإسلامية التي ملك زمام الأمور فيها مدة من الزمن، وكانت له فيها الكلمة المسموعة والأعلام المرفوعة"[2].

ولأجل هذه أنشأ العديد من المطابع لطبع الكتب، وأنشأ المكتبات، وكانت تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب والمخطوطات القديمة النادرة.

وأنشأ المدارس والمعاهد العلمية، وأولاها عنايةً فائقة لتخريج جيل صحيح المعتقد، سليم من البدع، يقوم بنشر دين الله الصافي، حتى بلغ عدد هذه المدارس في عهده إحدى وثمانون مدرسة.

وجعل من نفسه قدوة في الإصلاح الاجتماعي والقضاء على العادات السيئة منها زواجه بالملكة شاه جان بيكم، وقد كانت العادة المنتشرة عدم الزواج بالأرامل.

ومنع تعاطي الرشوة، وأسس المحاكم لفض النزاعات ورد الحقوق لأهلها، ومنع

---

(١) انظر: التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص٥٣٦-٥٣٧، والدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ١٨٥-١٩٢.

(٢) شخصيات وكتب أثرت في حياتي، لـ أبوالحسن الندوي، دار القلم سوريا، ط١، ت١٤١٠هـ١٩٩٠م، ص٢٤١-٢٤٢.

القمار، وشرب الخمر وألغى مهنة البغاء، والرقص، وألغى التعامل بالربا، وأقام التعامل الشرعي مقامه.

وأسس نظام الحسبة، ليقوم المحتسبون بدورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

هذه نماذج مختصرة، وشعاع من فجر إصلاح هذا الإمام المبارك، تدل على أعظم مما هو مسطر في تراجمه وثناء المثنين عليه، فرحمه الله رحمة واسعة.

❁❁❁

(١) انظر: جهود مخلصة لخدمة السنة، لـ عبد الرحمن الفريوائي، مطبوعات الجامعة السلفية بالهند، ط١، ت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص ٧٦-٧٨.

الفصل الثاني:

التعريف بتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن وبيان منهجه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تأليفه وكلام العلماء عنه.

المبحث الثاني: منهجه في تفسيره فتح البيان.

المبحث الثالث: الدراسات على تفسير فتح البيان.

المبحث الأول: تأليفه وكلام العلماء عنه

مضى معنا في الباب الأول الكلام في ترجمة صديق حسن خان القنوجي، وتبين لنا مكانته العلمية العلية، وشهادة علماء زمانه ومن أتى بعده برسوخ قدمه في العلم، ومن تكون هذه منزلته في العلم، وقامته في الفهم ورسوخ القدم فيه، فلا بد أن يكون غراسه مثمرًا، وبناؤه شاهقًا، وهو ما وضح في وضعه لهذا التفسير المبارك.

ولنا أن نعيد ما قاله الشيخ أبو الحسن الندوي عنه وعن كتاباته ومنها تفسير فتح البيان، يقول عنه أبو الحسن الندوي ﷺ: "ولقد نبغ في الهند في القرن الرابع عشر الهجري مؤلفون فاقوا في العالم الإسلامي كله، في سرعة التأليف، وكثرة المؤلفات، وضخامة الإنتاج، وكان كل واحد منهم مجمعًا علميًا نشيطًا، وقد قام بعضهم شخصيًا بما لا يقوم به مجاميع علمية في أكثر الأحيان.

فالأمير صديق حسن بن أولاد حسن القنوجي، أمير بهوبال، يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتين (٢٢٢) منها ستة وخمسون مؤلفًا باللغة العربية، ومنها كتب كبار ذات قيمة علمية، منها، فتح البيان في تفسير القرآن"[١].

ويجمع تفسير فتح البيان بين الرواية والدراية، مستبعدًا للإسرائيليات والخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها، وكذلك الجدل والمناقشات الكلامية، وهو يفسر بالسُّنة، ويذكر تفاسير الصحابة والتابعين، وينقل عن المفسرين من أهل اللغة، سالكًا في أمور العقيدة وفق منهج السَّلف ﷺ.

وهو ما أكده في مقدمة تفسيره، والتزم به في الغالب، حيث قال في المقدمة: "فهذا التفسير وإن كبر حجمه فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه وأصاب

(١) المسلمون في الهند، ص٥٣-٥٤.

غرض الحق سهمه، مفيد لمن أقبل على تحصيله، مفيض على من تمسك بذيل إجماله وتفصيله، وقد اشتمل على جميع ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فرائد وقواعد شوارد، من صحيح الدراية، وصريح الرواية ... وقد جاء بحمد الله كنزًا مدفونًا من جواهر الفوائد، وبحرًا مشحونًا بنفائس الفرائد، في لطائف طالما كانت مخزونة، وعن الإضافة مصونة، بتقارير ترتاح لها نفوس المحصلين الكاملين وتنزاح منها شُبه المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وتضحي أنوارها في قلوب السعداء وتطلع نيرانها على أفئدة الأعداء لا يعقل بيناتها إلا العالمون"[١].

وقال عنه المحقق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري[٢] رحمه الله في تقديمه للتفسير: "فتح البيان في مقاصد القرآن درة نادرة بين كتب التفسير .. فاختار الشيخ صديق خان أن يكتب تفسيرًا خاليًا من الإسرائيليات والخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها، وكذلك الجدل المذهبي والمناقشات الكلامية، فجمع بين الرواية والدراية مع تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد إيقاظًا للنائمين وتحريضًا للمتثبطين .. فاختار صفوة الصفوة مما ثبت من التفسير النبوي لأنه الحجة المتبعة التي لا يسوغ مخالفتها .. وبالجملة فإن تفسيره تنزاح عنه شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، خلى من كثرة الحشو والدخيل والخرافات التي لا يقوم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، لـ صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية بيروت، ط١ ت١٤١٢هـ١٩٩٢م، ج١، ص٢٣.

(٢) عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأنصاري، يصل نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وأرضاه، له دراية بالفلك ولا يزال التقويم القطري يعتمد على حسابه حتى الآن، خدم العلم وحقق كثيرًا من الكتب، ولد بمدينة الخور بدولة قطر سنة ١٣٤٠هـ وكانت وفاته يوم ١٤-٣-١٤١٠هـ الموافق ١٥-١٠-١٩٨٩م. (موقع مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن وعلومه http://www.qatarch.com)

عليها دليل، فكان درة بين كتب التفسير"[1].

ومما يبين مكانة هذا التفسير عند علماء العصر تلك الرسالة العطرة التي بعث بها الشيخ حمد بن عتيق[2] رحمه الله إلى الشيخ صديق حسن خان، قال فيها: "من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في مآله من عذاب الحريق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

وبعد فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفي والإكرام شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السنن والأحكام.

اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والأغلال، ثم وصل إلينا كتاب الحِطَّة وتحرير الأحاديث في تلك الفصول فازددنا فرحًا وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وكان لي ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب فجعل يتوق إلى اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهلة وغلبة الأهواء فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص١.

(٢) هو الشيخ المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة واشتهر بابن عتيق نسبةً إلى جده الثاني عتيق، ولد الشيخ حمد بمدينة الزلفي بالمملكة العربية السعودية، سنة ١٢٧٧هـ، سافر من بلده الزلفي إلى الرياض، وكانت آهلة بالعلماء وعلى رأسهم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن، فشرع في القراءة عليه ولازم دروسه ومجالسه، كما قرأ على الشيخ عبد اللطيف والشيخ علي بن حسين والشيخ عبد الرحمن بن عدوان قاضي الرياض، وجد واجتهد حتى أدرك وصار من كبار العلماء ومشاهير الفقهاء، ولي القضاء في الخرج والحلوة والأفلاج، في عهد الملك فيصل آل سعود، توفي في الأفلاج سنة ١٣٤٩هـ، من مؤلفاته: إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد، والدفاع عن أهل السنة، (الأعلام للزركلي، ج٢، ص٢٧٢).

أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه – لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حمله على المذاهب الباطلة وجعلت السنة كذلك فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشئه وسلامة عقيدته وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام، فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(١)، فالحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا كما يحب ربنا ويرضى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ثم قال: ولنا مقصد رابع مهم وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٧ هجرية فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق وظننت أن لذلك سببين أحدهما أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالبًا ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عباراتهم بعضًا بلفظه وبعضًا بمعناه فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال.

وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في

---

(١) سورة الكهف، الآية [٦٥].

التفسير وغيره ثم قال: والمقصود أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن قبله ومن يقربه في زمانه لم يعرج على هذه الأمور وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه، وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه فنسأل الله أن يلحقنا بآثار الموحدين وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه، وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحًا لله ورسوله رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع ولم يبق إلا رسومه، وأنا أنتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب"[1].

وهذه الرسالة قد تضمنت مدحًا ونقدًا، فأما المدح فظاهر، وأما النقد، فهو ما وقع من القنوجي ﷀ في تأويل بعض الصفات موافقة لبعض أهل التأويل، وهو ما سيتضح معنا في مبحث آرائه العقدية.

۞۞۞

(١) هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ ابن عتيق، ص١٧٠-١٩٠.

المبحث الثاني: منهجه في تفسيره فتح البيان

قد وضح ﷺ منهجه في مقدمة التفسير ولعلي أن أوجزها في النقاط الآتية:

١- اعتماده في تفسيره على ما سار عليه أئمة التفسير، فإنه يفسر القرآن بالقرآن، ثم بما ثبت في السنة الصحيحة، ثم بأقوال الصحابة الكرام، ثم بأقوال أئمة التابعين، ثم بلغة العرب الفصحى مدللاً على ذلك بأقوال الشعراء وكلام العرب البلغاء.

٢- تجنب كثيرًا من الإسرائيليات، والجدل العقلي والكلامي الذي مرده الفلسفة والتصوف الباطني، وأنكر غاية الإنكار على أصحاب هذه التأويلات الكلامية.

٣- جاء تفسيره متوسطًا بين التطويل والاختصار، مجموعا بعبارة سهلة وألفاظ يسيرة.

٤- سرده للأقوال ثم ترجيحه للراجح منها، على حسب ما يؤديه إليه اجتهاده.

٥- ذكر الحديث معزوًا لراويه في الغالب، إلا أنه لا يناقش درجته من حيث الصحة والضعف متكلًا على العزو، وثقة على من نقل منهم من أئمة التفسير.

٦- ذكر القراءات القرآنية، وقال بأنها من السبع المشهورات في الغالب، إلا أن الملاحظ عليه أنه يذكر القراءات جملة ولا يبين مرتبتها، وقد يورد الشاذ مع المتواتر دون التنبيه على ذلك، وسترى ذلك جليًّا عند مبحث القراءات القرآنية.

٧- اعتمد في قواعد علوم القرآن أقوال الجماهير، فهو مثلًا يقرر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وغيرها من القواعد التي تأتي في مباحثها.

❁❁❁

المبحث الثالث: الدراسات على تفسير فتح البيان

هناك بعض الدراسات على تفسير فتح البيان، لكنها قليلة العدد، ونادرة الوجود في سوق الكتب، منها:

١- **منهج صديق حسن خان في تفسيره**، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٠هـ، للباحث أحمد محمد عبد الله، تقع في ٧٥٩ صفحة، غير مطبوعة.

٢- **السيد صديق حسن خان القنوجي وآراؤه الاعتقادية وموقفه من منهج السلف**، رسالة دكتوراة، مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، للباحث أختر جمال محمد لقمان، عام ١٤٠٧-١٤٠٨هـ، تقع في ٣٦٦ صفحة، موجودة على موقع الشبكة الإلكترونية.

٣- **منهج صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان**، للدكتور محمود محمد الحنطور، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، طبع مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية.

٤- **صديق حسن خان وجهوده في تفسير فتح البيان**، للباحث محمد عبد الله شاكر الكبيسي، جامعة صدام الإسلام، بغداد، لم أتمكن من الوقوف عليها[١].

❁❁❁

(١) وقفت على هذا البحث من خلال بحثي في مواقع الجامعات، ولم أتمكن من الحصول على الكتاب مطبوعا.

الباب الثاني:
صديق حسن خان القنوجي وآراؤه التفسيرية على ضوء أقوال أئمة التفسير من سورة الذاريات الآية ٣١ إلى آخر سورة الناس

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: آراؤه التفسيرية في علوم القرآن.

الفصل الثاني: آراؤه العقدية.

الفصل الثالث: آراؤه الفقهية.

الفصل الرابع: آراؤه الاجتماعية.

الفصل الخامس: آراؤه في الآيات الكونية.

الفصل السادس : آراؤه اللغوية.

الفصل الأول:

آراؤه التفسيرية في علوم القرآن

وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: آراؤه في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: آراؤه في أسباب النزول.

المبحث الثالث: آراؤه في الزوائد في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: آراؤه في التفسير الفلسفي.

المبحث الخامس: آراؤه في القراءات القرآنية.

المبحث السادس: آراؤه في الإسرائيليات.

المبحث السابع: آراؤه في المكي والمدني.

المبحث الأول: آراؤه في الناسخ والمنسوخ

باب النسخ باب واسع وفيه مسائل متعددة، ولأن موضوع البحث هو آراء القنوجي ومقارنتها بأقوال أئمة التفسير فيكفي أن نذكر المباحث التي تطرق إليها في تفسيره بذكر الآيات التي ذكر عندها النسخ مع مقارنة أقواله في حكاية النسخ إثباتًا ونفيًا.

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[1]، قال رحمه الله:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي أعرض عنهم وكف عن جدالهم ودعائهم إلى الحق، فقد فعلت ما أمرك الله به وبلَّغت رسالته، وكررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإصرار والعناد ﴿ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ عند الله على الإعراض بعد هذا الإنذار لأنك قد أديت ما عليك وما قصرت فيما أمرت به، وبذلت المجهود في البلاغ، وهذا منسوخ بآية السيف، أو بقوله الآتي: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

في ذكر القنوجي النسخ في هذه الآية موافقة لما ذكره بعض أئمة التفسير ومنهم الإمام السيوطي[3] حيث قال في قوله تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٤].

(٢) سورة الذاريات، الآية [٥٥]. فتح البيان ج١٣، ص٢١١.

(٣) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد بالقاهر سنة ٨٤٩هـ، وتوفي بها سنة ٩١١هـ، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويًا عن أصحابه جميعًا، كأنه لا يعرف أحدًا منهم، فألف أكثر كتبه، منها : الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، (الأعلام ج٣، ص٣٠١-٣٠٢).

بِمَلُومٍ ﴾[(١)]: "أمره الله أن يتولى عنهم ليعذبهم وعذر محمدًا ﷺ ثم قال: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فنسختها"[(٢)].

وهو يوافق بذلك الإمام الشوكاني ؒ، حيث نقل عبارة السيوطي بنصها، قال: "أمره الله أن يتولى عنهم ليعذبهم، وعذر محمدًا ﷺ، ثم قال: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٣)]، فنسختها"[(٤)]، وفي هذا موافقة منه لمن سبقه من أئمة التفسير لمسألة القول بنسخها.

وفصَّل ابن عطية[(٥)] ؒ في ذلك فقال: وقوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[(٦)]، أي عن الحرص المفرط عليهم، وذهاب النفس حسرات، ويحتمل أن يراد: فتول عن التعب المفرط في دعائهم وضمهم إلى الإسلام فلست بمصيطر عليهم ولست بملوم إذ قد بلغت، فنح نفسك عن الحزن عليهم، وذكر فقط، فإن

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٤].

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لـ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بالقاهرة، ط١، ت١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، ج١٣، ص٦٨٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية [٥٥].

(٤) فتح القدير، لـ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر، ط١، ت١٤١٢هـ١٩٩٢م، ج٥، ص١٣٢.

(٥) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، وتوفي بالورقة سنة ٥٤٢هـ، له: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (الأعلام ج٣، ص٢٨٢. وانظر: مقدمة تفسير ابن عطية، ج١، ص٩، تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين، مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ت١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م)

(٦) سورة الذاريات، الآية [٥٤].

الذكرى نافعة للمؤمنين ولمن قضي له أن يكون منهم في ثاني حال، وعلى هذا التأويل فلا نسخ في الآية، إلا في معنى الموادعة التي فيها، إن آية السيف نسخت جميع الموادعات[1].

ورد القول بالنسخ المحقق الطاهر بن عاشور[2]، حيث قال في قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾[3]، "وهذا تسلية للنبي وتطمين له بأنه ما قصر في أداء الرسالة، ولا تعلق لهذه الآية بأحكام قتالهم إذ لم يكن السياق له ولا حدثت دواعيه يومئذ فلا وجه للقول بأنها منسوخة"[4].

ومما يؤيد هذا القول عدم التعرض لمسألة النسخ من قبل أئمة التفسير كالإمام الطبري[5] والإمام القرطبي[6]، وكذا الإمام ابن

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لـ لابن عطية، تحقيق: الرحالة الفاروق وإخوانه، دار الخير بيروت (وزارة الأوقاف القطرية) ط٢، ت ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ج ٨، ص٨١.

(٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها، مقاصد الشريعة الإسلامية والتحرير والتنويرفي تفسير القرآن، ولد سنة ١٢٩٦هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص١٧٤).

(٣) سورة القمر، الآية [٦].

(٤) التحرير والتنوير، لـ لابن عاشو، الدار التونسية للنشر، ط١، ت١٩٨٤م، ج٢٧، ص٢٧٦.

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا، وذكاء، وكثرة تصانيف، توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ، صاحب التفسير العظيم المعروف بتفسير بن جرير، (الأعلام ج٦، ص٦٩ . وانظر: مقدمة تفسير الإمام الطبري، ج١، ص٩، تحقيق إسلام منصور، دار الحديث، ط١، ت١٤٣١هـ ٢٠١٠م)

(٦) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة، تعلم القرآن الكريم، وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضا، انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط، من كبار المفسرين، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف

=

كثير[1]، والأمر بالتولي هنا فيه تسلية للنبي ﷺ وإعلامه بأن إعراض هؤلاء عن دعوته راجع لكفرهم وعنادهم وليس تقصيرًا في جهده وتبليغه.

قال سيد قطب[2] ﵀: "وأن يمضي في التذكير، مهما أعرض المعرضون وكذب المكذبون ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، ولا تنفع غيرهم من الجاحدين والتذكير هو وظيفة الرسل والهدى والضلال خارجان عن هذه الوظيفة، والأمر فيهما إلى الله وحده الذي خلق الناس لأمر يريده"[4].

مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفود عقله وفضله أبرزها الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، توفي سنة ٦٧١هـ. (الأعلام ج٥، ص٣٢٢. وانظر مقدمة تفسيره الجامع، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٣٤هـ ٢٠١٣م).

(١) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير، ولد بالبصرة سنة ٧٠٠هـ، ثم رحل إلى دمشق، سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم، كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالمًا محققًا ثقةً متقنًا، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إمامًا في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، توفي سنة ٧٧٤هـ، ودفن في دمشق. (الأعلام ج١، ص٣٢٠. وانظر: طبقات الحفاظ، لـ جلال الدين السيوطي، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١، ت١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص٥٣٤).

(٢) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، ولد بقرية (موشا) في أسيوط سنة ١٩٠٦م، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة، وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبا فنيا للوزارة، واعدم سنة ١٩٦٦م، له تفسير في ظلال القرآن. (الأعلام ج٣، ص١٤٧).

(٣) سورة الذاريات، الآية [٥٥].

(٤) في ظلال القرآن، لـ سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط٨، ت١٣٩٩هـ١٩٧٩م، ج٦، ص٣٣٨٦.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[1] قال ﷺ: "المراد بالذكر –هنا– القرآن، أو ذكر الآخرة أو ذكر الله على العموم، وقيل: المراد به هنا الإيمان والمعنى اترك مجادلتهم فقد بلغت إليهم ما أمرت به، وليس عليك إلا البلاغ وهذا منسوخ بآية السيف، قال الرازي: وأكثر المفسرين يقولون: إن كل ما في القرآن من قوله فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لأن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال، فكيف ينسخ بها؟ والإعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة"[2].

قال ابن الجوزي[3] ﷺ: "قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴾[4] زعم قوم أنها منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فقال بعضهم آية السيف وقال بعضهم إن ناسخها ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[5]، وهذا قد يخيل أن معنى قوله ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ ﴾ أعرض عن كلامهم فلا تكلمهم وفي هذا بعد فلو قال هذا إن المعنى أعرض

(١) سورة النجم، الآية [٢٩].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٦١.

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسِّر المحدث المؤرخ، شيخ الإسلام عالم العراق، ولد سنة ٥٠٨هـ، كتب بخطه كثيرًا من كتبه إلى أن مات، كان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، وقيل إنه حضر في بعض مجالسه مائة ألف، وقال: كتبت بأصبعي ألفي مجلد، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفًا، من تصانيفه: زاد المسير في التفسير، وجامع المسانيد، والمغني في علوم القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ٥٩٧هـ، (الأعلام ج٣، ص ٣١٦–٣١٧. سير أعلام النبلاء، ج٤١، ص٣٤٠–٣٤٢).

(٤) سورة الذاريات، الآية [٥٤].

(٥) سورة الذاريات، الآية [٥٥].

عن قتالهم صلح نسخها بآية السيف ويحتمل أن يكون معنى الآية أعرض عن مجادلتهم فقد أوضحت لهم الحجج وهذا لا ينافي قتالهم"[1].

قال مكي بن أبي طالب ﷺ[2]: "قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[3]، هذا منسوخ بآية السيف في براءة"[4].

وما قيل في الآية السابقة يمكن أن يقال هنا، فلا نسخ للآية.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5]، قال ﷺ: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ "لا يخفى عليه من ذلك شيء، فهو مجازيكم وليس في الآية ما يدل على تقصير المؤمنين في الامتثال أما الفقراء منهم فالأمر واضح، وأما من عداهم من المؤمنين فإنهم لم يكلموا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة، بل أمروا بالصدقة إذا أرادوا المناجاة، فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرًا في امتثال الأمر بالصدقة على أن في الآية ما يدل على أن الأمر للندب كما قدمنا، وقد استدل بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل إمكان الفعل وليس هذا الاستدلال

(١) نواسخ القرآن، لـ لابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط١، ت١٤٠٤هـ١٩٨٤م، ص٤٧٢.

(٢) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش، ولد بقرطبة سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٣٧هـ، من تأليفه التبصرة ومشكل إعراب القرآن، مؤلفاته تزيد عن ثمانين تأليفًا. (سير أعلام النبلاء، ج٣٤، ص٩٥. الأعلام ج٧، ص٢٨٦).

(٣) سورة النجم، الآية [٢٩].

(٤) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لـ لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د أحمد حسن فرحات، دار المنارة جدة، ط١، ت١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ٤٢٤ .

(٥) سورة المجادلة، الآية [١٣].

بصحيح، فإن النسخ لم يقع إلا بعد إمكان الفعل، وأيضًا قد فعل ذلك البعض فتصدق بين يدي نجواه كما تقدم"(١).

هذه الآية مما وقع الاتفاق على وقوع النسخ فيها، حيث فرضت الصدقة لمن أراد مناجاة رسول الله ﷺ ثم نسخ الوجوب.

وهذا النوع من النسخ مما يذكر في التمثيل بالنسخ من غير بدل، فقد نسخ وجوب الصدقة على من أراد مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يجب على من أراد مناجاته بعد ذلك أي شيء.

وذكر القنوجي هنا مسألة النسخ قبل إمكان الفعل ورد القول بالإمكان، موافقًا بذلك الإمام الشوكاني حيث قال: "قد استدلّ بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل إمكان الفعل، وليس هذا الاستدلال بصحيح، فإن النسخ لم يقع إلاّ بعد إمكان الفعل، وأيضًا قد فعل ذلك البعض، فتصدَّق بين يدي نجواه"(٢).

إلا أن الإمام القرطبي ﷺ يؤيد إمكان النسخ قبل الفعل، حيث يقول: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣) "أي نسخ الله ذلك الحكم، وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدّق به ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فنسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة، وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل، وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لأن الله تعالى قال ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ وهذا يدل على أن أحدًا لم يتصدّق بشيء"(٤).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٩ .

(٢) فتح القدير، ج٥، ص٢٦٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية [١٣].

(٤) الجامع لأحكام القرآن، لـ القرطبي، مؤسسة الرسالة (الأوقاف القطرية) ط١، ت ٢٠١٣م، ج٢٠، ص٣٢٥ .

وهذه مسألة أصولية قد وقع فيها الخلاف، والصحيح ما عليه الجمهور من أنه يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل.

ومنع القنوجي لذلك يعود لأصوله الحنفية لأنهم يمنعون النسخ قبل التمكن من الفعل.

قال الإمام الزركشي رحمه الله[1]: "إذا أوجب شيئًا ثم نسخه قبل التمكن من الفعل فالجمهور على الجواز، وقال القاضي[2] في التقريب إنه قول جميع أهل الحق، ونقل ابن السمعاني[3] عن أكثر الحنفية المنع"[4].

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5]،

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهاجي، له مؤلفات كثيرة منها: تخريج أحاديث الرافعي في خمس مجلدات، وشرح جمع الجوامع في مجلدين وشرح المنهاج في عشرة، ولد سنة ٧٤٥هـ وتوفي سنة ٧٩٤هـ. (الأعلام ج٦، ص٦٠-٦١. وانظر: إنباء الغمر بأنباء العمر، لـ الحافظ بن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، ط١، ت١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، ج١، ص٤٤٦).

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر المعروف بالباقلاني: القاضي، من كبار علماء الكلام، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، من كتبه التقريب والإرشاد الصغير في أصول الفقه. (الأعلام ج ٦، ص١٧٦. سير أعلام النبلاء، ج٣٣، ص١٨٣).

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، مفسر، ومن العلماء بالحديث ولد بمرو سنة ٤٢٦هـ ومات بها سنة ٤٨٩هـ، كان مفتى خراسان، له تفسير السمعاني، والقواطع في أصول الفقه. (الأعلام ج٧، ص٣٠٣-٣٠٤. سير أعلام النبلاء، ج٣٧، ص١٠٣).

(٤) تشنيف المسامع على جمع الجوامع، لـ الإمام الزركشي، تحقيق: أبي عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ج١، ص٤٣١، والمهذب في علم أصول الفقه المقارن لـ د عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ت١٤٢٠هـ١٩٩٩م، ج٢، ص٥٥٩.

(٥) سورة الحشر، الآية [٧].

قال رحمه الله: أخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كان لرسول الله ﷺ، صفايا في النضير وخيبر وفدك، فأما بنو النضير فكانت حبسًا لنوائبه، وأما فدك فكان لابن السبيل، وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء، قسم منها جزأين بين المسلمين، وحبس جزءًا لنفسه ولنفقة أهله، فما فضل عن نفقة أهله رده على فقراء المهاجرين)(١).

قال البقاعي رحمه الله(٢): "ومن زعم أن شيئًا مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الأنفال فقد أخطأ؛ لأن الأنفال نزلت في بدر، وهي قبل هذه بمدة"(٣).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال ابن العربي(٤): قول مالك(٥) إن الآية الثانية في بني قُريظة، إشارة إلى أن معناها يعود إلى آية الأنفال، ويلحقها النسخ، وهذا أقوى من القول بالإحكام، ونحن لا نختار إلا ما قسمنا وبيّنا أن الآية الثانية لها معنى متجدد حسب ما دللنا عليه.

(١) أخرجه ابو داوود في كتاب الخراج والإمارة، في صفايا رسولِ الله ﷺ من الأموال، رقم ٢٩٦٧،ج٣، ص١٤١-١٤٢، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مؤرخ أديب أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ ١٤٠٦م، له تآليف كثيرة منها: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور يعرف بتفسير البقاعي، (الأعلام ج١، ص٥٦).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٧.

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبو بكر ابن العربي، إمام من أئمة المالكية، فقيه محدِّث مفسر أصولي أديب متكلِّم، ولد بأشبيليا سنة ٤٦٨هـ، أخذ العلم عن أبيه أبي محمد الفقيه وغيره من علماء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق مع أبيه فأخذ العلم عن مجموعة من الأئمة كأبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي، له مؤلفات كثيرة منها: المحصول في أصول الفقه، وأحكام القرآن، والعواصم من القواصم، توفي سنة ٥٤٣هـ بمراكش ودفن بفاس بالمغرب. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٣٠. التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول، ص٢٧١-٢٧٦).

(٥) الإمام مالك ابن أنس، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين.

قلتُ (القرطبي) ما اختاره حَسَن، وقد قيل إن سورة الحشر نزلت بعد الأنفال، فمن المحال أن ينسخ المتقدّمُ المتأخر، وقال ابن أبي نجيح[١]: المال ثلاثة: مَغْنم، أوْ فيءٌ، أو صدقة، وليس منه درهم إلا وقد بيّن الله موضعه، وهذا أشبه"[٢].

قال ابن الجوزي ﵀: "واختلف العلماء فيما يصنع بسهم رسول الله ﷺ بعد موته على ما بينا في الأنفال فعلى هذا تكون هذه الآية مثبتة لحكم الفيىء والتي في الأنفال مثبتة لحكم الغنيمة، فلا يتوجه النسخ"[٣].

الآية الخامسة قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[٤]، قال القنوجي ﵀: "قوله تعالى ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ أي إلى أزواجهن الكافرين هذا ناسخ لشرط الرد بالنسبة للنساء على مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعضهم: ليس من قبيل النسخ، وإنما هو من قبيل التخصيص، أو تقييد المطلق؛ لأن العقد أطلق في رد من أسلم فكان ظاهرًا في عموم الرجال مع النساء، فبين الله خروجهن عن عمومه"[٥].

---

(١) عبد الله بن أبي نجيح، الإمام الثقة المفسر، أبو يسار، الثقفي، المكي، ثقة في التفسير، قد قفز القنطرة، احتج به أرباب الصحاح، قيل كان قدريًا، ولعله رجع عن البدعة، توفي سنة ٢٣١هـ. (سير أعلام النبلاء، للذهبي ج٦، ص١٢٥-١٢٦. سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٥٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٣٥٠.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لـ لابن الجوزي، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ت١٤٢٣هـ٢٠٠٢م، ص١٤١٥.

(٤) سورة الممتحنة، الآية [١٠].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٨٥.

وهنا مسألتان:

الأولى: هل هذه الآية ناسخة لما كان معمولاً به في السنة من رد الذين يسلمون الى الكفار وذلك في المدة التي كان فيها الصلح بين النبي ومشركي مكة أو مخصصة له؟

قال الإمام القرطبي: "أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشًا، مِن أنه يردُّ إليهم من جاءه منهم مسلمًا؛ فنُسِخ من ذلك النساء، وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن"(١).

وقال الإمام ابن كثير: "فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة"(٢).

وقد أثبت نسخ هذه الآية للحكم المعلوم بالسنة جماعة ممن ألف في الناسخ والمنسوخ.

المسألة الثانية: نسخ القرآن للسنة.

الجمهور على جواز نسخ القرآن للسنة، ومثَّل المجيزون لذلك بنسخ استقبال بيت المقدس، ونسخ حرمة المباشرة في ليل رمضان.

قال الإمام القرطبي ﷺ: "والحذاق –أيضًا– على أن السنة تنسخ بالقرآن وذلك موجود في القبلة،؛ فإن الصلاة إلى الشام لم تكن في كتاب الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾(٣)، فإن رجوعهن إنما كان بصلح النبي ﷺ لقريش"(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٤١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لـ لإمام ابن كثير، مؤسسة الريان بيروت، ط٢، ت١٤٢٧هـ٢٠٠٦م، ج٤، ص٢٣٢٨.

(٣) سورة الممتحنة، الآية [١٠].

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٣٠٦.

قال ابن عطية رحمه الله: "وكذلك حذاق الأئمة على أن السنة تنسخ بالقرآن، وذلك موجود في القبلة فإن الصلاة إلى الشام لم تكن قط في كتاب الله، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾(1)، فإن رجوعهن إنما كان بصلح النبي ﷺ لقريش"(2).

وهذه مسألة ناقشها الأصوليون في كتبهم، وجمهور الأصوليين على جواز نسخ القرآن للسنة ولها أمثلة تؤكد مذهب الجمهور(3).

وسيأتي معنا مناقشة هذه الآية في الآراء الفقهية في الكلام على حكم زواج المسلمة بالكافر.

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾(4).

قال القنوجي رحمه الله: "كان النبي ﷺ وطائفة معه يقومون على هذه المقادير، وشق ذلك عليهم فكان الرجل لا يدري كم صلى أو كم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم ورحمهم ونسخ وجوب قيام الليل في حقه وحقنا، واختلف في الناسخ لهذا الأمر فقيل هو قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾(5)، إلى آخر السورة كما تقدم وقيل هو ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ إلخ، وقيل هو قوله ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ إلى آخر السورة، وقيل هو منسوخ بالصلوات

(1) سورة الممتحنة، الآية [10].

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص 311 .

(3) انظر: تشنيف المسامع على جمع الجوامع، ج1، ص431.

(4) سورة المزمل، الآيات [1-4].

(5) سورة المزمل، الآية [20].

الخمس، وبهذا قال الشافعي[1]، وكان بين نزول أولها المنسوخ وآخرها الناسخ سنة، وقيل ستة عشر شهرًا، وهذا على القول بأن السورة كلها مكية.

وأما على القول بأن قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ ﴾ مدني فبين الناسخ والمنسوخ عشر سنين لما علمت أن نزول المنسوخ كان في أول الوحي بمكة، ونزول الناسخ كان بالمدينة، وأقل ما يتحقق بينهما عشر سنين، وقد قال به سعيد بن جبير[2]، وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة، وقيل نسخ أولها بآخرها ثم نسخ آخرها بإيجاب الصلوات الخمس"[3].

صلاة الليل نسخ فرضها عن النبي وعن الأمة، وحكي في ذلك الإجماع[4].

ولكن ما هو الناسخ للوجوب؟

قال الإمام القرطبي ﷺ: "اختلف العلماء في الناسخ للأمر بقيام الليل؛ فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ للأمر بقيام الليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ إلى آخر السورة، وقيل قوله تعالى ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ ﴾، وعن ابن عباس أيضًا: هو منسوخ بقوله تعالى ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم

---

(١) الإمام أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي تابعي جليل، كان تقيًا، عالمًا بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة، سكن الكوفة و نشر العلم فيها وكان من علماء التابعين، فأصبح إمامًا ومعلمًا لأهلها، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية سنة ٩٥هـ. (الأعلام ج٣، ص٩٣-٩٤. البداية والنهاية، لـ الإمام بن كثير، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ت١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ج١٢، ص٤٦٢-٤٦٤).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٨٨.

(٤) الإجماع، لـ لابن عبد البر، تحقيق: فؤاد الشلهوب وعبد الوهاب الشهري، دار القاسم، ص٧٥.

مَّرۡضَىٰ ﴾، وعن عائشة أيضًا والشافعي ومقاتل[(١)]: هو منسوخ بالصلوات الخمس، وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾[(٢)]، قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي[(٣)]: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ، قاموا حتى ورمت أقدامهم وسُوقهم، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾

قال بعض العلماء: وهو فرض نُسخ به فرض؛ كان على النبيّ ﷺ خاصة لفضله، كما قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[(٤)]

قلت: القول الأوّل يعم جميع هذه الأقوال، فدخل فيها قول من قال إن الناسخ الصلوات الخمس"[(٥)].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾[(٦)]، .. الآية، هذا مذهب جماعة من المفسرين.

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخى، أبو الحسن، من أعلام المفسرين، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، من كتبه التفسير الكبير، ونوادر التفسير، وتوفى بالبصرة سنة ١٥٠هـ، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، قال أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه. (سير أعلام النبلاء ج٧، ص ٢٠١-٢٠٢. انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لـ لابن خلكان، تحقيق حسن عباس، دار صادر بيروت، ط١، ت١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٧).

(٢) سورة المزمل، الآية [٢٠].

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، مقرئ الكوفة، الإمام العَلَم، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن، وجوَّده، ومهر فيه، وعرضه على عثمان، وعلى عليّ، وابن مسعود. (سير أعلام النبلاء ج٤، ص٢٦٧-٢٦٨).

(٤) سورة الإسراء، الآية [٧٩].

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص٣٢٠-٣٢١.

(٦) سورة المزمل، الآية [٢٠].

وقالوا: ليس في القرآن سورة نسخ آخِرُها أولَها سوى هذه السورة"(١).

قال الإمام الشوكاني ﷺ: "واختلف في الناسخ لهذا الأمر، قيل: هو قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾، إلى آخر السورة، وقيل: هو قوله: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾، وقيل: هو قوله ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ وقيل: هو منسوخ بالصلوات الخمس، وبهذا قال مقاتل، والشافعي، وقيل: هو قوله ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ "(٢).

ولعل أولى الأقوال هو ما اختاره الدكتور وهبة الزحيلي(٣) في كتابه التفسير المنير، بأن الناسخ لوجوب قيام الليل هو فرضية الصلوات الخمس، أما آخر السورة فهو بيان لنسخ المقدار الذي بين في أول السورة ولم ينسخ أصل القيام(٤).

الآية السابعة قوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾(٥) قال القنوجي ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾، "أي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم وتجانبهم وتداريهم وكل أمرهم إلى الله، فالله يكفيكهم، وقيل الهجر الجميل الذي لا جزع فيه، وهذا كان قبل الأمر بالقتال"(٦).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ص١٤٨٢.

(٢) فتح القدير، ج٥، ص٤٤٣.

(٣) وهبة بن مصطفى الزحيلي، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة والهند وأمريكا والسودان، ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة، حصل على جائزة أفضل شخصية إسلامية في حفل استقبال السنة الهجرية التي أقامته الحكومة الماليزية سنة ٢٠٠٨م، له مؤلفات كثيرة منها: التفسير المنير، وموسوعة الفقه الإسلامي.(موقع الدكتور وهبة الزحيلي (http://www.zuhayli.com).

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لـ د وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، ط١١، ت١٤٣٢هـ٢٠١١م، ج١٥، ص٢١٢.

(٥) سورة المزمل، الآية [١٠].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٨٨.

قال الإمام ابن جرير ﵀ "وقوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴾: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك، وعلى أذاهم، واهجرهم في الله هجرًا جميلا، والهجر الجميل: هو الهجر في ذات الله، كما قال عز وجل ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(١)]، وقيل: إن ذلك نُسخ، حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴾ براءة نسخت ما ههنا، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يقبل منهم غيرها"[(٢)].

قال الإمام القرطبي ﵀ ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴾: "أي من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴾، أي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك ترك الدعاء الى الله، وكان هذا قبل الأمر بالقتال، ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك، قاله قتادة وغيره"[(٣)].

قال ابن الجوزي ﵀: "وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف"[(٤)].

وكذا ذكر غير واحد من المفسرين بأنها منسوخة بآية السيف والأمر بالقتال.

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٦٨].

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لـ لابن جرير الطبري، تحقيق: إسلام عبد الحميد، دار الحديث بالقاهرة، ت١٣١هـ٢٠١٠م، ط١، ج١١، ص165.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، ص١٤٨٤.

وقال ابن العربي رحمه الله: "هذه الآية منسوخة بآية القتال، وكل منسوخ لا فائدة لمعرفة معناه، لا سيما في هذا الموضع إلا على القول بأن المرء إذا غلب بالباطل كان له أن يفعل ما فعله النبي ﷺ مع الكفار حين غلبوه"(١).

الآية الثامنة قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾(٢) قال رحمه الله: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ "أي لقضائه ومن حكمه وقضائه تأخير نصرك إلى أجل اقتضته حكمته، قيل هذا منسوخ بآية السيف(٣).

لم يتعرض أئمة التفسير كابن جرير والقرطبي وابن كثير للقول بنسخ هذه الآية، وإنما ذكر النسخ من تكلم في الناسخ والمنسوخ.

قال ابن حزم(٤) رحمه الله: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾، "نسخت بآية السيف"(٥).

---

(١) أحكام القرآن، لـ أبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ت١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، ج٤، ص٣٣٣.

(٢) سورة الإنسان، الآية [٢٤].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٧٨.

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، شاعر وكاتب وفيلسوف وفقيه، ولد في مدينة قرطبة أخذ الفقه الشافعي عن شيوخ قرطبة، ونشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظّاهري، من مؤلفاته: الفِصَل في المِلَلْ والأهواء والنِّحَل، والمحلّى بالآثار، والإحكام في أصول الأحكام> عد ابن حزم درة في تاريخ الأندلس السياسي والفكري والأدبي، وقد عاش حياة مليئة بالمحن والمصائب، قضاها مناضلاً بفكره وقلمه، أكثر من أربعين عامًا، ولكن فقهاء عصره حنقوا عليه وألبوا ضده الحاكم والعامة، إلى أن أحرقت مؤلفاته ومزقت علانية بإشبيلية، توفي بقرية منتليشم من بلاد الأندلس سنة ٤٥٦هـ. (سير أعلام النبلاء ج١٨، ص ١٨٤–٢١٢. التاج المكلل في مآثر الطراز الأول والآخر، ص٧٤–٨٠).

(٥) الناسخ والمنسوخ في القرآن، لـ لابن حزم، تحقيق: د عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت١٤٠٦هـ١٩٨٦م، ص٦٣.

وتبقى الآية محكمة في بابها وهي أمر الداعي إلى الله، وسيدهم وقائدهم محمد ﷺ، بالصبر على أداء دعوته والصبر في تبليغها، والحذر من طاعتهم فإن منهم الآثم والكفور.

الآية التاسعة قوله تعالى ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾[١].

قال القنوجي رحمه الله: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ "أي أخرهم ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم والدعاء عليهم بإهلاكهم فإنّا لا نعجل؛ لأن العجلة وهي إيقاع الشيء في غير وقته اللائق به نقص، وارض بما يريده لك في أمورهم ﴿ أَمْهِلْهُمْ ﴾ بدل من مهل، ومهل، وأمهل بمعنى مثل نزل وأنزل، والإمهال الإنظار، وتمهل في الأمر اتأد، وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير، وانتصاب ﴿ رُوَيْدًۢا ﴾ على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور أو نعت لمصدر محذوف أي أمهلهم إمهالاً رويدًا أي قليلاً أو قريبًا، وقد أخذهم الله تعالى، ونسخ الإمهال بآية السيف والأمر بالقتال والجهاد"[٢].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: أي أخرهم، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم، وارضَ بما يدبره في أمورهم، ثم نسخت بآية السيف، ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾"[٣].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "ومعنى الآية: مهِّلهم قليلاً حتى أهلكهم، ففعل الله ذلك ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف"[٤].

---

(١) سورة الطارق، الآية [١٧].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٨٢.

(٣) سورة التوبة، الآية [٥]. الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٢١٧.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، ص١٥٣٥.

وإذا قلنا بعدم النسخ فتبقى الآية محكمة في بابها وهو الصبر في الدعوة واحتمال أذى المدعوين، وأنه مهما بلغ كيدهم ومكرهم فإن لهم أمدًا سيأخذهم الله عند بلوغ ذلك الأجل.

وإذا قلنا بالنسخ فيكون المنسوخ هو عدم إمهالهم على كفرهم، وأخذهم بالسيف في حال تماديهم في كيدهم للإسلام.

العاشر: سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ⑥﴾[1].

قال ﷺ: "قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف، وقيل ليست بمنسوخة لأنها إخبار، والأخبار لا يدخلها النسخ، وقيل السورة كلها منسوخة، وقال القاضي ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ الذي أنا عليه لا أرفضه، فليس فيه إذن في الكفر، ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخًا بآية القتال، وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة، وقال الحافظ ابن القيم[2] في البدائع: وقد غلط في السورة خلائق وظنوا أنها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها

---

(١) سور الكافرون، الآيات [١-٦].

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، من أعلام الإصلاح الديني في القرن الثامن الهجري، ولد في دمشق، سنة ٦٩١هـ وتتلمذ على يد ابن تيمية، حيث تأثر به تأثرًا كبيرًا وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسُجن ابن قيم الجوزية وعُذِّب عدة مرات، وأطلق من سجنه بقلعة دمشق بعد وفاة ابن تيمية، ومن أبرز كتب ابن قيّم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، كما أن له العديد من المؤلفات الأخرى في الشريعة والتفسير والفقه منها: إعلام الموقّعين، وزاد المعاد، ومدارج السالكين، أدى ابن القيم دورًا بارزًا في الفكر الإسلامي الحديث، توفي سنة ٧٥١هـ. (الأعلام ج٦، ص٥٦. انظر: البدر الطالع لمن بعد القرن السابع، لـ محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الاسلامي، ، ص١٤٣-١٤٥).

مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب، وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة عمومها نص محفوظ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها، وهذه السورة أخلصت للتوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص، والآية اقتضت البراءة المحضة وإن ما أنتم عليه من الدين لا أوافقكم عليه فإنه دين باطل، فهو مختص بكم لا نشرككم فيه، ولا تشركوننا في ديننا الحق، فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص؟ أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال لهم لكم دينكم ولي دين"[(١)].

تبين أن القنوجي ﷺ ناقش الموضوع وذكر أقوال أئمة التفسير في الموضوع، وهو الحق أن هذه الآية محكمة في بابها، وهو إثبات البراءة من دين الكافرين، وإعلان أنه لا مهادنة مع مبادئ الكفر من حيث الاعتقاد.

وأما من حيث العمل فإنها تؤيد آية السيف والجهاد في مواجهة الكافرين، والتصدي لهم بالبراءة والحجة والسيف.

هذه بعض الآيات التي تعرض صديق حسن خان القنوجي ﷺ للقول بكونها ناسخة أو منسوخة.

❁❁❁

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٤٢٤.

المبحث الثاني: آراؤه في أسباب النزول

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف سبب النزول

سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، في زمن النبي أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال(١).

ومبحث أساب النزول له فروع كثيرة ومسائل عديدة، غير أني سأقتصر على المسائل التي ذكرها القنوجي ؒ في تفسيره فتح البيان، حيز الدراسة.

۞۞۞

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لـ محمد عبد العظيم الزرقاني، صححه أمين الكردي، دار إحياء التراث، ط٢، ج١، ص٨١، وانظر: دراسات في علوم القرآن، لـ د فهد الرومي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١٤، ت١٤٢٦هـ٢٠٠٥م، ص١٣٥.

المطلب الثاني: كيف يدرك سبب النزول؟

قال القنوجي ﷺ في مقدمة التفسير: "واستمداده (التفسير) من علمي أصول الدين والفقه وهو قسمان، ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول"(١).

وهذه القاعدة التي ذكرها في معرفة سبب النزول، وأن مرد ذلك إلى النص الصحيح الصريح، هو موافقة لأئمة التفسير على ذلك.

قال الشيخ الزرقاني(٢) ﷺ: "لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح، ومن هنا لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها، فإن روي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول وإن لم يعتضد أي لم يعزز برواية أخرى تقويه، وذلك لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي لأنه يبعد كل البعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه على حين أنه خبر لا مرد له إلا السماع والنقل أو المشاهدة والرؤية"(٣).

۞۞۞

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص١٢.

(٢) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (بضم الزاي) من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر، ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسًا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٤٨م، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢١٠).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، لـ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث، ط ٢، ت، ج١، ص٨٦-٨٧ .

المطلب الثالث:

هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

يرى القنوجي رحمه الله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وسأذكر من كلامه في تفسيره فتح البيان حيز الدراسة ما يدلل على اختياره.

قال رحمه الله: "وقيل: المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار، وظاهر الآية العموم ولا يوجب تخصيصها بهم كونهم السبب في نزولها، إن صح ذلك، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(١).

وقال: "والظاهر حمل الآية على العموم، والمعنى إذا قيل لكم انهضوا إلى أمر من الأمور الدينية فانهضوا ولا تتثاقلوا ولا يمنع من حملها على العموم كون السبب خاصًا، فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق، ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجًا أوليًا وهكذا يندرج ما فيه السياق وهو التفسيح في المجلس اندراجًا أوليا"(٢).

وقال: "والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ، من أمر أو نهي، أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصًا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا، وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج١٤، ص٢٦.

قال الماوردي رحمه الله(١): "إنه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه"(٢).

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (٣)، "أي مبغضك هو المنقطع عن الخير على العموم، فيعم خيري الدنيا والآخرة، أو الذي لا عقب له أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته، وظاهر الآية العموم، وإن هذا شأن كل من يبغض النبي ﷺ ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما مر غير مرة"(٤).

كل هذه الأقوال الواردة تدل على أن القنوجي رحمه الله يرجح هذه القاعدة، ويختار هذا الاختيار.

قال الإمام السيوطي رحمه الله: "اختلف أهل الأصول هل العبرة بعموم اللفظ أوبخصوص السبب؟ والأصح عندنا الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية، وحد القذف في رماة عائشة ثم تعدى إلى غيرهم"(٥).

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ، من وجوه فقهاء الشافعية وإمام في الفقه والأصول والتفسير، كان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية وخصوصًا في مرحلتها المتأخرة، اشتهر الماوردي بكثرة التأليف وغزارة الإنتاج، من أبرز مؤلفاته: أدب الدنيا والدين، وأعلام النبوة، والحاوي الكبير، والإقناع وهو مختصر لكتاب الحاوي الكبير، وتفسير النكت والعيون، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ. (الأعلام ج٤، ص٣٢٧. البداية والنهاية، ج١٥، ص٧٦٢).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٨.

(٣) سورة الكوثر، الآية [٣].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤١٤.

(٥) الإتقان في علوم القرآن، لـ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ج١، ص٦١.

قال الإمام ابن كثير ﵀: "قلت: والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء"(١).

وقال الإمام الشوكاني ﵀: "ثم أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطة به، قيل: هي الشرك، وقيل الكبيرة، وتفسيرها بالشرك أولى؛ لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود، وإن كان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(٢).

قال المحقق الطاهر ابن عاشور ﵀: "فإن القرآن جاء هاديًا إلى ما به صلاح الأمة في أصناف الصلاح فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام، نعم إن العلماء توجسوا منها فقالوا إن سبب النزول لا يخصص، إلا طائفة شاذة ادعت التخصيص بها، ولو أن أسباب النزول كانت كلها متعلقة بآيات عامة لما دخل من ذلك ضر على عمومها إذ قد أراحنا أئمة الأصول حين قالوا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(٣).

قال الشنقيطي ﵀(٤): "واعلم أن قول من رد الاستدلال بآية ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٠٠١.

(٢) فتح القدير، لـ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط١، ت١٤١٥هـ١٩٩٤م، ج١، ص٢٢١.

(٣) التحرير والتنوير، ج١، ص٤٦.

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المدني، ولد بموريتانيا سنة ١٣٢٥هـ، اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميها .. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، وعين عضوًا في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضوًا في هيئة كبار العلماء، توفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في =

يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[1]، قائلاً: إنها نزلت في الكفار لا في المسلمين يرد قوله: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما أوضحنا أدلته من السنة الصحيحة مرارا"[2].

۞۞۞

السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، من مؤلفاته دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م (الأعلام ج٦، ص٤٥).

(١) سورة الفرقان، الآية [٦٨].

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لـ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط١، ج٦، ص٩٥.

المطلب الرابع:

دراسة أسباب النزول في تفسير فتح البيان

من سورة (الذاريات إلى سورة الناس)

وفي هذا المطلب سأدرس بعون الله أسباب النزول التي ذكرها القنوجي، والتي صرح بأنها سبب نزول، مبينا أقوال أئمة التفسير في سبب النزول الوارد في الآية، وصحة الرواية التي ذكرها بعزوها إلى مصادر السنة الأصلية، وسأكتفي بما صرح به الإمام القنوجي بأنه سبب نزول، تاركًا ما ذكر على أنه سبب نزول دون تصريحه بذلك.

السبب الأول: ذكر في سبب نزول صدر آية المجادلة، عدة روايات تبين سبب نزول تلك الآيات الكريمات التي تتحدث عن الظهار وحكمه ، ذكر القنوجي عدة روايات في سبب النزول منها:

أخرج ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي، عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(١)(٢).

---

(١) سورة المجادلة، الآية [١].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب تفسير المجادلة، ج٢، ص٤٨١، إشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة، ط١، ت١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. ورواه ابن ماجه في باب الظهار، رقم ٢٠٦٣، ص٣٥٦،

=

وساق روايات أخرى تبين سبب نزول صدر سورة المجادلة، وأنها نزلت في شأن المظاهر أوس بن الصامت وزوجته خولة، وعلي هذا السبب وقع اتفاق المفسرين.

السبب الثاني: ما ذكره من سبب نزول قول الله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

الرواية الأولى: في البخاري ومسلم وغيرهما (عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ، حرق نخل بني النضير، وقطع وهي البويرة، ولها يقول حسان رضي الله تعالى عنه:

وهـــان علـــى سَـــراة بنـــي لـــؤيٍّ　　　حريـــــقٌ بـــــالبويرةِ مســـــتطيرُ

فأنزل الله ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾)[2].

الرواية الثانية: في الترمذي وحسنه والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه:

(عن ابن عباس في الآية قال: اللينة النخلة، قال: استنزلوهم من حصونهم، وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا، فلنسألن رسول الله ﷺ، هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ

تحقيق مشهور آل سليمان، مكتبة دار المعارف، ط١، ت١٤١٧هـ. وصححه الألباني في إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ت١٣٩٩هـ١٩٧٩م، ج٧، ص١٧٥.

(١) سورة الحشر، الآية [٥].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله (ما قطعتم من لينة)، رقم الحديث ٤٨٨٤، ص٩٦٠، دار بيت الأفكار، ط١، ت١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص٩٢٩، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع شجر الكفار وتحريقها، رقم ١٨٤٦، مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٣٣هـ ٢٠١٣م، ج٥، ص١٤٥.

﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾)[1].

وهذا السبب -أيضًا- متفق عليه بين المفسرين في سبب نزول هذه الآية.

السبب الثالث: سبب نزول قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ذكر القنوجي ﷺ روايات عدة، تتلخص في سببين:

الأول: أنه حرم على نفسه جاريته مارية إرضاء لبعض أزواجه وهي حفصة وعائشة[3].

الثاني: أنه كان ﷺ يشرب عسلاً، من بيت إحدى أزواجه (روي أنها زينب وقيل سودة وقيل أم سلمة) فتواطأت عائشة وحفصة أن يقولا له إذا دخل عليهما: إنا نجد منك ريح مغافير فحرم العسل فنزلت هذه الآية، وهذه الرواية في الصحيحين[4].

وقد تركت سرد الروايات بتمامها واكتفيت بالإشارة إليها وتخريجها، ويلحق بذلك مسألة وهي: كيف يمكن الجمع بين القولين؟

جمع القنوجي ﷺ بين هذه الروايات بقوله: الجمع ممكن بوقوع القصتين، قصة مارية وقصة العسل، وأن القرآن نزل فيهما جميعًا، وفي كل واحد منهما أنه

(١) ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير، باب قوله (ما قطعتم من لينة)، برقم ١١٥٠٩، ج١٠، ص٢٩١، إشراف شعيب الأرنؤوط، تحقيق حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، ت١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٢) سورة التحريم، الآية [1].

(٣) رواه الدارقطني في سننه في كتاب الطلاق، حديث رقم ٤٠١٣، ج٥، ص٧٥-٧٧، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرؤوط وحسن شلبي وسعيد اللحام، ط١، ت١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، وأخرجه النسائي في كتاب التفسير، باب (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم ١١٥٤٣، ج١٠، ص٣٠٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، رقم الحديث ٤٩١٢، ص٩٦٧-٩٦٨، ورواه مسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، رقم ١٤٧٤،ج٤، ص١٨٤-١٨٥.

أسرَّ الحديث إلى بعض أزواجه.

قال الإمام الطبري ﵀: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرَّمه النبي ﷺ على نفسه شيئًا كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون شرابًا من الأشربة، وجائز أن يكون غير ذلك، غير أنه أيّ ذلك كان، فإنه كان تحريم شيئ كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبيَّن له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرَّم على نفسه"[(١)].

وذكر الإمام القرطبي ﵀ أقوالاً ثلاثة أولها العسل وثانيها الواهبة نفسها وثالثها مارية القبطية .. قال: "وأصح هذه الأقوال أولها، وأضعفها أوسطها، وإنما الصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى فحلف ألا يشربه وأسر ذلك"[(٢)].

وبمثل جمع القنوجي، جمع الإمام الشوكاني ﵀ فقال: "والجمع ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعًا، وفي كل واحد منهما أنه أسرَّ الحديث إلى بعض أزواجه" .. وبعد تضعيف الأقوال الأخرى قال: "هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية، ودفع الاختلاف في شأنه، فاشدد عليه يديك؛ لتنجو به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين"[(٣)].

وهذا الجمع من هؤلاء الأئمة هو الراجح والذي يجمع بين الأدلة ويعمل كل رواية في محلها.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠، ص٨٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج٢١، ص٧٠.

(٣) فتح القدير، ج٥، ص٣٥٣.

السبب الرابع: سبب نزول قوله تعالى في سورة الجن ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1]، قال القنوجي ﵀: "وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ أنك جئت بأمرٍ عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك"[2].

وهو يوافق برأيه هذا الإمام القرطبي ﵀ حيث قال: "وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمرٍ عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت"[3]، وهو ما حكاه الإمام الشوكاني ﵀ في تفسيره بنص قول القرطبي.

ولم أجد من ذكر هذا السبب، كسبب مباشر لهذا الآية، غير هؤلاء الأئمة، ثم إن حكاية القول منهم كانت مجردة عن العزو وتوضيح من رواها.

والظاهر –والله أعلم– أن الآية نزلت تثبيتًا للنبي ﷺ وللمؤمنين، وردًا على المشركين الطامعين في ثني النبي ﷺ عن دعوته.

السبب الخامس قال القنوجي ﵀: "سبب نزول قوله تعالى في سورة المدثر ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[4] عن البراء ﵁: أن رهطًا من اليهود سألوا بعض أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم فجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ فنزل

---

(١) سورة الجن، الآية [٢٠].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٦٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص٣٠٤.

(٤) سورة المدثر، الآية [٣٠].

عليه ساعتئذ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[(١)]، رواه البيهقي في البعث وابن أبي حاتم وابن مردويه"[(٢)].

وذكره قبله الإمام القرطبي وعزاه للترمذي، ووافق على ذكر سبب النزول هذا الإمام ابن كثير .. ورواها عن ابن أبي حاتم والترمذي.

وهذه الروايات تبين صحة ما ذكره القنوجي، كون هذه الحادثة هي سبب نزول قوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾.

السبب السادس: سبب نزول قوله تعالى في سورة القيامة ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[(٣)] أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ، يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتفلت منه، يريد أن يحفظه فأنزل الله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[(٤)].

وحسبك بهذه الرواية المضيئة في صحيح البخاري ومسلم تبين أن سبب نزول هذه الآيات، وهو ما وقع عليه الاتفاق عند أئمة التفسير.

---

(١) رواه الترمذي، في باب ومن سورة المدثر، رقم ٣٦١٦،ج٥، ص٥٢١، تحقيق شعيب الأرنؤط – عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ت١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، وأخرجه البيهقي في البعث باب ما جاء في خزنة جهنم، برقم ٤٦٢، ص٢٦٩، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١، ت١٤٠٦هـ ١٩٦٨م.

(٢) فتح البيان، ج١٤، ص٤١٣.

(٣) سورة القيامة، الآيات [١٦ – ١٨].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب بدء الوحي، رقم الحديث ٥، ص٢٢، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، رقم ٤٤٨،ج٢، ص٣٥.

السبب السابع: سبب نزول سورة الإنسان.

ذكر القنوجي رحمه الله سبب نزول سورة الإنسان، قال: أخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: سل واستفهم، فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والصور والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به أني كائن معك في الجنة قال: نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال: من قال لا إله إلا الله كان له عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة، ونزلت هذه السورة إلى قوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾[(١)]، فقال الحبشي وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة قال: نعم، فاستبكى حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر فلقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده[(٢)].

ذكر الرواية الإمام ابن كثير رحمه الله، وقال: "فيه غرابة ونكارة، وسنده ضعيف"[(٣)].

وذكره الإمام السيوطي رحمه الله في الدر المنثور ولم يعقب عليه بشيء[(٤)].

وبضعف الرواية يضعف القول بأن هذا سبب نزول هذه السورة، وتبع القنوجي في هذا القول بعض كتب التفسير دون تحرير، مكتفيا بذكر الرواية وعزوها إلى مصادرها.

(١) سورة الإنسان، الآية [٢٠].

(٢) رواه الطبراني في الكبير، عطاء بن رباح عن ابن عمر، رقم ١٣٥٩٥، ج١٢، ص٤٣٦، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، باب في السبي، ج٢، ص٢٣١، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، ت١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٤٤٥.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ١٥، ص١٤٣-١٤٤.

السبب الثامن: سبب نزول سورة عبس.

ذكر القنوجي ﵀ أنها نزلت بسبب إعراض النبي ﷺ عن عبد الله ابن أم مكتوم وذكر الإجماع على ذلك، ثم ذكر عدة روايات بألفاظ متقاربة.

أبينها: عن ابن عباس ﵄ قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبا جهل بن هشام، وكان يتصدى لهم كثيرًا، ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل عليهم رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرىء النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن، قال يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله ببعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[(١)] .. الآية، فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلمه وقال له: ما حاجتك هل تريد من شيء؟ وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء[(٢)].

وذكر القنوجي ﵀ إجماعًا من المفسرين على ذكر السبب، وهو ما ذكره الإمام القرطبي ﵀ في ذلك عن أهل التفسير أجمع[(٣)]، وذكر الروايات الدالة على ذلك.

---

(١) سورة عبس، الآية [١].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب تفسير عبس، ج٢، ص٥١٤-٥١٥. ورواه الترمذي، باب ومن سورة عبس، رقم ٣٦٢١،ج٥، ص٥٢٤. ورواه ابن حبان، في فصل من البر والاحسان، باب ذكر ما يستحب للمرء الإقبال على الضعفاء، برقم ٥٣٦، ج٢، ص٣٢-٣٣، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، تحقيق الألباني، دار با وزير، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٧٠.

كما ذكر الإجماع على ذلك الإمام الشوكاني ﷺ في فتح القدير(١).

السبب التاسع: سبب نزول سورة المسد ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾(٢) أخرج البخاري ومسلم وغيرهماعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾(٣) خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا إليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبًا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًّا لك إنما جمعتنا لهذا، ثم قام فنزلت هذه السورة﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾)(٤)(٥)

السبب العاشر: سبب نزول سورة الكافرون.

ذكر القنوجي ﷺ في سبب نزول هذه السورة عدة روايات، يدور مجموع مضمونها في رواية عبد الله بن عباس ﷺ: أن قريشًا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح، قال ما هي؟ قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، قال حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ ﴾(٦)، إلى آخر السورة وأنزل الله ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٥٣٩.

(٢) سورة المسد، الآية [١].

(٣) سورة الشعراء، الآية [٢١٤].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج١٥، ص٤٣٨.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة تبت، رقم الحديث ٤٩٧١، ص١٢٧١، ص٩٢٩، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، برقم ٢٠٨، ج١، ص١٣٤.

(٦) سورة الكافرون، الآيتان [١– ٢].

أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[١] إلى قوله ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٢]، أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني[٣].

وافق القنوجي رحمه الله في ذلك من أئمة التفسير، الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره، وذكر الروايات، والإمام القرطبي رحمه الله، وكذا الإمام ابن كثير رحمه الله وساق الروايات الدالة على ذلك، واتفق على ذكر ذلك جميع المفسرين.

وبهذا نكون قد عرجنا على جميع ما صرح به القنوجي، بأنه سبب نزول الآيات.

❁❁❁

(١) سورة الزمر، الآية [٦٤].

(٢) سورة الزمر، الآية [٦٦].

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير، باب القاق "من اسمه القاسم"، ج١، ص٢٦٥، وحسن أسناده الألباني في صحيح السيرة، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦.

المبحث الثالث: آراؤه في الزوائد في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الزوائد

يختلف المقصود بالزوائد ممن يطلقها، فعلماء الصرف يقصدون بها الزيادات التي تكون في بنية الكلمة، ويجمعونها في كلمة (سألتمونيها) فالسين والتاء من استنصر زائدتان، فأصل الكلمة عندهم نَصَرَ، وهي حروف مباني.

والزوائد عند النحويين هي حروف المعاني، وهي زوائد عند البصريين، وعند الكوفيين حروف الصلة.

ويعرفونها بأنها التي لا حاجة لها من حيث الإعراب، فإذا سقطت بقي الكلام تاما.

وذهب آخرون إلى أنها التي جيء بها لغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام وجمال إيقاعه، فهي لا تزيد المعنى شيئًا[١].

۞۞۞

(١) انظر: بحث اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن، لـ د صالح الوهيبي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد(١٣) ص٣-٤١، سنة ٢٠٠١م.

المطلب الثاني:

مذاهب العلماء في الزوائد في القرآن الكريم

القول بالزوائد في القرآن قال بها أكثر النحاة لأنها ترعرعت لديهم وقالوا بها، ومن القائلين بالزيادة من النحاة: سيبويه(١)، والفراء(٢)، والأخفش(٣).

وقال بالزيادة من علماء البلاغة: ابن قتيبة(٤)، والخطابي(٥)، وعبد القاهر

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، ويقصد بها بالفارسية رائحة التفاح، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، توفي في شيراز، كما قيل، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. (سير أعلام النبلاء ج٨، ص٣٥١-٣٥٢. انظر: البداية والنهاية، ج١٣، ص٦٠٦-٦٠٨).

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه لما له من معرفة بالكتب، وكان يميل إلى الاعتزال، من كتبه المعاني، ويسمى "معاني القرآن"، توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. (الأعلام للزركلي، ج٨، ص١٤٥-١٤٦. البداية والنهاية، ج١٤، ص١٦٦).

(٣) سعيد بن مسعدة المجاشعي، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبوية، توفي سنة٣١٥هـ من مؤلفاته: تفسير معاني القرآن، وهو الذي زاد في العروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر. (البداية والنهاية، ج١٥، ص٢٩. الأعلام للزركلي، ج٣، ص١٠١-١٠٢).

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي، عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، يعد من أعلام القرن الثالث للهجرة، ولد بالكوفة سنة ٢١٣هـ، ثم انتقل إلى بغداد، حيث استقرأ علماء البصرة والكوفة، فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ، عاصر صعود الفكر الاعتزالي وسقوطه، اختير قاضيًا لمدينة الدينور، ومن ثم لقب بالدينوري، وفي عهد الخليفة المتوكل العباسي، الذي أزال هيمنة فكر المعتزلة، عاد ابن قتيبة إلى بغداد، وشهر قلمه وسخَّره لإعلاء السنة وتفنيد حجج خصومها، وبذلك استحق أن يقال: إنه في أهل السنة بمنزلة الجاحظ عند المعتزلة، وأهل السنة يحبونه ويثنون عليه، ويعدونه إمامًا من أئمتهم كما فعل الخطيب البغدادي والحافظ الذهبي وابن تيمية، توفي سنة ٢٧٦هـ من مؤلفاته، غريب القرآن، وغريب الحديث. (سير أعلام النبلاء ج١٣، ص٢٩٦-٣٠١. وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢-٤٤).

(٥) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد سنة ٣١٩هـ، فقيه محدث، من نسل زيد بن الخطاب، من مؤلفاته معالم السنن، وبيان إعجاز القرآن، توفي في بست، سنة ٣٨٨هـ. (الأعلام ج٢، ص١٧٣. وفيات الأعيان، ج٢، ص٢١٤-٢١٥).

الجرجاني[١].

وقال بها من علماء التفسير: الزمخشري[٢]، وابن عطية، وأبو حيان[٣].

وقال بالزيادة الزجاج[٤] وعقد في كتابه إعراب القرآن، بابًا لما ذكر أنه حروف زائدة، وكذا الزركشي في كتابه البرهان، وعقد له مبحثًا[٥].

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، ولد بجرجان سنة ٤٠٠هـ، تتلمذ على أبي الحسين بن عبد الوارث، ابن أخت أبي علي الفارسي، يُعد عبد القاهر واحدًا من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية، ويُعد كتابه دلائل الإعجاز قمة تلك المؤلفات، حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية التعليق أو نظرية النظم، التي سبق بها عصره، ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين، وتقف ندا قويا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث، توفي سنة ٤٧١هـ. (سير أعلام النبلاء ج١٨، ص٤٣٢-٤٣٣. الأعلام للزركلي، ج٤، ص٤٨).

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى، ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، سنة ٤٦٧هـ، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ، معتزلي المذهب، سافر إلى مكة وجاور بها زمانًا، فصار يقال له: جار الله، وأصبح هذا الاسم علمًا عليه، من مؤلفاته كتابه الكشاف الذي وصف بأنه لم يصنَّف قبله مثله، لولا الاعتزال الذي فيه، توفي سنة ٥٣٨هـ. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص١٧٨. البداية والنهاية، ج١٦، ص١٣٥).

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، ولد غرناطة، سنة ٦٤٥هـ، أخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي، وتقدم في النحو، وأكبَّ على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ واشتهر اسمه، وطار صيته، وهو الذي جسَّر الناس على مصنفات ابن مالك، ورغّبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ. (الأعلام ج٧، ص١٥٢. البداية والنهاية، ج١٨، ص٤٧٣).

(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وكانت له مناقشات مع ثعلب وغيره، توفي في بغداد سنة ٣١١هـ، من كتبه معاني القرآن، وتفسير أسماء الله الحسنى. (الأعلام ج١، ص٤٠. وفيات الأعيان، ج١، ص٤٩).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، لـ بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، مكتبة دار التراث القاهرة، ط٣، ت١٤٠٤هـ١٩٨٤م، ج٣، ص٧٠-٩٠.

والقول بالزيادة ظاهر في تفسير الزمخشري، وابن عطية، وابن عادل[1]، وتفسير أبي حيان.

وبنفي الزوائد في القرآن الكريم، والقول بأصالتها، قال أئمة التفسير، كابن جرير الطبري، والرازي، والعلائي[2]، وابن كثير، فقد قال إنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه وهذا ممتنع[3]، وأيد هذا القول من أئمة البلاغة، ابن الأثير[4]، والرافعي[5].

❁❁❁

---

(١) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفي سنة ٧٧٥هـ، صاحب تفسير اللباب في علوم الكتاب. (الأعلام للزركلي، ج٥، ص٥٨).

(٢) صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، الحافظ الفقيه ذو الفنون محدث فاضل، ولد في دمشق، سنة ٦٩٤هـ، وتعلم بها، ورحل رحلة طويلة، ثم أقام في القدس مدرسًا في الصلاحية سنة ٧٣١هـ، فتوفي فيه، سنة ٧٦١هـ، من كتبه: المجموع المذهب في قواعد المذهب، وبرهان التيسير في عنوان التفسير، و كشف النقاب عما روى الشيخان للأصحاب. (البداية والنهاية، ج١٨، ص٦٠٠. الأعلام ج٢، ص١٢١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٥١٣.

(٤) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب، ولد في جزيرة ابن عمر، سنة ٥٥٥هـ، وسكن الموصل، وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها سنة ٦٣٠هـ، من تصانيفه: الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة. (الأعلام للزركلي، ج٤، ص٣٣٢. انظر: مقدمة كتاب النهاية في غريب الحديث، لـ ابن الأثير، تحقيق احمد الخراط، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ج١، ص١٩-٢٥).

(٥) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، ولد في بهتيم، سنة ١٢٩٨هـ، توفي في طنطا سنة ١٣٥٦هـ، من مؤلفاته إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢٣٥).

المطلب الثالث: منهج القنوجي في الزوائد

ويبرز منهج القنوجي ﷺ من هذه المسألة من صنيعه في تفسيره فتح البيان، فإنه يقول بالزيادة في عدة مواضع من تفسيره، إلا أنه لا يرتضي القول بالزيادة في مواضع أخرى، وهو ما سيتضح في المطلب الرابع عند دراسة الحروف التي ذكر زيادتها.

تحقيق القول في هذه المسألة:

والحق في هذه المسألة هو ما اختاره أئمة التفسير وأعلام اللغة من المتقدمين والمتأخرين، فحاشا كلام الله أن يكون فيه شيء زائد لا فائدة من وجوده، ولعلي أن أنقل إليك بعض أقوال هؤلاء الأعلام.

وسأتجاوز كلام أئمة التفسير الطبري، وابن كثير، والرازي، لأني سأذكره عند الكلام على الحروف التي ذكر القنوجي زيادتها، وآتيك بأقوال المحققين الكبار لهذه المسألة.

ابن تيمية(١):

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحصيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين والفكر الإسلامي، ولد بحرَّان بتركيا، سنة ٦٦١هـ، رحل إلى دمشق مع أسرته هربًا من غزو التتار، وتلقى العلم على والده وعلى مشايخ دمشق وظهرت عليه علامات النجابة منذ نعومة أظفاره، فكان قوي الذاكرة سريع الحفظ، نهل من منهج النبوة، حتى آلت إليه الإمامة في العلم والعمل سنة ٧٢٠هـ، كان من أشد مفكري الإسلام نقدًا للفلسفة وعلم الكلام، ذهب ابن تيمية إلى مصر فسُجن بها، ورجع إلى دمشق، وجاهد ضد التتار وحبسه السلطان لفتواه عن طلاق الثلاث، وتحرش به علماء دمشق عند السلطات ليوقعوا به، فَحُبِس ثانية في قلعة دمشق ومات فيها، سنة ٧٢٨هـ، وخرجت البلدة على بكرة أبيها تشيع جنازته، مؤلفاته تربو على ثلاثمائة مجلد في علوم الإسلام المختلفة من أهمها: اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أهل الجحيم، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، والصارم المسلول على شاتم الرسول، والواسطة بين الخلق والحق، والعقيدة التدمرية، والكلام على حقيقة الإسلام والإيمان، والعقيدة الواسطية، وبيان

=

له رسالة كاملة عن الحروف الزائدة، رد فيها على من زعم زيادة الحروف في القرآن الكريم، وناقش الحروف التي زعموا زيادتها.

قال في بدايتها: "فأعلم أنه ليس في القرآن لفظة زائدة لا تفيد معنى، ولا كلمة قد فهم معناها مما قبلها فأعيدت لا لمعنى، أو لمجرد التأكيد المحض، دون فائدة جديدة، وهذا في اللفظ المستقل بنفسه بخلاف الحروف التي لا تستقل كالباء واللام، ثم ناقش الحروف التي زعموا زيادتها، وبين الرد على ذلك"[١].

مصطفى كامل الرافعي:

قال في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: "ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال ما يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أوما يجري مجرى الحشو والاعتراض"[٢].

ويمكن أن نلخص ما كتبه الرافعي في المبحث في النقاط الآتية:

١- تأكيده على نفي زيادة الحروف في القرآن الكريم، وأن ذلك إنما كان صنعة نحوية لا يجوز تعميمها.

٢- استحالة أن تقع زيادة حرف وكلمة في القرآن الكريم؛ لأن إعجاز القرآن إعجاز تركيب وصوت وبلاغة.

الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، ودرء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة النبوية. (الأعلام ج١، ص١٤٤. انظر: التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول، ص٤١٢-٤٢٣).

(١) رسالة في علوم القرآن، لـ لابن تيمية، تحقيق: علي بن أحمد الكندي، مؤسسة بينونة، أبو ظبي، ط١، ت١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص١٧.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لـ مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٩، ت١٣٩٣هـ١٩٧٣، ص ٢٢٤-٢٢٥.

٣- تنبيهه ﷺ على دقة نظم القرآن في الحروف واختيار دلالتها ووجه اختياره ومكان وجوده.

وإن أردت مزيدًا فارجع إلى كلامه في مظانه ترى الحق ينطق على لسانه، والصواب ما خطت أنامله.

محمد عبد الله دراز[(١)]:

قال ﷺ في كتابه النبأ العظيم: "دع عنك أقوال الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها مقحمة وفي بعض حروفه إنها زائدة، زيادة معنوية، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة التأكيد فيرمي بها في كل موطن يظن فيه الزيادة"[(٢)].

فأنت ترى نكيره الشديد على أصحاب هذا القول، بل وسم أصحابه بالجهل والتسرع في النظر، وخلاصة ما ذكره يتلخص في الآتي:

١- أن تلك الحروف التي زعموا زيادتها، يتعارض قولهم مع إعجاز القرآن في حسن إيجاز القرآن، وهو من إعجاز القرآن.

٢- القول بالزيادة جهل في دقة الميزان الذي وضع عليه أسلوب القرآن، والذي أعجز بلغاء العرب.

٣- وجوب النظر والإمعان في فوائد الحروف ودلالات ورودها، فإن عجز فليرد العلم إلى عالمه.

۞۞۞

(١) الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله دراز العالم الأزهري الفقيه، الأديب من هيئة كبار العلماء بالأزهر ولد في قرية محلة دياى، بمحافظة كفر الشيخ سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، نشأ في بيت علم وصلاح، فوالده الشيخ عبد اللّه درَّاز هو شيخ علماء دمياط، ووالده صاحب الشرح على الموافقات للشاطبى، حصل على عضوية جماعة كبار علماء الأزهر في مصر سنة ١٩٤٩م، تُوفي في باكستان أثناء حضوره المؤتمر الإسلامى في يناير سنة ١٩٥٨م، من مؤلفاته النبأ العظيم، ودستور الأخلاق في القرآن. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٤٦).

(٢) النبأ العظيم، لـ محمد عبد الله دراز، دار الثقافة قطر، ت٥١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص١٣٠-١٣١.

المطلب الرابع: الأحرف التي ذكر أنها زائدة

وبعد تلك المقدمة وذلك البيان، وإظهار الحق في هذه المسألة، نأتي إلى تلك الحروف التي حكى القنوجي زيادتها، مع ذكر آراء أئمة التفسير حول ما ذكره.

أولا: حرف الباء:

ذكر القنوجي ﷺ زيادة حرف الباء في ستة مواضع من تفسيره، حيز الدراسة، وفيما يلي تلك المواضع مع مناقشة حكايته للزيادة كل في موضعه.

الموضع الأول قال عند قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١): "وسبح متعدّي بنفسه وبحرف الجر، فالباء زائد والاسم باق على معناه"(٢).

ونسوق –هنا– كلام الإمام الرازي ﷺ في رده على القول بزيادة الباء، قال: "الباء في قوله: ﴿بِٱسْمِ﴾ غير زائدة، وتقريره من وجهين أحدهما: أنه لما ذكر الأمور وقال نحن أم أنتم، فاعترف الكل بأن الأمور من الله، وإذا طولبوا بالوحدانية قالوا: نحن لا نشرك في المعنى وإنما نتخذ أصناما آلهة في الاسم ونسميها آلهة والذي خلقها وخلق السموات هو الله فنحن ننزهه في الحقيقة فقال ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾، وكما أنك أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراكهما في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما في الاسم، ولا تقل لغيره إله، فإن الاسم يتبع المعنى والحقيقة، وعلى هذا فالخطاب لا يكون مع النبي ﷺ بل يكون كما يقول الواعظ: يا مسكين أفنيت عمرك وما أصلحت عملك، ولا يريد أحدًا بعينه، وتقديره يا أيها المسكين السامع.

---

(١) سورة الواقعة، الآية [٧٤] .

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٨٠.

وثانيهما: أن يكون المراد بذكر ربك، أي إذا قلت: فسبح ربك بذكر اسمه بين قومك واشتغل بالتبليغ، والمعنى اذكره باللسان والقلب وبين وصفه لهم وإن لم يقبلوا فإنك مقبل على شغلك الذي هو التبليغ، ولو قال: فسبح ربك، ما أفاد الذكر لهم، وكان ينبىء عن التسبيح بالقلب، ولما قال: فسبح باسم ربك، والاسم هو الذي يذكر لفظًا دل على أنه مأمور بالذكر اللساني وليس له أن يقتصر على الذكر القلبي ويحتمل أن يقال: فسبح مبتدئًا باسم ربك العظيم فلا تكون الباء زائدة"[1].

الموضع الثاني قال عند قوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾[2]، الباء زائدة كقوله تنبت بالدهن"[3].

قال ابن كثير ﷺ: "﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾، فيه تضمين دل عليه حرف الباء، كأنه مقدر: استعجل سائل بعذاب واقع"[4].

وقال في أضواء البيان: "المعلوم أن مادة سأل لا تتعدى بالباء، كتعديها هنا، ولذا قال ابن كثير ﷺ: إن الفعل ضمن معنى فعل آخر يتعدى بالباء وهو مقدر ما استعجل، وذكر عن مجاهد أن سأل بمعنى دعا"[5].

الموضع الثالث قال عند قوله تعالى ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾[6] "وقيل الباء في بها زائدة ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة {**يشربها**}"[7].

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٩، ص١٨٦.

(٢) سورة المعارج، الآية [١].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٠٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٤٠٢.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٨، ص٤٥٣.

(٦) سورة الإنسان، الآية [٦].

(٧) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٦١.

ويقال في الباء –هنا– ما قيل في الأول من أن الفعل يشرب ضمن معنى الارتواء أي يرتوي بها، قال ابن كثير ﵀: "لهذا ضمن يشرب "يروى" حتى عداه بالباء، ونصب **{عينًا}** على التمييز"[1].

الموضع الرابع قال عند قوله تعالى ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[2]: "قيل والباء في بها زائدة أي يشربها أو بمعنى "من" أي يشرب منها"[3].

وبمثل ما تقدم في الموضع الثالث يرد –هنا– فلا داعي للقول بالزيادة.

الموضع الخامس قال عند قوله تعالى ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[4]: "متعلق بتحدث أو بنفس أخبارها والباء زائدة، وقيل سببية أي بسبب إيحاء الله إليها"[5].

قال الألوسي[6] ﵀: "للسببية أي تحدث بسبب إيحاء ربك لها وأمره سبحانه إياها بالتحديث"[7].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٤٤٢.

(٢) سورة المطففين، الآية [٢٨].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ص١٥، ص١٣٧.

(٤) سورة الزلزلة، الآية [٥].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٤٣.

(٦) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني فقيه ومفسر ومحدث، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ، وتلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان شديد الحرص على التعلم ذكيًا فطنًا، لا يكاد ينسى شيئًا سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع، اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة، فذاع صيته وكثر تلاميذه، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة ١٢٦٣هـ، له عدة كتب قيِّمة، أبرزها تفسيره الكبير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، توفي الألوسي في ذي القعدة في بغداد سنة ١٢٧٥هـ، ودُفن فيها. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص١٧٦).

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لـ نعمان الألوسي، دار إحياء التراث بيروت،ج٣٠، ص٢١٠.

الموضع السادس قال عند قوله تعالى ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾[(١)]: "والباء زائدة للتأكيد أي أيكم المفتون بالجنون كذا قال الأخفش وأبو عبيدة وغيرهما إلا أنه ضعيف من حيث أن الباء لا تزاد في المبتدأ إلا في بحسبك فقط، وقيل ليست الباء زائدة"[(٢)].

وهنا يناقش القنوجي ﷺ القول بزيادة الباء ولا يرتضيه، وقد ناقش الإمام الطبري القول بزيادة الباء -هنا- وقال في نهاية كلامه: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: بأيكم الجنون، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر؛ لأن ذلك أظهر معاني الكلام، إذا لم ينو إسقاط الباء وجعلنا لدخولها وجهًا مفهومًا"[(٣)].

ثانيًا: أنْ:

حكى زيادتها في موضع واحد، حيز الدراسة، عند قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[(٤)]، لكنه ناقش القول بزيادتها، ولم يرتض القول بزيادتها، حيث قال: "والأصل في أن لا

(١) سورة القلم، الآية [٦].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٥٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، ج١١، ٢٧.

(٤) سورة الحديد، الآية [١٠].

تنفقوا فموضعه نصب أو جر، وليست أن زائدة كما يرى أبو الحسن زيادتها، بل هي مصدرية، والمعنى في عدم الإنفاق في سبيل الله أي: في طاعته وما يكون قربة إليه فسبيله كل خير يوصلهم إليه فهو استعارة تصريحية، والاستفهام للتوبيخ والتقريع"(١).

وهو بهذا يوافق أئمة التفسير، فلم أر حكاية زيادة "أنْ" في هذا الموضع لا في تفسير الطبري، ولا ابن كثير، ولا القرطبي، ولا الرازي.

ثالثا: مِنْ:

ذكر زيادة مِنْ في موضعين:

الموضع الأول عند قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾(٢)، قال: "ومِن مزيدة لتأكيد النفي وإضافة خلق الرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله والمفعول محذوف تقديره لهن أو لغيرهن"(٣).

والموضع الثاني عند قوله تعالى ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا ﴾(٤)، حيث قال: "**وما** في ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ ﴾،نافية، والفاء جواب الشرط إن كانت ما في ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ ﴾، شرطية، وإن كانت موصولة فالفاء زائدة و﴿ مِنۡ ﴾ في ﴿ مِنۡ خَيۡلٖ ﴾، زائدة للتأكيد"(٥).

لم أجد القول بزيادتها عند أئمة التفسير.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٤٠١.

(٢) سورة الملك، الآية [٣].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٣١.

(٤) سورة الحشر، الآية [٦].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٤.

رابعا: لا:

ذكر زيادة لا في عدة مواضع، وهي:

الموضع الأول عند قوله تعالى ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١]، قال: "ولا في لئلا زائدة قاله الفراء والأخفش وغيرهما"[٢].

ونسوق في الرد على القول بزيادة لا ما قاله الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره حيث قال بعد ذكر القول بزيادة لا: "والقول الثاني: أن لفظة (لا) غير زائدة، فاعلم أن الضمير في قوله: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ ﴾ عائد إلى الرسول وأصحابه، والتقدير: لئلا يعلم أهل الكتاب أن النبي والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله، وأنهم إذا لم يعلموا أنهم لا يقدرون عليه فقد علموا أنهم يقدرون عليه، ثم قال ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾، أي وليعلموا أن الفضل بيد الله، فيصير التقدير: إنا فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد أهل الكتاب أنهم يقدرون على حصر فضل الله وإحسانه في أقوام معينين، وليعتقدوا أن الفضل بيد الله، واعلم أن هذا القول ليس فيه إلا أنا أضمرنا فيه زيادة، فقلنا في قوله ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ وليعتقدوا أن الفضل بيد الله وأما القول الأول: فقد افتقرنا فيه إلى حذف شيء موجود، ومن المعلوم أن الإضمار أولى من الحذف، لأن الكلام إذا افتقر إلى الإضمار لم يوهم ظاهره باطلاً أصلا، أما إذا افتقر إلى الحذف كان ظاهره موهمًا للباطل، فعلمنا أن هذا القول

---

(١) سورة الحديد، الآية [٢٩].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٤٢٩.

أولى، والله أعلم"[1].

الموضع الثاني: قال عند قوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴾[2]: "و (لا) زائدة والتقدير فأقسم بما تشاهدونه وما لا تشاهدونه، وقيل إن (لا) ليست بزائدة بل هي أصلية لنفي القسم أي لا أحتاج إلى قسمٍ لوضوح الحق في ذلك والأول أولى"[3].

ومع اختياره القول بزيادة لا هنا، نسوق ما قاله الإمام الطبري ﷺ ردًّا على من يقول بزيادتها قال: "فلا ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسله، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها، والتي لا تبصرون"[4].

فيكون المعنى رد لكلام سبق، فجاءت لا لترد الكلام الأول، أو أن تكون لا نافية للقسم، فيكون المعنى إنه لا حاجة للقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، فانتفى القول بزيادة لا.

الموضع الثالث: قال عند قوله تعالى ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[5]: "لا زائدة كما تقدم قريبًا والمعنى فأقسم برب المشارق والمغارب"[6].

وما قيل في الموضع الثاني يقال هنا.

الموضع الرابع: ذكر زيادة لا عند قوله ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[7]، وناقشه، لكنه صوَّب القول بزيادة لا في الموضعين حيث قال:

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٩، ص٢٤٩.

(٢) سورة الحاقة، الآية [٣٨].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٠١.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١، ص٨٢.

(٥) سورة المعارج، الآية [٤٠].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٣٣.

(٧) سورة القيامة، الآيتان [١-٢].

"وجرى الجلال المحلى على زيادتها في الموضعين وهو الصواب"(١).

ولا المتقدمة على القسم، وتسمى توكيد، ما يقال عنها في موضع يقال عنها في كل المواضع، فهي إما توكيد للقسم على أهميته وعظيم ما يقسم عليه، أو أنها لرد لكلام سابق بنفيه، والقسم على المراد إثباته.

وناقش الإمام الطبري ﷺ الأقوال ثم قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوَّامة، وجعل لا ردًّا لكلام قد كان تقدَّمه من قوم، وجوابًا لهم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا والله، لا فعلت كذا، أنه يقصد بلا ردَّ الكلام، وبقوله: والله، ابتداء يمين، وكذلك قولهم: لا أقسم بالله لا فعلت كذا؛ فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريًا مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له، وبعد: فإن الجميع من الحجة مجمعون على أن قوله ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾،قسم فكذلك قوله ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، إلا أن تأتي حجة تدل على أن أحدهما قسم والآخر خبر، وقد دللنا على أن قراءة من قرأ الحرف الأول **لأقسم** بوصل اللام بأقسم قراءة غير جائزة، فتأويل الكلام إذًا: لا ما الأمر كما تقولون أيها الناس من أن الله لا يبعث عباده بعد مماتهم أحياء، أقسم بيوم القيامة"(٢).

الموضع الخامس: قال عند قول الله تعالى ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾(٣): "لا زائدة كما تقدم تحقيقه وتحقيق ما فيه من الأقوال في أول سورة القيامة"(٤).

ونحن نقول: ما تقدم تحريره وتحقيقه عند كلامنا على القسم في سورة القيامة، يقال -هنا- وأن القول بزيادتها قول مرجوح.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٣٣-٤٣٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١، ص٢١٩-٢٢٠.

(٣) سورة التكوير، الآية [١٥].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٠٢.

الموضع السادس: قال عند قوله تعالى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾[1]: "ولا زائدة ومن زيادة لا في الكلام في غير القسم قول الشاعر:

تـذكرتُ ليلـى فـاعترتنى صـبابةٌ   وكـاد صـميمُ القلـبِ لا يتصـدَّعُ

أي يتصدع"[2].

وهنا مثل سابقه أي أن هناك شيئًا منفيًا قبل القسم، قدره ابن كثير رحمه الله بقوله: "لا رد عليهم، أقسم بهذا البلد"[3].

خامسًا: اللام:

الموضع الأول: قال عند قول الله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[4]: "أي ينزهه فاللام زائدة"[5].

وحسبنا في رد القول بزيادة لا -هنا- ما قاله الإمام الرازي رحمه الله حيث قال: "هذا من جملة ما يجري فيه اللفظان: كشكره وشكر له، ونصحه ونصح له"[6].

الموضع الثاني: قال عند قول الله تعالى ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ ﴾[7]: "اللام الأولى مزيدة والمعنى وليك ما تكره، وقال في الثانية واللام مزيدة

---

(١) سورة البلد، الآية [١].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٣٧

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٥٠٨.

(٤) سورة الجمعة، الآية [١].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٢٩.

(٦) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٢.

(٧) سورة القيامة، الآيتان [٣٤-٣٥].

كما في ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾"[١].

سادسًا: ما:

الموضع الأول: قال عند قوله تعالى ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[٢]: "وما زائدة أو مصدرية أو موصولة، أي كانوا قليلاً من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه، والتهجاع القليل من النوم وقيل: ما نافية أي ما كانوا ينامون قليلاً من الليل، فكيف بالكثير منه وهذا ضعيف جدا"[٣].

وقد ناقش الإمام الطبري رحمه الله الأقوال، وقال بعد ذكرها: "وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ قول من قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم؛ لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحًا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل"[٤].

وقال الرازي رحمه الله: "يمكن أن يقال: قليلاً منصوب على أنه خبر كان وما مصدرية تقديره كان هجوعهم من الليل قليلاً فيكون فاعل كانوا هو الهجوع، ويكون

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٤٨، و ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾جزء من قوله تعالى في سورة النمل، ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ الآية [٧٢].

(٢) سورة الذاريات، الآية [١٧].

(٣) المصدر السابق، ج١٣، ص١٩٤.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠، ص٣٧٣.

ذلك من باب بدل الاشتمال؛ لأن هجوعهم متصل بهم فكأنه قال كان هجوعهم قليلاً كما يقال: كان زيد خلقه حسنًا، فلا يحتاج إلى القول بزيادة"(١).

الموضع الثاني: قال عند قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٢): "أي باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلاً نعت لمحذوف "وما" مزيدة لتأكيد التقليل أي شكرًا قليلاً أو زمانًا قليلاً فالقلة على ظاهرها، وقيل: أراد بقلة الشكر عدم وجوده منهم إن كان الخطاب للكفرة، قال مقاتل: يعني أنكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه"(٣).

ويعني تفسير مقاتل أن ما نافية، فيكون المعنى أنه لا يوجد منهم شكر أصلاً لا قليل ولا كثير، ويمكن أن تكون ما مصدرية على مذهب الكوفيين الذين يجوزون عمل الصلة بما قبلها.

قال الإمام الرازي ﷺ: "قالوا: لفظة ما في قوله ﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾(٤) و﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٥)، لغو، وهي مؤكدة، وفي قوله: ﴿ قَلِيلًا ﴾ وجهان الأول: قال مقاتل: يعني بالقليل أنهم لا يصدقون بأن القرآن من الله، والمعنى لا يؤمنون أصلاً، والعرب يقولون: قلما يأتينا يريدون لا يأتينا"(٦).

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٨، ص٢٠٢.

(٢) سورة الملك، الآية [٢٣].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٤٥.

(٤) سورة الحاقة، الآية [٤١].

(٥) سورة غافر، الآية [٥٨].

(٦) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٣٠، ص١١٧.

الموضع الثاني: قال عند قوله تعالى ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾(١): "ما مزيدة للتأكيد والمعنى من خطيئاتهم"(٢).

وقوله أنها زائدة هو قول أكثر المفسرين، ولأننا قد قررنا أنه لا زيادة في كلام الله تعالى فنذكر كلام الإمام الرازي ﷺ في الرد على القول بزيادتها، قال: "**ما** صلة كقوله: فبما نقضهم، و قوله فبما رحمة، والمعنى من خطاياهم أي من أجلها وبسببها، وقرأ ابن مسعود: **من خطيآتهم ما أغرقوا**، فأخر كلمة ما، وعلى هذه القراءة لا تكون **ما** صلة زائدة لأن **ما** مع ما بعده في تقرير المصدر"(٣).

وقال في موضع آخر: "ذهب الأكثرون الى أن **ما** في قوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٤) ، صلة زائدة ومثله في القرآن كثير، كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٖ﴾(٥)، وقوله: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ﴾(٦)، وقوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾(٧)، قالوا: والعرب قد تزيد في الكلام للتأكيد على ما يستغنى عنه، قال تعالى ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٨)، أراد فلما جاء، فأكد بأن.

---

(١) سورة نوح، الآية [٢٥].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٤٣

(٣) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٣٠، ص١٤٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية [١٥٩].

(٥) سورة المؤمنون، الآية [٤٠].

(٦) سورة ص، الآية [١١].

(٧) سورة نوح، الآية [٢٥].

(٨) سورة يوسف، الآية [٩٦].

وقال المحققون: دخول اللفظ المهمل الضائع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز، وههنا يجوز أن تكون **ما** استفهامًا للتعجب تقديره: فبأي رحمة من الله لنت لهم"(١).

الموضع الثالث: قال عند قوله تعالى ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(٢): "﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ ﴾ متعلق بـ﴿ رَكَّبَكَ ﴾ و ﴿**ما** ﴾ مزيدة و ﴿ شَآءَ ﴾ صفة لصورة أي ركبك في أي صورة شاءها، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال أي ركبك حاصلاً في أي صورة"(٣).

قال القرطبي ﷺ: "يجوز أن تكون صلة مؤكدة، أي في أي صورة شاء ركبك، ويجوز أن تكون شرطية أي إن شاء ركبك في غير صورة الإنسان من صورة قرد أو حمار أو خنزير، فـ**(ما)** بمعنى الشرط والجزاء؛ أي في صورة ما شاء يركبك ركبك"(٤).

وقال الرازي ﷺ: "**ما** هل هي مزيدة أم لا؟ فيه قولان: الأول: أنها ليست مزيدة، بل هي في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك، وبناء على هذا الوجه، قال أبو صالح ومقاتل: المعنى إن شاء

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٩، ص٨٢.

(٢) سورة الانفطار، الآية [٨].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١١٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص١٢٤-١٢٥.

ركبك في غير صورة الإنسان من صورة كلب أو صورة حمار أو خنزير أو قرد، والقول الثاني: أنها صلة مؤكدة والمعنى في أي صورة تقتضيها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة، فإنه سبحانه يركبك على مثلها"[(١)].

وبهذا تبين أن القول بالزيادة في القرآن الكريم هو قول متأخر عن القرون الفاضلة، وإنما نشأ ابتداء في حاضنة النحاة، وقد تنبه لذلك كبار المفسرين، كابن جرير ﷺ، حيث نبه أن القول بزيادة الحروف يمكن أن يتطور إلى القول بزيادة كلمة، ثم جملة، وبهذا يأتي الخطر.

كما أن ذكر بعض المفسرين لكلمة زيادة، لا تعني أن ذلك من حشو الكلام الذي يستوي معه ذكر الحرف من عدم ذكره، إنما جروا على منهج بعض النحاة في قولهم حرف زائد، بينما هم يذكرون فوائد هذه الحروف البلاغية والصوتية، وغيرها من الفوائد.

۞۞۞

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٣١، ص٨٢.

المبحث الرابع: آراؤه في التفسير الفلسفي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود من التفسير الفلسفي

أنزل الله القرآن على محمد ﷺ العربي الفصيح، بل سيد البلغاء، أفصح من نطق بالضاد، نزل في بيئة عربية، يتنافسون في نظم الكلام وسبكه، بل ويعلقون أفصح قصائدهم على أقدس مقدساتهم، يعلقونها على الكعبة دليلاً على تعظيمهم لفصيح الكلام وبليغه.

فجاء القرآن متحديًا لفصيحهم وشاعرهم وخطيبهم، فعجزوا أن يأتوا بمثله، أو مضاهاة لفظه ونظمه.

آمن من آمن به تصديقًا بإعجازه، متأثرًا بصدق أخباره، مائلاً عن شرك الوثنية التي يجدها في واقعه.

ولأنهم العرب البلغاء الفصحاء فقد كانوا يفهمون معانيه، ويدركون أسراره، وما خفي عليهم من معانيه رجعوا إلى منهل العلم، ومن تنزل عليه القرآن محمد ﷺ فيبين لهم مراده وما خفي عليهم من فهمه.

واستمر الأخذ عن هذا المعين الصافي في تفسير القرآن الكريم، حتى بعد رحيل صاحب النور محمد ﷺ، فقد ورث العلم أصحابه، فنشروا القرآن وفسروا معانيه بما حفظوه عن رسول الله ﷺ، وبما يفهمونه باجتهادهم، تساعدهم في ذلك لغتهم الفصحى.

واستمر هذا الحال حتى بدأ ظهور القُصَّاص والإخباريين، وأدخل بعض المفسرين بعض الرواية عن أهل الكتاب.

وجاءت الداهية العظمى بترجمة كتب اليونان في عصر بني العباس، وزاد البلاء بأن كان المترجمون لهذه الكتب ليس لديهم علم بالكتاب والسنة، بل كان

بعضهم من المغرضين في إفساد هذا الدين، بل بعضهم من غير المسلمين، من الفرس والهنود وغيرهم.

وانقسم العلماء إلى فريقين حيال هذه الكتب المترجمة، فأنكرها أقوام وتبرئوا من أهلها ونظرياتها، فكانوا أسلم الناس من شرها وشر ما جاءت به.

وقبلها آخرون، وانقسم هؤلاء إلى قسمين: قسم قبلها جملة وكيف على نظرياتها جميع أخبار القرآن والسنة.

وقسم قبل ما وافق القرآن حسب فهمه ورد ما خالف القرآن.

ومن هؤلاء من ألف في التفسير فأدخل الفلسفة في تفسير القرآن وخلط صفاء القرآن بسواد الفلسفة.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي(١) رحمه الله: "إن علماء المسلمين لم يكونوا جميعًا على مبدأ واحد بالنسبة للآراء الفلسفية، بل وجد منهم من وقف منها موقف الرفض وعدم القبول، كما وجد منهم من وقف موقف الدفاع عنها والقبول لها، وكان من هؤلاء وهؤلاء أثر ظاهر فى تفسير القرآن الكريم.

أما الفريق المعاند للفلسفة فإنه لما فسر القرآن اصطدم بهذه النظريات الفلسفية، فرأى من واجبه كمفسر أن يعرض لهذه النظريات ويمزجها بالتفسير، إما على طريق الدفاع عنها وبيان أنها لا تتعارض مع نصوص القرآن، وذلك بالنسبة

---

(١) محمد حسين الذهبي، باحث مفسر من كبار علماء الأزهر ولد سنة ١٣٣٣هـ، شغل منصب أستاذ بالمعهد الديني بالقاهرة، ثم بكلية أصول الدين بالأزهر، فوزيرًا للأوقاف، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: التفسير والمفسرون، ومقدمة في علم التفسير، ومقدمة في علوم القرآن، ومقدمة في علوم الحديث، والإسرائيليات في التفسير والحديث، ونور اليقين من هدي خاتم المرسلين، اختطف وقتل سنة ١٣٩٧هـ، قيل لتذهب معالم السرقات التي كانت بيده وثائقها منذ كان وزيرًا للأوقاف، (إتمام الأعلام، لـ نزار أباضة ومحمد ريض المالح، دار صادر، ط١، ت١٩٩٩م، ص٢٣١).

للنظريات الصحيحة عنده والمسلمة لديه، وإما على طريق الرد عليها، وبيان أنها لا يمكن أن تساير نصوص القرآن، وذلك بالنسبة للنظريات التى لا يسلمها ولا يقول بها.

وهو فى الحالة الأولى يشرح القرآن على ما يوافق هذه النظريات التى لا يراها متعارضة مع الدين، وفى الحالة الثانية لا يمشى على ضوء النظريات الفلسفية فى تفسيره، بل يفسر النصوص على ضوء الدين والعقل وحدهما، دون أن يكون للرأى الفلسفى دخل فى شرح النص القرآنى وبيان معناه، وممن فعل هذا فى تفسيره الإمام فخر الدين الرازى، ودونك التفسير فسترى فيه ما ذكرته.

وأما الفريق المسالم للفلسفة، المصدق بكل ما فيها من نظريات وآراء، فإنه لما فسر بالقرآن سلك طريقًا كله شر وضلال، إذ أنه وضع الآراء الفلسفية أمام عينيه، ثم نظر من خلالها إلى القرآن فشرح نصوصه على حسب ما تمليه عليه نزعته الفلسفية المجردة من كل شيء إلا من التعصب الفلسفى.

وأخيرًا وجدنا أنفسنا أمام شروح لبعض آيات القرآن، هى فى الحقيقة شروح لبعض النظريات الفلسفية، قصد بها تدعيم الفلسفة وخدمتها على حساب القرآن الكريم، الذى هو أصل الدين ومنبع تعاليمه" [(١)].

۞۞۞

(١) التفسير والمفسرون، لـ محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، ط١، ت ١٤٣٣هـ٢٠١٢م، ج٢، ص٣٦٦-٣٦٧.

المطلب الثاني:

موقف القنوجي من هذا النوع من التفسير

وجاء القنوجي ﵀ في عصر ليرى تفسير القرآن وقد خلط بهذه الفلسفات الباطلة، فوقف منها موقفا حازمًا رادًّا لضلالاتها، منكرًا على متعاطيها.

وسيظهر ذلك جليًّا في المطلب التالي، وسنرى من خلال النماذج التي ذكرها عن أولئك القوم ردًّا حازمًا، وحاسمًا، وموقفه هذا هو موقف أئمة الهدى.

قال الإمام الشافعي ﵀: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام".

وقال أحمد بن حنبل ﵀[(١)]: "لا يفلح صاحب كلامٍ أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل".

وقال مالك ﵀: "أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد".

قال ابن عبد البر ﵀: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم"[(٢)].

وما أجمل ما سطره الدكتور محمد حسين الذهبي ﵀ في آخر مبحثه حيث قال: "ولعل القارىء الكريم يلحظ معى أن الإمامية الإثنا عشرية والباطنية الإسماعيلية، ومتطرفى الصوفية، ورجال الفلسفة الإسلامية، كلهم يسيرون على نمط

---

(١) الإمام المبجل إمام أهل السنة، ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين.

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لـ ابن عبد البر، تحقيق/ أبي الأشبال الزهيثري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ت ١٤١٤هـ١٩٩٤م، ج١، ص٩٤١-٩٤٢.

واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه، ذلك هو ما يعبرون عنه بالرمز، أو الإشارة، أو الباطن، ويظهر لنا أنها عدوى سرت إلى المسلمين من قدماء الفلاسفة، ثم تلقتها هذه الفرق بصدر رحب، وتقبلتها بقبول حسن؛ لأنهم رأوا فيها عونًا كبيرًا على ترويج بدعهم ونشر ضلالاتهم بين المسلمين"[1].

ودونك نماذج من ذم القنوجي ﷺ لهذا النوع من التفسير لكلام الله تعالى لترى نفرته وتنفيره عن هذا البلاء الذي أصاب الأمة، والذي كان مدخلاً لبدع كثيرة، فما جاءت بدعة القول بخلق القرآن إلا بعد هذه الفلسفات، وغير هذا كثير، والذي يحمل حامل لواء راية ترجمة تلك الضلالات إثم من ضل ويضل بسببها.

وهذا التنفير من القنوجي ﷺ هو الأعم الأغلب في تفسيره، لكن يلحظ عليه أنه أحيانًا يذكر هذا النوع من التفسير دون الإشارة إلى ضلاله وبدعيته.

فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[2] قال: "وعن الواسطي: أوائل العلم الخشية ثم الإجلال ثم الهيبة ثم التعظيم ثم الفناء"[3].

فلم يتعرض لمصطلح الفناء، الذي هو من مصطلحات الصوفية، ويقصدون به فناء عن وجود السوى، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود، وأنه لا وجود لسواه، لا به ولا بغيره، وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره.

(١) التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٧٨.

(٢) سورة النازعات، الآية [١٩].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٦١.

وقد يعتذر له بأنه يعتبر الفناء فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب، والتوكل عليه وعبادته، وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص، وهو في الحقيقة عبادة القلب، وتوكله، واستعانته، وتألهه وإنابته، وتوجهه إلى اللّه وحده لا شريك له، وهذه هي أحوال المؤمن، وليس لأحد خروج عن ذلك، لكنه لم ينبه إلى مقصوده من ذلك، خصوصا أن مصطلح الفناء لا يعرف إلا عن طريق المتصوفة الاتحادية، وليس به نص أو أثر.

۞۞۞

المطلب الثالث:

نماذج من التفسير الفلسفي

إن الناظر في تفسير فتح البيان يجد بوضوح تام أن القنوجي ﵀ لم يرتض منهج المفسرين الذين خلطوا تفاسيرهم بالفلسفة، ويجد منه موقفًا حازمًا وحاسمًا تجاه هذا الباطل الذي استورده من لا خير فيهم، وفرضوه على الأمة.

وسنورد نماذج من تفسيره، حيز الدراسة، تبرهن على موقفه الحازم.

النموذج الأول:

عند تفسير قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[1]، أورد كلام الرازي الذي يرد على بعض المفسرين المنكرين لانشقاق القمر، وهو بهذا النقل، يقر الرازي في رده.

قال الرازي ﵀: "قال بعض المفسرين: المراد سينشق، وهذا بعيد لا معنى له؛ لأن من منع ذلك –وهو الفلسفي خذله الله– يمنعه في الماضي والمستقبل ومن يجوزه لا يحتاج إلى التأويل، ثم رد على المانع وقال: والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه مرارا".

ثم قال القنوجي ﵀ في آخر بحثه لهذه المسألة: "ومع هذا فقد نقل إلينا بطريق التواتر، وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به في وجه قائله، والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق ولم يخبرنا بأنه سينشق، وإن نظرنا إلى سنة رسوله ﷺ فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك

---

(١) سورة القمر، الآية [١].

في أيام النبوة، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت إلى شذوذ من شذ، واستبعاد من استبعد"(١).

النموذج الثاني:

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢): "واستنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي ﷺ؛ لأن السورة رأس ثلاث وستين سورة، وعقبت بالتغابن إشارة لظهور التغابن بوفاته ﷺ، ذكره الكرخي، وليس هذا من تفسير الكتاب في شيء، بل من لطائف الكلام وتفنن المرام"(٣).

رحم الله صداك يا قنوجي، كم بليت الأمة بمفسرين من هذا النوع، وفي عصرنا تحول بعض هؤلاء إلى من يحلل أحداث العالم وما يقع فيه من القرآن، فقد كان هناك من أقحم القرآن في أحداث أمريكا (تفجير برجي التجارة الشهيرة بأحداث ١١ سبتمبر) وحشر مدلولات ألفاظ القرآن وأرقام الآيات الكريمة وعددها، في تحديد تاريخ الهجوم وتفصيلاته، حتى إنهم زعموا أن القرآن أشار إلى اسم الشارع الذي وقع فيه الهجوم، ومثل هذا كثير، فالحروب والملاحم عند هؤلاء محددة التفاصيل والأماكن في القرآن، وكل هذا من الافتراء على كتاب الله تعالى.

النموذج الثالث:

عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾(٤)، ذكر عدة أقوال في معنى الوتر، ثم قال: "ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين، والضعف الظاهر،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) سورة المنافقون، الآية [١١].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢١٥ .

(٤) سورة الفجر، الآية [٣].

والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطيء، والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهما معروفان واضحان، فالشفع عند العرب الزوج، والوتر الفرد.

فالمراد بالآية إما نفس العدد أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر، وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية فإن كان الدليل يدل على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك، وإن كان الدليل يدل على أنه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناولها لغيره"(١).

النموذج الرابع:

قال عند تفسير قول الله تعالى ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾(٢): "وقد استدل بعض الجهال بهذه الآية على جواز الاحتفال لمولده ﷺ، وهذا تحريف لمعاني كتاب الله لم يذهب إليه أحد من المفسرين بل هو خلاف إجماع المسلمين"(٣).

النموذج الخامس:

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾(٤): "وهو الذي يعصرون منه الزيت الذي هو إدام غالب البلدان ودهنهم ويدخل في كثير من الأدوية، وقال الضحاك المسجد الأقصى، وقال ابن زيد مسجد بيت المقدس، وقال قتادة الجبل الذي عليه بيت المقدس، وقال عكرمة وكعب الأحبار بيت المقدس، وعن ابن عباس قال بلاد فلسطين وفي سنده مجهول، وقال –أيضًا– بيت المقدس.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٥٩ .
(٢) سورة البلد، الآية [٣].
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٤٠ .
(٤) سورة التين، الآية [١].

وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى، المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقلٍ ونقل، وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية، قال الفراء: سمعت رجلاً يقول: التين جبال حلوان إلى همدان، والزيتون جبال الشام.

قلت هب إنك سمعت هذا الرجل فكان ماذا، فليس بمثل هذا تثبت اللغة، ولا هو نقل عن الشارع، وقال محمد بن كعب الزيتون مسجد إيليا، وقيل إنه على حذف مضاف أي ومنابت التين والزيتون، قال النحاس(١) لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه.

قال الرازي أما الزيتون فهو فاكهة من وجه ودواء من وجه، ويستصبح به، ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى"(٢).

وبهذا علم منهج صديق حسن خان القنوجي ﵀ من التفسير الفلسفي المعتمد على الفلسفة، أو التفسير الباطني المعتمد على تأويلات لا يدل عليها شرع ولا لغة، وهو بهذا الموقف يكون قد وافق علماء الإسلام وأئمة الهدى في منهج التفسير الحق والرد على زنادقة الرافضة والباطنية الذي أرادوا هدم الدين ومحو شعائره، ولكن الله غالب على أمره ومظهر دينه على أيدي مجددي الأمة، ومنهم هذا الإمام المبارك،

(١) أبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس النحاس النحوي كان من الفضلاء وله تصانيف مفيدة وكتاب في النحو اسمه: التفاحة وكتاب الكافي في النحو وكتاب الناسخ والمنسوخ، روى عن النسائي وأخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش والزجاج وابن الأنباري ونفطويه وأعيان أدباء العراق وكان قد رحل إليهم من مصر، كان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير توفي بمصر سنة ٣٣٨هـ. (وفيات الأعيان، ج١، ص٩٩. أبجد العلوم، ج٣، ص٥٥).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٠٠.

صديق حسن خان القنوجي رحمه الله رحمةً واسعة.

❁❁❁

المبحث الخامس: آراؤه في القراءات القرآنية

للقنوجي ﷺ تعالى منهجه في ذكر القراءات القرآنية، وقبل البدء بذكر منهجه، نقدم بمقدمة مختصرة عن علم القراءات؛ ليتضح من خلالها أهمية بحث القراءات في كتب التفسير، وهو ما لم يهمله القنوجي ﷺ في تفسيره فتح البيان، وذلك في أربعة مطالب، يليها المطلب الخامس الذي خصصته لمنهج القنوجي في القراءات القرآنية.

المطلب الأول: تعريف علم القراءات

روى الإمام مسلم(١) في صحيحة عن أبي بن كعب ﷺ قال: (كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءةً أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه؟! فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأا فحسَّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا، فقال لي: «يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرفٍ فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق

---

(١) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد سنة ٢٠٦هـ، من أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، مصنف كتاب صحيح مسلم الذي يعد ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري، أخذ عن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وتتلمذ على الإمام البخاري، كان أحد أئمة الحديث وحفاظه، اعترف علماء عصره ومن بعدهم له بالتقدم والإتقان في هذا العلم، توفي بـ(نصر أباد) قرب نيسابور سنة ٢٦١هجرية. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢٢١. مقدمة صحيح مسلم، ج١، ص٢١–٢٥).

كلهم حتى إبراهيم ﷺ»[١].

هذا الحديث العظيم الذي يدل على فضل الله الواسع وكرمه وتوسيعه على عباده من هذه الأمة، وهو يبين شفقة هذا النبي الرحيم بهذه الأمة، ولأجل ذلك سأل هذه المسألة.

وهذا الحديث هو مدخل العلماء في كلامهم على القراءات القرآنية، فالأحرف السبعة هي تلك اللهجات السائدة بين العرب، تيسيرًا على الأمة حتى يقرأ كل صاحب لهجة بلهجته التي يحسنها، وليس المراد بالأحرفِ السبعةِ القراءاتِ السبعةَ بالإجماع[٢].

القراءات القرآنية لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا.

وفي الاصطلاح: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم، من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف.

وعرفها الزرقاني ؒ بقوله: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القُرَّاء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[٣].

وهذه القراءات القرآنية هي مجمل ما بقي من الأحرف السبعة التي أنزلت على النبي ﷺ، ومصدرها الوحيد هو الوحي الرباني الذي نزل به جبريل على النبي ﷺ عن طريق النقل الصحيح والمتواتر[٤].

۞۞۞

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف،ج٢، ص٢٠٣.

(٢) الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر، لـ أحمد المعصراوي، ط دار الإمام الشاطبي، ت١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ج١، ص٢٨٨.

(٤) انظر: مقدمات في علم القراءات، لـ د محمد أحمد مفلح وآخرين، دار إعمار عمان، ت١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ط١، ص٤٨.

المطلب الثاني: نشأة علم القراءات

المصدر الوحيد لتلقي القرآن هو الوحي، وقد دل الحديث السابق على أن النبي ﷺ كان يُقرئ الصحابة بالحروف المختلفة التي أذن الله لرسوله فيها، إذن فظهور القراءات هي متوافقة مع نزول القرآن وتلقي الصحابة القرآن من فم النبي ﷺ.

وقد أخذ الصحابة القرآن وتحملوه بحسب ما قرأ كل واحد عن النبي ﷺ، ثم تفرقوا في الأمصار معلمين للقرآن ومقرئين له بحسب ما سمعوه، وصار لكل واحد منهم طلابه ومدرسته، وانتشر هؤلاء الطلاب الآخذون عن الصحابة، انتشروا في الأمصار يُقرؤون القرآن ويعلمونه، وصار لهؤلاء الطلاب طرق ومدارس تنسب إليهم.

وكان أول من وضع له القواعد والأصول أبو عمرو حفص بن عمر الدوري[1] رحمه الله، وأول من دون فيه أبو عبيد القاسم بن سلاَّم[2][3] رحمه الله.

۞۞۞

(١) تأتي ترجمته ضمن القراء.

(٢) القاسم بن سلام الهروي الازدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ولد بهراة سنة ١٥٧هـ ٧٧٤م، توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ ٨٣٨م، من كتبه الغريب المصنف في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، وفضائل القرآن. (وفيات الأعيان، ج٤، ص٦٠-٦٢. الأعلام للزركلي، ج٥، ص١٧٦).

(٣) المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من الشاطبية، لـ خالد العلمي، دار الزمان المدينة المنورة، ط١، ت١٤١٩هـ١٩٩٨م، ج١، ص٦.

المطلب الثالث: القراءة المتواترة والشاذة

وضع العلماء شروطًا للقراءة المتواترة وهي:

أولاً: موافقة وجه صحيح من وجوه العربية.

ثانيًا: موافقة أحد المصاحف التي أرسلها عثمان ﷺ للأمصار.

ثالثًا: حصول التواتر إلى النبي ﷺ، بحيث ينقل هذه القراءة جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب.

وهذا التواتر متحقق في القراءات العشر المشهورة، وهو ما استقر عليه إجماع العلماء، يقول محمد عبد العظيم الزرقاني ؒ: "والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر كلها متواترة وهو رأي المحققين من الأصوليين والقُرَّاء كابن السبكي(١) وابن الجزري(٢) والنويري(٣) بل هو رأي

---

(١) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولد في سبك (من أعمال المنوفيه بمصر) سنة ٦٨٣هـ، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، توفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ، من كتبه: الدر النظيم في التفسير، لم يكمله، ومختصر طبقات الفقهاء. (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١، ص٣٢٠. الأعلام ج٤، ص٣٠٢).

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، المشهور بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، ولد في دمشق سنة ٧٥١هـ، ونشأ بها، وأنشأ فيها مدرسة سماها دار القرآن، رحل إلى مصر مرارًا، ودخل بلاد الروم وسافر مع تيمورلنك إلى بلاد ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز، فولي قضاءها، ومات فيها سنة ٨٣٣هـ، من مؤلفاته: النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، ونهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات، والتمهيد في علم التجويد. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص٤٥).

(٣) محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النويري: فقيه مالكي عالم بالقراءات، ولد في الميمون (من قرى الصعيد بمصر) سنة ٨٠١هـ وتعلم بالقاهرة، وتوفي بمكة سنة ٨٥٨هـ، وكان يتكسب بالتجارة، مستغنيًا عن وظائف الفقهاء، عرض عليه القضاء فامتنع، من تصانيفه، (شرح المقدمات الكافية في النحو والصرف والعروض والقافية، ومنظومة في القراءات الثلاث الزائدة على السبع، و(شرحها)، و(شرح طيبة النشر في القراءات العشر، وهى لشيخه ابن الجزري. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص٤٧-٤٨).

أبي شامة(١) في نقل آخر صححه الناقلون عنه وجوزوا أن يكون الرأي الآنف مدسوسًا عليه أو قاله أول أمره ثم رجع عنه"(٢).

وما سوى العشر يعتبر شاذًّا، قال عبد الفتاح القاضي في كتابه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: "وقد نقل ابن عبد البر(٣) إجماع المسلمين على أنه لا يصلى خلف من قرأ بها، وقال ابن الصلاح(٤): وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة داخل الصلاة وخارجها، وكذلك صرح ابن الحاجب(٥) والسبكي بتحريم القراءة بالشاذ"(٦).

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القدس، ولد في دمشق سنة ٥٩٩هـ، وتوفي بها سنة ٦٦٥هـ، ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، من مؤلفاته: مختصر تاريخ ابن عساكر، وإبراز المعاني في شرح الشاطبية. (الأعلام للزركلي ،ج٣، ص٢٩٩. التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول، ص١٥١).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص٣٠٨.

(٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ ٩٧٨م، من كتبه من كتبه: الدرر في اختصار المغازي والسير، والاستيعاب، توفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ ١٠٧١م. (الأعلام للزركلي، ج٨، ص٢٤٠. وفيات الأعيان، ج٧، ص٦٦-٧٠).

(٤) عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ولد في شرخان (قرب شهرزور) سنة ٥٧٧هـ، وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان، فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية، وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث، وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ، من كتبه: معرفة أنواع علم الحديث، والاستقصا والذخيرة السنية (وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٤٣. الأعلام، ج٤، ص٢٠٧-٢٠٨).

(٥) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية كردي الأصل، ولد في أسنا (من صعيد مصر) سنة ٥٧٠هـ، سكن دمشق، ومات بها سنة ٦٤٦هـ من تصانيفه الكافية في النحو، ومنتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل في أصول الفقه. (الأعلام للزركلي، ج٤، ص٢١١).

(٦) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لـ: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ت١٤٠١هـ١٩٩م، ص٩.

القراءة الشاذة:

الشاذ لغة: المنفرد، وهو ما انفرد عند الجمهور.

واصطلاحًا: ما اختل فيها ركنٌ من أركان القراءة المتواترة الثلاثة المذكورة في القراءة المتواترة[١].

قال ابن الجزري "ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة"[٢].

۞۞۞

(١) انظر: مقدمات في علم القراءات، ص٧٢.

(٢) النشر في القراءات العشر، لـ: لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت، ص٩.

المطلب الرابع: **أئمة القُرَّاء العشرة**

وقيض الله رجالاً أعلامًا من هذه الأمة حفظة لكتاب الله نطقًا ورسما، أجمعت الأمة على الأخذ بطريقتهم، فكانوا أئمة هذا العلم وقدوة السائرين، وما من قارئ يقرأ اليوم إلا على طريقة واحد من هؤلاء الأعلام.

وهذه ترجمة موجزة لكل علم من أولئك الأعلام مع راوييه، ومع كل راوي طرقه التي رويت قراءته من طريقها، مرتبًا لهم حسب نظم إمام القراءات الإمام الشاطبي.

الإمام الأول: نافع المدني ﷫: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وتوفي بالمدينة سنة ١٦٩هـ، وراوياه:-

الأول: قالون: عيسى بن منيا المدني ﷫ معلم العربية، ويكنى أبا موسى، وقالون لقب لقَّبه به شيخه نافع لجودة قراءته؛ لأن قالون بلسان الروم الجيد، توفي بالمدينة سنة 220هـ، وله طريقان رويت قراءته عنهما: طريق أبي نشط وطريق الحلواني.

الثاني: ورش: عثمان بن سعيد المصري ﷫، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب له، لقبه به شيخه نافع؛ لشدة بياضه، توفي بمصر سنة ١٩٧هـ، له طريقان رويت قراءته عنهما: طريق الأزرق، والثاني: طريق الأصبهاني.

الإمام الثاني: ابن كثير: عبد الله بن كثير المكي ﷫، من التابعين، وتوفي بمكة سنة ١٢٠هـ، وراوياه:-

الأول: البزي: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المؤذن المكي ﷫، ويكنى أبا الحسن، وتوفي بمكة سنة ٢٥٠هـ، له طريقان رويت قراءته عنهما: طريق أبي ربيعة، وطريق ابن الحباب.

الثاني: قنبل: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي ﷺ، ويكنى أبا عمرو، ويلقب قنبل، توفي بمكة سنة ٢٩١هـ، له طريقان رويت قراءته عنهما، طريق ابن مجاهد، وطريق ابن شنبوذ.

الإمام الثالث: أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري ﷺ، توفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ، وراوياه: -

الأول: الدوري أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري النحوي ﷺ، توفي سنة ٢٤٦هـ، وله طريقان: طريق أبي الزعراء، وطريق ابن فرح.

الثاني: السوسي أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي ﷺ، توفي سنة ٢٦١هـ، له طريقان: طريق ابن جرير، وطريق ابن جمهور.

الإمام الرابع: ابن عامر عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي ﷺ، قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، أبو عمران، من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ١١٨هـ، وراوياه: -

الأول: هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي ﷺ، ويكنى أبا الوليد، وتوفي بدمشق سنة ٢٤٥هـ، له طريقان: طريق الحلواني، طريق الدجواني.

الثاني: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي ﷺ، ويكنى أبا عمرو، ولد ١٧٣هـ وتوفي بدمشق سنة ٢٤٢هـ.

الإمام الخامس: عاصم بن أبي النجود الكوفي ﷺ، ويقال له ابن بهدلة، أبو بكر، من التابعين، توفي بالكوفة سنة ١٢٨هـ وراوياه: -

الأول: أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم الكوفي ﷺ، وتوفي بالكوفة سنة ١٩٣هـ، له طريقان: طريق يحي ابن آدم، وطريق يحيى العليمي.

الثاني: حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي ﵀، ويكنى أبا عمرو، قال ابن معين: هو أقرأ من أبي بكر، وتوفي سنة ١٨٠هـ، له طريقان: عبيد الله بن الصباح، وطريق عمرو بن الصباح.

الإمام السادس: حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي ﵀، ويكنى أبا عمارة، وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ، وراوياه: **الأول:** خلف بن هشام البزاز ﵀، يكنى أبا محمد توفي ببغداد سنة ٢٢٩هـ، رويت قراءته من طرق ابن عثمان وابن مقسم وابن صالح والمطوعي جميعهم عن إدريس.

الثاني: خلاد بن خالد، ويقال ابن خليد، الصيرفي الكوفي ﵀، ويكنى أبا عيسى، وتوفي بالكوفة سنة ٢٢٠هـ، ورويت قراءته عن ابن شاذان وابن الهيثم والوزان والطلحي.

الإمام السابع: الكسائي، علي بن حمزة الكوفي ﵀، إمام النحاة الكوفيين، ويكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، توفي سنة ١٨٩هـ، راوياه: –

الأول: أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي ﵀، توفي سنة ٢٤٠هـ، رويت قراءته من طريقين، الأول طريق محمد بن يحيى، والثاني سلمة بن عاصم.

الثاني: حفص الدوري ﵀، وقد سبق ذكره، ورويت قراءته من طريقين طريق جعفر النصيبي، والثاني: طريق أبي عثمان الضرير.

الإمام الثامن: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني ﵀، توفي بالمدينة سنة ١٢٨هـ، وراوياه:–

الأول: أبو الحارث عيسى بن وردان المدني ﷺ، وتوفي بالمدينة سنة ١٦٠هـ، رويت القراءة عنه من طر يقين: طريق الفضل بن شاذان، والثاني طريق الدوري عن إسماعيل بن جعفر.

الثاني: أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني ﷺ، توفي بالمدينة سنة ١٧٠هـ، رويت القراءة عنه من طريقين: طريق أبي أيوب الهاشمي، والثاني طريق الدوري عن إسماعيل بن جعفر.

الإمام التاسع: أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي ﷺ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٥هـ، وراوياه:-

الأول: أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري ﷺ، الملقب برويس، توفي بالبصرة سنة ٢٣٨هـ، ولرويس أربع طرق هي طريق النخاس، وأبي الطيب، وابن مقسم، والجوهري، أربعتهم عن التمار.

الثاني: أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوي ﷺ، وتوفي سنة ٢٣٤هـ، ولروح طريقان: طريق ابن وهب، والثاني طريق الزبيري.

الإمام العاشر: أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي ﷺ، وتوفي ٢٢٩هـ، راوياه:-

الأول: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المروزي ثم البغدادي ﷺ، توفي سنة ٢٨٦هـ، وله طريقان: طريق السوسنجردي، والثاني طريق بكر بن شاذان عن أبي عمر، ومن طريقي محمد بن إسحاق والبرصاطي.

الثاني: أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد، ﷺ توفي يوم الأضحى سنة ٢٩٢هـ، وله أربع طرق وهي: طرق الشطي والمطوعي وابن بويان والقطيعي.

القراء فيما سوى العشرة:

تقدم فيما مضى الإجماع على تواتر العشر، وأن ما سواها يسمى شاذا، وهذه أسماء القراء فيما سوى العشرة.

الأول: الحسن البصري، ﷺ مولى الأنصار، أحد كبار التابعين المشهورين بالزهد والورع، توفي سنة ١١٠هـ.

الثاني: محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن ﷺ، توفي سنة ١٢٣هـ.

الثالث: يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي ﷺ، توفي سنة ٢٠٢هـ.

الرابع: أبو الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي ﷺ، ٣٨٨هـ[١].

إن مبحث علم القراءات القرآنية مبحث واسع وفيه فروع كثيرة، وحسبنا من هذه المقدمة أن بينا أهم ما في هذا المبحث ليتضح بعد ذلك ما سنذكره عن منهج الإمام القنوجي ﷺ في القراءات القرآنية، وأهم مصطلحات هذا الفن.

۞۞۞

(١) انظر: معرفة القراء الكبار، لـ للإمام شمس الدين الذهبي تحقيق د طيار قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي تركيا، ت١٤١٦هـ١٩٩٥م، ص١٧٢-٣٥٩، وانظر: مباحث في علوم القرآن، لـ مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١١، ت٢٠٠٠م، ص١٧٢-١٧٥.

المطلب الخامس:

منهج القنوجي في القراءات القرآنية

بيَّن صديق حسن القنوجي ﷺ في مقدمة تفسيره منهجه في القراءات القرآنية فقال: "وحيث ذكرت فيه شيئًا من القراءات فهو من السبع المشهورات إلا ما شاء الله، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها أو لورودها، وإذا قرع سمعك ما لم تسمع به من المحصلين فلا تسرع وقف وقفة المتأملين لعلك تطلع بوميض برق إلهي، وتألق نور رباني من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة على برهان له جلي أو بيان من سلف صالح واضح وضي"(١).

هذا المنهج الذي التزمه في موضوع القراءات القرآنية، وقد التزمه من حيث الجملة، وبعد تتبع منهجه في القراءات القرآنية يمكن أن تتلخص في النقاط الآتية:

أولاً: منهجه مع المتواتر

ويمكن تلخيص ذلك في ثلاث طرق، أذكرها مدللاً على ذلك ببعض الأمثلة التي أوردها.

الطريقة الأولى: يذكر القراءة من غير نسبة ولا توجيه.

قال عند قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا﴾(٢): "قرىء بالتخفيف والتشديد وهما سبعيتان"(٣).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص٢٣ .
(٢) سورة النبأ، الآية [١٩].
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٤ .

ذكر هنا قراءتين متواترتين، لكنه لم يبين من قرأ بهما، ولم يوجه القراءة أيضا.

فقد قرأ ورش عن نافع بتشديد التاء، وقرأ الباقون بفتحها، وتوجيه التشديد أنه من صيغ المبالغة، ويفيد معنى زائدا.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1): "قرأ قالون وأبو عمرو بسكون الهاء والباقون بضمها"(2).

وهنا ذكر قراءتين لكنه لم ينسب القراءة لجميع من قرأ، حيث قرأ بتسكين الهاء قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر، وقرأ الباقون بضمها.

وقد كان هذا هو غالب منهجه في القراءات المتواترة، فهو لا ينسبها لقارئها إلا نادرا.

الطريقة الثانية: يذكر القراءة موجهة غير منسوبة لقارئها.

قال عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾(3): "قرأ الجمهور ﴿ جَمَعَ ﴾ مخففًا وقرىء مثقلاً، قال الرازي: الفرق أن التشديد يفيد أنه جمعه من ههنا ومن ههنا ولم يجمعه في يوم واحد، ولا في يومين، ولا في شهر، ولا في شهرين، وأن التخفيف لا يفيد ذلك"(4).

فأنت ترى –هنا– أنه وجه المتواتر لكنه لم ينسبه لقارئه تفصيلا، حيث قرأ بالتشديد في ﴿ جَمَّعَ ﴾ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح وخلف، وقرأ الباقون بالتخفيف.

---

(1) سورة الحديد، الآية [1].

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٩٥.

(3) سورة الهمزة، الآية [2].

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٨٢.

الطريقة الثالثة: يذكر القراءة موجهة منسوبة بالتفصيل.

قال عند قوله تعالى: ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (١): "قرأ نافع والكسائي وأبو بكر ﴿**قواريرًا**﴾ بالتنوين فيهما مع الوصل وبالوقوف عليهما وبالألف، وقد تقدم وجه هذه القراءة في تفسير قوله ﴿**سلاسلاً**﴾ من هذه السورة، وبينا هنالك وجه صرف ما فيه صيغة منتهى الجموع.

وقرأ حمزة بعدم التنوين فيهما وعدم الوقف بالألف، ووجه هذه القراءة ظاهر؛ لأنهما ممتنعان لصيغة منتهى الجموع، وقرأ هشام بعدم التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالألف.

وقرأ ابن كثير بتنوين الأول دون الثاني والوقف على الأول بالألف دون الثاني.

وقرأ أبو عمرو وحفص وابن ذكوان بعدم التنوين فيهما والوقف على الأول بالألف دون الثاني، وبسط السمين(٢) في ذكر هذه الوجوه الخمسة في القراءة"(٣).

وهنا نسب القراءة لقارئها، وأيضا وجهها، وهو ظاهر من كلامه.

ثانيًا: منهجه مع الشواذ

ويمكن تلخيص ذلك في أربع نقاط.

---

(١) سورة الإنسان، الآية [١٦].

(٢) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة، من كتبه تفسير القرآن في عشرين جزءًا، و(شرح الشاطبية) في القراءات قال ابن الجزري: لم يسبق إلى مثله، توفي سنة ٧٥٦هـ، (الأعلام ج١، ص٢٧٤).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٦٩ .

الأولى: يذكر القراءة الشاذة مع المتواتر، دون التنبيه على شذوذها.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[١]: قرأ الجمهور يشاق بالإدغام، وقرىء يشاقق بالفك"[٢].

فإن قراءة الفك شاذة، ولم ينبه لذلك.

وقال عند قوله تعالى ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾[٣]: "قرأ الجمهور ﴿**لبدا** ﴾ بضم اللام وفتح الباء مخففا وقرىء بضمها بالتخفيف وقرىء بضم اللام وفتح الباء مشددا"[٤].

وقراءة ضم اللام والباء قراءة شاذة ولم ينبه لذلك.

وقال عند قوله تعالى ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[٥]: "قرأ الجمهور ﴿**فوسطن** ﴾ بتخفيف السين وقرىء بالتشديد"[٦].

قراءة التشديد شاذة كذلك ولم ينبه لشذوذها.

قال عند قوله تعالى ﴿ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾[٧]: "قرأ الجمهور ﴿**مستقر** ﴾ بكسر القاف، وهو مرتفع على أنه خبر والمبتدأ وهو كل، وقرىء بالجر على أنه صفة لأمر، وقرىء بفتح القاف قال أبو حاتم: ولا وجه لها، وقيل: وجهه كل أمر ذو استقرار، أو زمان استقرار، أو مكانه على أنه مصدر أو

---

(١) سورة الحشر، الآية [٤].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤١ .

(٣) سورة البلد، الآية [٦].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٤٢.

(٥) سورة العاديات، الآية [٥].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٥٣.

(٧) سورة القمر، الآية [٣].

ظرف زمان أو ظرف مكان"(١).

قراءة فتح القاف شاذة، ولم يتعرض لبيان ذلك أيضا، وهذا كثير منه ﷺ ولو أن باحثًا تتبع القراءات الشاذة في تفسير فتح البيان لوجد من هذا النوع كثيرا.

الثانية: يذكر القراءة الشاذة موجها لها، من غير نسبة، ولا بيان درجتها.

قال عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٢): "قرأ الجمهور ﴿ بِمَا جَآءَكُم ﴾ بالموحدة، وقرىء **لما جاءكم** باللام أي لأجل ما جاءكم من الحق على حذف المكفور به، أي كفروا بالله والرسول لأجل ما جاءكم من الحق، أي دين الإسلام، والقرآن، أو على جعل ما هو سبب للإيمان سببًا للكفر توبيخًا لهم"(٣).

فإن قراءة **لما جائكم** شاذة، لكنه ناقشها ووجهها دون التعرض لشذوذها.

الثالثة: يذكر القراءة الشاذة منبهًا على شذوذها، غير منسوبة لقارئها.

قال عند قوله تعالى: ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾(٤): "قرىء بفتح الراء ويجوز كسرها، كما قرىء به شاذا"(٥).

بين -هنا- أن قراءة الكسر شاذة، لكنه لم ينسبها.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٨٩.

(٢) سورة الممتحنة، الآية [١].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٧٤.

(٤) سورة الطور، الآية [٣].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢١٨

وقال عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾[1]: "وقرىء بسكون الهاء، وهما لغتان، وقرىء بضم النون والهاء على الجمع شاذا"[2].

وهنا –أيضًا– ذكر القراءة الشاذة، لكنه لم ينسسبها.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[3]: "والعامة على نصب ﴿**كل**﴾ بالاشتغال، وقرىء بالرفع وقد رجح الناس النصب بل أوجبه بعضهم، قال: لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة، وقال أبو البقاء: وإنما كان النصب أولى لدلالته على عموم الخلق، والرفع لا يدل على عمومه، بل يفيد أن كل شيء مخلوق فهو بقدر، وإنما دل نصب كل على العموم، لأن التقدير: إنا خلقنا كل شيء بقدر، فخلقناه تأكيد، وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات، وللسمين هنا كلام مبسوط لا نطول بذكره"[4].

وقال عند قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾[5]: "قرأ الجمهور ﴿إِيَابَهُمْ﴾ بالتخفيف وقرىء بالتشديد، قال أبو حاتم: لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام والقيام، وقيل هما لغتان بمعنى، قال الواحدي وأما ﴿إِيَابَهُمْ﴾ بتشديد الياء فإنه شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج"[6].

الرابعة: يذكر القراءة الشاذة ناسبا لها لقارئها، من غير بيان شذوذها.

---

(١) سورة القمر، الآية [٥٤].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٠٩

(٣) سورة القمر، الآية [٤٩].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص ٣٠٧.

(٥) سورة الغاشية، الآية [٢٥].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٠٨.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾[1]: "قرأ الجمهور ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ وقرأ أبو حيوة **في الحفرة**"[2].

فإن أبا حيوة ليس من القراء أصحاب القراءات المتواترة، ولم ينبه لذلك.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[3]: "قرأ الجمهور **الموءودة** بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة، وقرأ البزي في رواية عنه بهمزة مضمومة ثم واو ساكنة، وقرأ الأعمش **المودة** بزنة الموزة، وقرأ الجمهور **سئلت** مبنيًّا للمفعول، وقرأ الحسن بكسر السين من سال يسيل، وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس **سألت** مبنيًّا للفاعل، **وقتلت** بضم التاء الأخيرة، وهذه قراءة شاذة"[4].

وهنا -أيضًا- نسب القراءة، ولم ينبه للأعمش والأخرى للحسن، ولم يبين شذوذها لأن هؤلاء من أصحاب الشواذ إذا انفردوا.

هذا هو منهج القنوجي ﷺ في القراءات مع ذكر الدلائل على هذا المنهج من القراءات التي ذكرها، وهذا المبحث واسع، لو تتبع أحد الشواذ في تفسير فتح البيان لكان بحثًا مستقلاً ورسالة علمية قيمة، ولعل الله أن ييسر من الباحثين من يتولى هذا الموضوع.

وإنما كان غرضنا -هنا- التنبيه على ذكر منهجه في القراءات القرآنية.

۞۞۞

---

(١) سورة النازعات، الآية [١٠].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٥٨.

(٣) سورة التكوير، الآية [٨].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٠٠

المبحث السادس: آراؤه في الإسرائيليات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفها، وكيف دخلت في الروايات

لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودى للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودى واللون النصرانى للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية.

وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات، من باب التغليب للجانب اليهودى على الجانب النصرانى، فإن الجانب اليهودى هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس فى دين الله أفواجا[(١)].

وأما كيف دخلت تلك الإسرائيليات في التفسير، فإن دخول الإسرائيليات فى التفسير أمر يرجع إلى عهد الصحابة ﷺ، وذلك نظرًا لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل فى ذكر بعض المسائل كما تقدم، مع فارق واحد، هو الإيجاز فى القرآن، والبسط والإطناب فى التوراة والإنجيل.

وقد كان الرجوع إلى أهل الكتاب مصدرًا من مصادر التفسير عند الصحابة، فكان الصحابى إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله

(١) انظر: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٤٧.

سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا فى الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص.

غير أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ، ولم يقبلوا منهم كل شئ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحًا للقصة وبيانًا لما أجمله القرآن منها، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين.

وتوسع التابعون فى الأخذ عن أهل الكتاب، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية فى التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهر فى هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الثغرات القائمة فى التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى، فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة.

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط فى الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولا، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يُروَى لهم وإن كان لا يتصوره العقل(١).

۞۞۞

(١) التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٠-١٥٩.

المطلب الثاني: منهج القنوجي في إيرادها

كان للقنوجي رحمه الله موقفًا حاسمًا من الإسرائيليات، وينكر أشد النكير على المفسرين الذين حشوا تفاسيرهم بمثل هذه الروايات الإسرائيلية، بل كان من جملة أهدافه في وضع تفسيره هو تنقيته من الإسرائيليات والمعتقدات البدعية التي ليس لها أساس في التفسير، بل شوهت كتب التفسير وأخرجتها عن هدفها الأسمى، حتى أصبح بعضها قصصا من الخيال، لاعتماده على مثل هذه الروايات، وهاك عباراته التي تعقب بها بعض تلك الروايات، مشنعا على رواتها وقصاصها.

الأولى: قال رحمه الله: "فإن كان مثل هذا التفسير ثابتًا عن رسول الله ﷺ قبلناه وآمنا به وإلا فلا كرامة ولا قبول، ولعله أخذ ذلك من الإسرائيليات فقد قال شريح[1]: كان كعب يقول: في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس إنه الباب الذي قال الله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2]، وكعب[3] وكذا وهب[4] كثيرا الرواية عن بني إسرائيل، وليس عند أهل

(١) أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن الكندي، كان من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة، توفي سنة ٧٨هـ، (البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٨١-٢٨٢. الأعلام ج٣، ص١٦١).

(٢) سورة الحديد، الآية [١٣].

(٣) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة ٣٢هـ، عن مئة وأربع سنين. (الأعلام للزركلي، ج٨، ص٥٤).

(٤) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد من التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد بصنعاء سنة ٣٤هـ ومات بها سنة ١١٤هـ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء. (الأعلام للزركلي، ج٨، ص١٢٥).

السنة إلى قبوله سبيل"(١).

الثانية: قال الخفاجي(٢): "الذي نعتقد أن الأرض سبع ولها سكان من خلقه يعلمهم الله تعالى انتهى، وهذا أعدل الأقوال وأحوطها.

قال: وما جاء عن كعب ووهب وأمثالهما في هذا الباب فكلها لا يعتد به لأنهم أخذوه من الإسرائيليات"(٣).

الثالثة: قال: "وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب تارة على بني إسرائيل وتارة على الأنبياء وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة، والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وغيروا وبدلوا"(٤).

ورغم هذا النفير من القنوجي رحمه الله عن الإسرائيليات، إلا أنه ذكر بعضا منها وسكت عنها ولم يتكلم عليها بقبول أو رد، وسأذكر بعضا من تلك الروايات التي ذكرها ولم يعقب عليها.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص ٤٠٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، ولد بمصر سنة ٩٧٧هـ ونشأ بها، ولي قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر، ثم ولي قضاء يعيش واستقر فيها إلى أن توفي سنة ١٠٦٩هـ. (الأعلام للزركلي، ج١، ص٢٣٨).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٩٨.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥ ص٢٢٢.

الأولى: قال عند قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١): "يعني ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وعنه (ابن عباس) قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾"(٢).

فلم يبين لنا هذه الرواية هل هي من الموقوف على ابن عباس فلا يكون قال ذلك من رأيه، فيكون له حكم الرفع، أو أنه أخذه من أهل الكتاب.

الثانية: قال القنوجي رحمه الله: "قال كعب الأحبار في الآية أن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فتهبط بها إلى الأرض فتأبى أن تقبلها، فيدخل بها تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو خد إبليس فيخرج لها من تحت خد إبليس كتابًا فيختم ويوضع تحت خد إبليس"(٣).

الثالثة: قال القنوجي رحمه الله: "أخرج ابن المبارك(٤) في الزهد أن ابن عباس سأل

---

(١) سورة المعارج، الآية [٤].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٤ ص٣١٠.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٢٩.

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ولد سنة ١١٨هـ، ومات بهيت (على =

كعب الأحبار عن قوله ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾(١)، قال روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء ففتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهى بها إلى العرش، وتعرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين"(٢).

الرابعة: قال القنوجي ﷺ: "قال وهب: المقربون –هنا– إسرافيل فإذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ في السموات كنور الشمس في الأرض حتى ينتهى بها إلى إسرافيل فيختم عليها، وقال ابن عباس المقربون أهل السماء"(٣).

فهذه الأمثلة بينت أن القنوجي ﷺ، ربما أخذ من بعض التفاسير، ولم يمحص في هذه الروايات، بل ولم يعقب عليها.

وإذا كان قد ذكر بعضا من تلك الروايات، ولم يعقب عليها بالرد أو القبول، فإنه قد ذكر روايات أخرى يؤيد بها ما يعتقده، ونلحظ ذلك جليًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾(٤)، فقد ساق كثيرًا من الإسرائيليات والنقولات من كتب أهل الكتاب الدالة على نبوة محمد ﷺ(٥).

الفرات) منصرفا من غزو الروم سنة ١٨١هـ، له كتاب في الجهاد وهو أول من صنف فيه. (الأعلام للزركلي، ج٤، ص١١٥).

(١) سورة المطففين، الآية [١٨].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥ ص٣٣٣.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٣٤.

(٤) سورة الصف، الآية [٦].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٥ ص ١٠٢-١١٩.

ولعلي ألحظ من خلال هذه الأمثلة منهج القنوجي رحمه الله في الإسرائيليات، والذي يتفق مع منهج أهل السنة، والذي يتلخص في أنواع الأمثلة التي سبق ذكرها، فما رده الإسلام وكذبه رددناه، وما سكت عنه نسكت عنه، وما صدقه نصدقه.

قال محمد حسين الذهبي رحمه الله: "تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: ما يُعلم صحته بأن نُقِل عن النبى ﷺ نقلاً صحيحا، فهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثانى: ما يُعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثانى، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه"(١).

۞۞۞

(١) التفسير والمفسرون "بتصرف"، ج١، ص١٥٨-١٥٩.

المبحث السابع: آراؤه في المكي والمدني

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: منهجه في المكي والمدني

اهتم القنوجي ﷺ اهتمامًا كبيرًا بمبحث المكي والمدني، فهو يذكر مع بداية كل سورة من سور القرآن مكيتها أو مدنيتها وما وقع فيها من خلاف، إما من حيث عموم السورة أو بعض آياتها.

وهو ما أكده في مقدمة تفسيره، فيما يتعلق بمن يفسر القرآن الكريم، حيث قال: "وينبغي له أن يعرف المكي من المدني، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخره وما فرض في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن"(١).

وهو ما اعتنى به غيره من أئمة التفسير، وأكدوا على أهميته، وذكروا فوائد معرفة المكي والمدني، وضوابط المكي والمدني.

قال الزرقاني ﷺ: "من فوائد العلم بالمكي والمدني تمييز الناسخ من المنسوخ .. ومعرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد .. ومن فوائده -أيضًا- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف .. ويدل ذلك على اهتمام المسلمين كل هذا الاهتمام حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر وما نزل بالنهار وما نزل بالليل وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف وما نزل بالأرض وما نزل بالسماء إلى غير ذلك.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص٢٤ .

فلا يعقل بعد هذا أن يسكتوا ويتركوا أحدا يمسه ويعبث به وهم المتحمسون لحراسته وحمايته والإحاطة بكل ما يتصل به أو يحتف بنزوله إلى هذا الحد"[١].

۞۞۞

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن "بتصرف"، ج١، ص١٤٢-١٤٣.

المطلب الثاني: السور المكية من غير خلاف

سوف أقارن أقواله في هذا المطلب بأقوال، القرطبي، وابن كثير، وابن الجوزي، وتفسير الدكتور وهبة الزحيلي.

في هذا المبحث نذكر السور التي ذكر القنوجي أنها مكية من غير خلاف وننظر فيمن وافقه من الأئمة المذكورين كل على حده.

عد سبعا وعشرين سورة، وقال بأنها مكية من غير خلاف، وهذه السور هي: سورة الذاريات، سورة الطور، سورة الحاقة، سورة الملك، سورة المعارج، سورة نوح، سورة الجن، سورة المدثر، سورة القيامة، سورة المرسلات، سورة النبأ، سورة النازعات، سورة عبس، سورة التكوير، سورة الانفطار، سورة الانشقاق، سورة البروج، سورة الطارق، سورة الغاشية، سورة البلد، سورة الشمس، سورة الضحى، سورة الشرح، سورة العلق، سورة القارعة، سورة الفيل، سورة المسد.

وهو ما اتفق عليه الجميع أنها مكية من غير خلاف.

۞۞۞

المطلب الثالث: السور المدنية من غير خلاف

وعد من السور المدنية من غير خلاف ست سور وهي: الحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والتحريم، والنصر.

ووافقه الجميع على كونها مدنية من غير خلاف.

۞۞۞

المطلب الرابع: السور المختلف في مكيتها ومدنيتها

أما السور التي ذكر فيها خلافا فهي واحد وثلاثون سورة، وهي على الترتيب الآتي:

سورة النجم

قال: "وهي مكية جميعها في قول الجمهور، وعن ابن عباس وعكرمة إلا آية منها وهي قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[١]، وقيل: أن السورة كلها مدنية، والصحيح هو الأول"[٢].

وذكر الإمام القرطبي ﷺ هذا الخلاف، ورجح أنها مكية كلها، وقال ابن الجوزي: مكية بإجماعهم، وذكر قول ابن عباس وقتادة في الآية.

وقال ابن كثير ﷺ: "هي مكية"[٣]، ولم يذكر خلافًا، ومثله الدكتور وهبة الزحيلي.

سورة القمر

قال: "وهي مكية كلها في قول الجمهور وقال مقاتل: إلا ثلاث آيات من قوله ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦ ﴾[٤]، قال القرطبي: ولا يصح، وقيل: إلا ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ وعن ابن عباس: أنها نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله"[٥].

---

(١) سورة النجم، الآية [٣٢].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٤١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٢١٤.

(٤) سورة القمر، الآيات [٤٤-٤٦].

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٨١.

قال القرطبي ﷺ: "وهي مكية كلها في قول الجمهور، وذكر قول مقاتل في استثناء الآيات المذكورة، قال ولا يصح"(١).

ولم يذكر ابن كثير ﷺ خلافًا في مكيتها، ومثله الدكتور وهبة الزحيلي.

سورة الرحمن

قال: "وهي مكية، قال القرطبي: كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر، قال ابن عباس: إلا آية منها، وهي قوله: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾(٢)، وصوابه إلا آيتين كما صرح به الكازروني(٣)، والآيتان هما ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ هذه واحدة، ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(٤)، هذه أخرى، وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها، والأول أصح، قال ابن الزبير: أنزلت بمكة، وعن عائشة نزلت بمكة وعن ابن عباس مثله، (وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ وهو يصلي نحو الركن، قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يسمعون ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(٥) أخرجه أحمد

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٧١.

(٢) سورة الرحمن، الآية [٢٩].

(٣) منصور بن الحسن بن على بن اختيار الدين فريدون بن على، العماد القرشى العدوى العمرى الكازرونى: عالم بالتفسير والحديث والعقليات، من فقهاء الشافعية، جاور بمكة سنة ٨٥٨هـ، واستمر مجاورًا منعزلاً عن الناس، قلما يخرج من بيته، إلى أن مات، له نحو مئة كتاب، منها (لطائف الألطاف في تحقيق التفسير ونقد الكشاف) لم يكمله، و(شرح صحيح البخاري) لم يتمه، و(حجة السفرة البررة على المبتدعة الفجرة) في نقد (الفصوص) لابن العربي، توفي سنة ٨٦٠هـ. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢٩٨).

(٤) سورة الرحمن، الآية [٣٠].

(٥) رواه الإمام أحمد في مسند أسماء بنت أبي بكر، رقم ٢٦٩٥٥، ج ٤٤، ص٥١٧، تحقيق شعيب الأرؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ت ١٤٢١هـ ٢٠٠١م. ورواه الطبراني في الكبير، رقم ٢٣١، ج٢٤، ص٨٦.

وابن مردويه، قال السيوطي: بسند حسن، وعن ابن عباس: نزلت سورة الرحمن بالمدينة، ويمكن الجمع بين القولين بأنه نزل بعضها بمكة، وبعضها بالمدينة.

وبنحو قول القرطبي قال ابن الجوزي في زاد المسير"(١).

قال الدكتور وهبة الزحيلي: "في رأي ابن مسعود ومقاتل أنها مدنية، وقد كتب في بعض المصاحف أنها مدنية، والأصح كما ذكر القرطبي وابن كثير والجمهور أنها مكية كلها، وهو قول الحسن(٢) وعروة وابن الزبير وعكرمة وعطاء(٣) وجابر، وقال ابن عباس إلا آية منها هي قوله تعالى﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾"(٤).

سورة الواقعة

قال: "وهي مكية في قول الحسن وعكرمة(٥) وجابر وعطاء، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

(١) انظر: التفسير المنير، ج١٤، ص٢٠٤.

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الامة في زمنه، أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ٦٤٢م، وشب في كنف علي بن أبي طالب، توفي بالبصرة في رجب سنة ١١٠هـ ٧٢٨م، أمة خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع فتشاغله أم سلمة بثدييها فيدران عليه فيرتضع منهما فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله، ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب قال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس، وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال سلوا عنها مولانا الحسن فأنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا، وقال أنس مرة: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين الحسن وابن سيرين، وقال قتادة: ما جالست رجلا فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه.(البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٤-٥٦).

(٣) عطاء بن أبى رباح المكى القرشى مولى، من كبار التابعين ولد فى خلافة عثمان ونشأ بمكة وسمع العبادلة وغيرهم من الصحابة وروى عنه جماعات من التابعين كا لزهرى وقتادة وهو من مفتى أهل مكة ومشاهيرهم وهو أحد شيوخ الشافعيين فى سلسلة الفقه. (الأعلام للزركلي، ج١، ص٣٩٣).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٥٣.

(٥) أبو عبد الله عكرمة البربرى مولى ابن عباس كان فقيها عالما، بالتفسير والسنة الا أنه يرى رأى الخوارج، لهذا تجنبه الإمام مالك والإمام مسلم فلم يرويا له، ويقال هو الذى أدخل مذهب الإباضية إلى المغرب، توفى بالمدينة سنة ١٠٧هـ.(الأعلام للزركلي، ج١، ص٣٦٤).

تُكَذِّبُونَ ﴾[1]، وقال الكلبي: إنها مكيّة إلا أربع آيات منها، وهي ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[2]، نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[3]،نزلتا في سفره إلى المدينة قال ابن عباس: نزلت الواقعة بمكة، وعن ابن الزبير مثله"[4].

وما سبق من كلام القنوجي هو ما ذكره الإمام القرطبي، ولم يرجح قولاً على آخر، وذكر الخلاف ابن الجوزي وعزى القول بمكيتها إلى الجمهور، وقال الدكتور الزحيلي: "إنها مكية على الصحيح"[5].

سورة الحديد

قال: "وهي مدنية، قال القرطبي: في قول الجميع قال ابن عباس: نزلت بالمدينة، وعن ابن الزبير مثله، وعليه الجمهور، وقال الزمخشري: إنها مكية، ويؤيده ما نقل في سبب إسلام عمر بن الخطاب أنه لما قرأ هذه الآيات إلى قوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[6]، وكانت مكتوبة في صحيفة عند أخته أسلم، فهذا يقتضي أن هذه الآيات مكيّة، فعلى هذا تستثنى على القول بأن السورة مدنية"[7].

(١) سورة الواقعة، الآية [٨٢].

(٢) سورة الواقعة، الآيات [٨١-٨٢].

(٣) سورة الواقعة، الآيات [١٣-١٤].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٥٣ .

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٤، ص٢٤٥.

(٦) سورة الحديد، الآية [٨].

(٧) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٩١.

قال ابن الجوزي ﵀: "وفيها قولان: أحدهما أنها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة ومقاتل. والثاني: أنها مكية قاله ابن السائب"[(١)].

قال الدكتور وهبة الزحيلي: "هي مدنية كما ذكر القرطبي في قول الجميع، وهو الظاهر، وقيل إنها مكية وهو رأي مرجوح"[(٢)].

سورة المجادلة

قال القنوجي ﵀: "وهي مدنية، قال القرطبي: في قول الجميع، إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني، وباقيها مكي، وقال الكلبي: نزلت جميعها بالمدينة غير قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[(٣)]: ، نزلت بمكة، وقال ابن عباس: نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله"[(٤)].

قال ابن الجوزي: "وهي مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والجمهور، وروي عن عطاء أنه قال العشر الأول مدني، والباقي مكي، وعن ابن السائب أنها مدنية سوى آية وهي قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[(٥)]"[(٦)].

ورجح الزحيلي أنها مدنية كاملة[(٧)].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ص١٣٩٦.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ١٤، ص ٣٠٩

(٣) سورة المجادلة، الآية [٧].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٧.

(٥) سورة المجادلة، الآية [٧].

(٦) زاد المسير في علم التفسير، ص١٤٠٤.

(٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٤، ص٣٧٥.

سورة الصف

قال القنوجي ﷺ: "وهي مدنية، وهو المختار، ونسبه إلى الجمهور، قال ابن عباس: نزلت بالمدينة، وعن ابن الزبير مثله، وعن ابن عباس –أيضًا– نزلت بمكة، ولعل هذا لا يصح عنه، وبه قال عكرمة والحسن وقتادة، وجزم به الزمخشري ويؤيد كونها مدنية ما أخرجه أحمد، عن عبد الله بن سلام قال: «تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلا، فجمعنا وقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها»، وأخرجه ابن أبي حاتم، وقال في آخره «فنزلت فيهم هذه السورة»، وأخرجه أيضًا الترمذي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في الشعب والسنن"[(١)][(٢)].

وعزى ابن الجوزي ﷺ القول إلى الجمهور، وأنها مدنية، ومثله وهبة الزحيلي، ولم يذكر خلافا، مما يعني أنه يرجح أنها مدنية.

سورة التغابن

قال القنوجي ﷺ: "وهي مدنية في قول الأكثر، وقال الضحاك[(٣)]، هي مكية، وقال الكلبي: هي مدنية ومكيّة، وقال ابن عباس: نزلت بالمدينة، وعن ابن الزبير مثله، وعن ابن عباس أيضًا قال: نزلت بمكة إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى رسول الله ﷺ جفاء أهله وولده، فأنزل الله

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٩٥.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، في كتاب التفسير، تفسيير سورة الصف، ج٢، ص٤٨٦–٤٨٧، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يحرجاه، ورواه الترمذي، بباب ومن سورة الصف، رقم ٣٥٩٥،ج٥، ص٥٠١–٥٠٢.

(٣) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، كان يؤدب الاطفال، يقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار، له كتاب في التفسير، توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ ٧٢٣م. (الأعلام للزركلي، ج٣، ص٢١٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾(1)"(2).

قال الإمام القرطبي ﵀: "مدنية في قول الأكثر، وقال الضحاك: مكية، وقال الكلبي: هي مكية ومدنية"(3).

ولم يذكر الدكتور الزحيلي خلافا، قال: "هي مدنية"(4).

سورة القلم

قال القنوجي ﵀: "وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وعن ابن عباس وقتادة أن من أولها إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾(5) مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله ﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾(6)، مكي، كذا قال الماوردي، وعن ابن عباس قال: كانت إذا نزلت فاتحة السورة بمكة وكتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أول ما نزل من القرآن ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ ثم نون ثم المزمل ثم المدثر، وعنه نزلت نون بمكة وعن عائشة مثله"(7).

سورة المزمل

قال القنوجي ﵀: "وهي مكية، قال الماوردي كلها مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، قال: وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا

(1) سورة التغابن، الآية [14].
(2) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج14، ص161.
(3) الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص5.
(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج14، ص615 .
(5) سورة القلم، الآية [33].
(6) سورة القلم، الآية [47].
(7) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج14، ص252.

يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[1]، والتي تليها، وقال الثعلبي إلا قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾[2]، إلى آخر السورة فإنه نزل بالمدينة، وأخرج النحاس عن ابن عباس أنه قال نزلت بمكة إلا آيتين ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ إلخ، وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله"[3].

وقال القرطبي ﷺ: "مكية في قول الجمهور"[4]، وهو ما رجحه الدكتور وهبة الزحيلي.

سورة الإنسان

قال القنوجي ﷺ: "قال: الجمهور هي مدنية، وقال مقاتل والكلبي: هي مكيّة، وجرى عليه البيضاوي[5] والزمخشري، وقال المحلي[6]: مكيّة أو مدنية ولم يجزم بشيء قال ابن عباس: نزلت بمكة، وعن ابن الزبير مثله، وقيل فيها مكي من قوله ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾[7]، إلى آخر السورة وما قبله مدني، وقال الحسن

---

(١) سورة المزمل، الآية [١٠].

(٢) سورة المزمل، الآية [٢٠].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٧٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص٣١٣.

(٥) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء بفارس سنة ٥٦٦هـ، ولي قضاء شيراز مدة، توفي في تبريز سنة ٦٨٥هـ، من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ويعرف بتفسير البيضاوي. (الأعلام للزركلي،ج٤، ص١١٠).

(٦) عبد الرحمن المحلي: فقيه شافعي مصري، سكن دمياط وتوفي فيها سنة ١٠٩٨هـ، من مؤلفاته: كشف القناع عن متن وشرح أبي شجاع في الفقه، وحاشية على تفسير البيضاوي. (الأعلام للزركلي، ج٣، ص٣٢٣).

(٧) سورة الإنسان، الآية [٢٣].

وعكرمة هي مدنية إلا آية وهي ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾[1]"[2].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "مدنية كلها وهو قول الجمهور"[3]، وهو اختيار الزحيلي.

سورة المطففين

قال القنوجي رحمه الله: "قال القرطبي وهي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل، ومدنية في قول الحسن وعكرمة، وقال مقاتل -أيضًا- هي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية إلا ثمان آيات من قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾[4]، إلى آخرها، وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة، وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله، وعن ابن عباس قال: آخر ما نزل بمكة سورة المطففين، وعنه قال: لما قدم النبي ﷺ كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾[5]، فأحسنوا الكيل بعد ذلك[6]، أخرجه ابن مردويه والبيهقي في الشعب، قال السيوطي بسند صحيح"[7].

---

(١) سورة الإنسان، الآية [٢٤].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٥٣.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ص١٤٩٦.

(٤) سورة المطففين، الآية [٢٩].

(٥) سورة الطففين، الآية [١].

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب ترك التطفيف في الكيل، رقم ١١٢٧٦، ج١١ ، ص٤٢٢، تحقيق مركز البحوث والدراسات العربية، دار هجر، ط١، ت ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ورواه ابن ماجه في باب التوقي في الكيل والميزان، رقم ٢٢٢٣، ص٣٨٢، ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير، سورة المطففين، رقم ١١٥٩٠، ج١٠، ص٣٢٧.

(٧) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٢١.

وذكر ابن الجوزي ﵀ فيها ثلاثة أقوال: أنها مكية جميعها، والثاني: مدنية جميعها، الثالث أنها نزلت بين مكة والمدينة[(١)].

وعلى القول الثالث هي مدنية بضابط أن ما نزل بعد الهجرة مدني، واختار الدكتور الزحيلي أنها مكية، ولم يذكر خلافا.

سورة الأعلى

قال القنوجي ﵀: "مكية في قول الجمهور، وقال الضحاك مدنية، وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله، وأخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[(٢)]"[(٣)][(٤)].

وهي مكية، وهو اختيار ابن كثير، وابن الجوزي، والدكتور الزحيلي.

سورة الفجر

قال القنوجي ﵀: "وهي مكيّة بلا خلاف في قول الجمهور قال ابن عباس: نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله، ومدنية في قول علي بن أبي طلحة"[(٥)].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ص١٥٢٤.

(٢) سورة الأعلى، الآية [١].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٨٣ .

(٤) اخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الأعلى، رقم ٤٩٤١، ص٩٦٨، ورواه أحمد برقم ١٨٥١٢، حاشية السندي، ج١١، ص٩٩-١٠٠.

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢١١.

وهي مكية في قول ابن كثير، وابن الجوزي، والدكتور الزحيلي.

سورة الليل

قال القنوجي رحمه الله: "وهي مكية عند الجمهو، وقيل مدنية قال ابن عباس: نزل بمكة وعن ابن الزبير مثله"(١).

وعلى القول بمكيتها ابن كثير وابن الجوزي والزحيلي.

سورة التين

قال القنوجي رحمه الله: "هي مكية في قول الجمهور وروى القرطبي عن ابن عباس أنها مدنية، ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال أنزلت سورة التين بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله"(٢).

وهي مكية في قول الأئمة الآخرين.

سورة القدر

قال القنوجي رحمه الله: "وهي مكيّة عند أكثر المفسرين، كذا قال الماوردي، وقال الثعلبي(٣) هي مدنية في قول أكثر المفسرين وهو الأصح، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة، وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنها نزلت بمكة"(٤).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج١٥، ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ج١٥، ص٢٩٧.

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ، من كتبه: عرائس المجالس، والكشف والبيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الثعلبي، توفي سنة ٤٢٧هـ ١٠٣٥م. (الأعلام للزركلي، ج١، ص٢١٢).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣١٩.

سورة البينة

قال القنوجي ﷺ: "وهي مدنية في قول الجمهور، وقيل مكيّة، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس نزلت بالمدينة، وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: نزلت سورة ﴿ لَمۡ يَكُنِ ﴾ بمكة"(١).

قال الإمام القرطبي ﷺ: "وهي مكية في قول يحيى بن سلام، ومدنية في قول ابن عباس والجمهور"(٢).

سورة الزلزلة

قال القنوجي ﷺ: "وهي مدنية في قول ابن عباس وقتادة، ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر"(٣).

وهو ما ذكره الإمام القرطبي ﷺ، واختاره الدكتور الزحيلي.

سورة العاديات

قال القنوجي ﷺ: "هي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة"(٤).

وهو ما ذكره الإمام القرطبي ﷺ بنصه، وذكر الدكتور الزحيلي أنها مكية ولم يذكر خلافا.

سورة التكاثر

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية عند الجميع وروى البخاري أنها مدنية: قال ابن

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص ٣٢٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٤٠٤.
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٣٩.
(٤) المصدر السابق، ج١٥، ص ٣٤٧ .

عباس: نزلت بمكة"(١).

وقال القرطبي ﷺ: "وهي مكية بإجماع"(٢).

سورة العصر

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية عند الجمهور، وقال قتادة: هي مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة"(٣).

وعزى الإمام القرطبي ﷺ مكيتها إلى جميع المفسرين، ولم يذكر الإمام ابن كثير ﷺ خلافًا في مكيتها، ومثله الدكتور الزحيلي.

سورة الهمزة

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس: نزلت بمكة، وقال المحلي أو مدنية والأول أولى"(٤).

وقال القرطبي ﷺ: "هي مكية بإجماع"(٥).

ولم يذكر ابن كثير ﷺ خلافًا في مكيتها، ومثله الدكتور الزحيلي.

سورة قريش

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية عند الجمهور، وقال الضحاك والكلبي هي مدنية والأول أصح، قال ابن عباس نزلت بمكة"(٦).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص ٣٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص ٤٠٤ .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص ٣٧٣.

(٤) المصدر السابق، ج١٥، ص ٣٧٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص ٤٦٣ .

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٩٥.

قال القرطبي ﷺ: "مكية في قول الجمهور، ومدنية في قول الضحاك والكلبي"[١].

ومثل هذا ذكره ابن الجوزي ﷺ، ولم يذكر ابن كثير ﷺ خلافًا في مكيتها.

سورة الماعون

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس، ومدنية في قول قتادة وآخرين، وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله، وقيل نصفها الأول مكي ونصفها الثاني مدني"[٢].

وقال الإمام القرطبي ﷺ: "هي مكية في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس، ومدنية في قول آخر، وهو قول قتادة وغيره"[٣].

ولم يذكر الإمام ابن كثير ﷺ خلافًا في مكيتها، وعزى الدكتور الزحيلي القول بمكيتها إلى الجمهور.

سورة الكوثر

قال القنوجي ﷺ: "هي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة، وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنها نزلت سورة الكوثر بمكة"[٤].

وهو ما ذكره الإمام القرطبي ﷺ، وذكر ابن كثير ﷺ القولين، وقال الدكتور الزحيلي: "وهي مكية في المشهور وقول الجمهور"[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص ٤٩٥.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٤٠١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لـ للقرطبي، ج٢٢، ص ٤٩٥.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص ٤٠٧.

(٥) المصدر السابق، ج١٥، ص٤١٧.

سورة الكافرون

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك، وعن ابن الزبير أنها نزلت بالمدينة"(١).

وهو ما ذكره الإمام القرطبي ﷺ، وقال ابن كثير ﷺ: "هي مكية"(٢)، ووافق عليه الدكتور الزحيلي.

سورة الإخلاص

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي"(٣).

وهو ما ذكره الإمام القرطبي ﷺ، ولم يذكر الإمام ابن كثير ﷺ خلافًا في مكيتها، وتبعه الدكتور الزحيلي.

سورة الفلق

قال القنوجي ﷺ: "وهي مكيّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في أحد قول ابن عباس وقتادة قيل وهو الصحيح"(٤).

قال ابن الجوزي ﷺ: وفيها قولان: أحدهما: مدنية رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين، والثاني: مكية رواه كريب(٥) عن ابن عباس، وبه

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص ٤١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٥٦٧.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص ٤٤٣.

(٤) المصدر السابق، ج١٥، ص ٤٥٣.

(٥) كريب بن أبي مسلم أبو رشدين الهاشمي، الإمام، الحجة، أبو رشدين الهاشمي، العباسي، الحجازي، أدرك عثمان، وأرسل عن: الفضل بن عباس، وحدث عن مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمه، وأختها؛ ميمونة، وأسامة، مات سنة ٩٨هـ.(سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٧٩-٤٨٠).

قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان"[1].

سورة الناس

ما ذكره القنوجي من الخلاف هو ما ذكره في سورة الفلق، وهي مكية على الصحيح كما ذكر في الرواية.

۞۞۞

(١) زاد المسير في علم التفسير، ص١٦٠٤.

الفصل الثاني: **آراؤه العقدية**

وفيها ثمانية مباحث:

المبحث الأول: آراؤه في آيات الصفات.

المبحث الثاني: آراؤه في القدر.

المبحث الثالث: آراؤه في خلق أفعال العباد.

المبحث الرابع: عقيدته في أصحاب رسول الله ﷺ.

المبحث الخامس: آراؤه في رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.

المبحث السادس: آراؤه في تعريف الإيمان.

المبحث السابع: آراؤه في مرتكب الكبيرة من الموحدين.

المبحث الثامن: آراؤه في الجنة والنار.

منهجية البحث في هذا الفصل

سوف انطلق في هذا الفصل في مباحثه كلها وفق المنهجية الآتية:

١- أذكر آراء الفرق المنسوبة إلى المسلمين في المسألة، دون مناقشة تلك الأقوال، ولا ذكر أدلة تلك الأقوال.

٢- أذكر رأي القنوجي ﷺ في المسألة، بذكر أقواله من خلال تفسيره فتح البيان.

٣- أذكر الرأي الصحيح المعتبر في المسألة الموافق لمذهب السلف، من وجهة نظري كباحث.

المبحث الأول: آراؤه في آيات الصفات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر.

يؤمن أهل السنة والجماعة بجميع الصفات الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل.

ويقسم أهل السنة صفات الله جل وعلا إلى قسمين:

١- الصفات الذاتية: وهي التي لا تنفك عن الذات الإلهية، بل هي لازمة لها أزلاً وأبدًا ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، كصفات الحياة، والعلم، والسمع، والإرادة، والقدرة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، واليد، والوجه.

٢- الصفات الفعلية: وهي اللتي تتعلق بالإرادة والمشيئة والاختيار، أي تحدث بمشيئة الله واختياره وقدرته، كالخلق والإحياء والإماته، والاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضا، والغضب.

وعلى هذا الرأي سار أئمة التفسير، كابن جرير الطبري، وابن كثير.

قال ابن كثير ؒ: "وأما قوله تعالى ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[١]، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي[٢]، والثوري[٣]، والليث بن

(١) سورة الأعراف، الآية [٥٤].

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ،٧٠٧م، ونشأ في البقاع، له كتاب السنن في الفقه، سكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ، ٧٧٤م، من أقواله: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس. (سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٤٣-٤٥٦).

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث، سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد في الكوفة سنة ٩٧هـ، ٧١٦م، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي، فتوارى، وانتقل إلى البصرة

=

سعد[١]، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه[٢] وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣]، بل الأمر كما قال الأئمة: منهم نعيم بن حماد الخزاعي[٤] شيخ البخاري "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر"، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى"[٥].

فمات فيها مستخفيا سنة ١٦١هـ، ٧٧٨م، له من الكتب: الجامع الكبير، والجامع الصغير، في الحديث. (الأعلام للزركلي، ج٣، ص١٠٤).

(١) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها، قال ابن تغري بردي: كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة سنة ٩٤هـ، ٧١٣م، وكان من الكرماء الأجواد، قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، توفي في القاهرة سنة ١٧٥هـ، ٧٩١م. (وفيات الاعيان، ج٤، ١٢٧-١٢٨).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره، من سكان مرو، أحد كبار الحفاظ، أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. قال الدارمي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه، وقال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن، من تصانيفه: المسند، توفي بنيسابور سنة ٢٣٨هـ، ٨٥٣م. (الأعلام للزركلي، ج١، ص٢٩٢. انظر: وفيات الأعيان، ج١، ص١٩٩-٢٠٠).

(٣) سورة الشورى، الآية [١١].

(٤) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، أبو عبد الله: أول من جمع المسند في الحديث، ولد في مرو، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وسئل عن القرآن: أمخلوق هو؟ فأبى أن يجيب، فحبس في سامرا، ومات في سجنه سنة ٢٢٨هـ، ٨٤٣م. (الأعلام للزركلي، ج٨، ص٤٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ٩١٢.

الرأي الثاني: رأي الأشاعرة.

ذهب الأشاعرة إلى إثبات سبع صفات لله عز وجل، هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام النفسي، أما غير هذه الصفات فهم يتأولونها كتأولهم صفة الرضا بإرادة العقاب، وصفة الرحمة بإرادة الثواب، واستواء الله على العرش بقهره له واستيلائه عليه.

وهذا هو ما استقر عليه مذهب المتأخرين، أما متقدمي الأشاعرة فهم يثبتون الصفات الذاتية وينفون الأفعال الاختيارية، ولم يثبتوا لله أفعالاً تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته كالمحبة، وهم يلتقون بهذا مع الكلابية في منهجهم في صفات الله تعالى.

الرأي الثالث: رأي الجهمية.

الجهمية ينفون جميع الصفات ولا يصفون الله إلا بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون له إلا وجودًا مطلقا، لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان، فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات.

الرأي الرابع: رأي المعتزلة.

تجمعت المعتزلة على غاية واحدة وهي نفي إثبات صفات حقيقية في الذات ومتميزة عنها، وسلكوا في ذلك طريقين:

الطريق الأول: الذي عليه أغلبيتهم وهو نفيها صراحة فقالوا: إن الله عالم بذاته لا بعلم وهكذا في باقي الصفات.

والطريق الثاني: الذي عليه بعضهم وهو إثباتها اسمًا ونفيها فعلاً فقالوا: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته وهكذا بقية الصفات، فكان مجتمعًا مع الرأي الأول في الغاية، وهي نفي الصفات.

الرأي الخامس: رأي الشيعة الإثني عشرية.

من يطالع ما كتبوه في باب الصفات، يجدهم قد نفوا عن الله تعالى جميع صفاته، وزعموا أن الذات عين الصفات، بمعنى أنه ليس وراء ذاته شيء يسمى صفة، فصفاته عندهم ليست معنى زائدًا على ذاته، فالله عالم وسميع، وقادر وبصير، وحي بذاته، لا بشيء زائد عن ذاته يقتضي ثبوت وصف العلم والسمع والقدرة والبصر والحياة.

فالصفات الذاتية الثبوتية عندهم هي: عين ذاته، فهو قادر بالذات، وعالم بالذات، وحي بالذات، أي إن ذاته وصفته شيء واحد، أي أن صفاته سبحانه ليست زائدة على ذاته، بمعنى أَنها نفس الصفة، لا أن لها الصفة، فالصفات نفس الذَّات، وليس وجودها إلا وجود الذات.

الرأي السادس: رأي غلاة المتصوفة.

زعم هؤلاء أنه جائز على الله الحلول في الأجسام، وكلما رأوا شيئا حسنا قالوا لا ندري لعله ربنا، ومنهم من يقول: إن الله يرى في الدنيا على قدر الأعمال، فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن، ومنهم من يجوز على الله تعالى المعانقة والملامسة والمجالسة في الدنيا، ومنهم من يزعم أن الله تعالى ذو أعضاء وجوارح وأبعاض: لحم ودم على صورة الإنسان له ما للإنسان من الجوارح.

الرأي السابع: رأي الكرَّامية.

يثبتون الصفات بما فيها أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن، وأنه يصير موصوفًا بما يحدث بقدرته

ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها(1).

رأي القنوجي في هذا الباب "صفات الله عز وجل"

ولأن بحثنا هو آراء القنوجي ﷺ في تفسيره فتح البيان، فسوف نستعرض بعضًا من آراءه التي أوردها للنظر إلى أي المذاهب تميل آراؤه في التفسير ثم نأتي إلى منهجه الذي قرره في كتب العقيدة التي ألفها، فكتب العقيدة هي التي تبين رأيه ومنهجه لأنها أكثر تحريرا.

أولاً: صفة الوجه.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(2): "الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده، وقد تقدم في سورة البقرة بيان معنى هذا، وقيل: المعنى وتبقى حجته التي يتقرب بها إليه والأول أولى"(3).

ثانيا: صفة الاستواء.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(4): أي الكرسي استواء يليق به"(5).

(1) انظر: الفرق بين الفرق، لـ عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٤١-١٩٨، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لـ د. غالب العواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط٤، ت١٤٢٢هـ٢٠٠١م، والموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، لـ د. حامد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ت١٤٢٠هـ.

(2) سورة الرحمن، الآية [٢٧].

(3) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٢٥.

(4) سورة الحديد، الآية [٤].

(5) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٤٩٧.

وحتى يتكامل كلام القنوجي ﷺ في هذه المسألة نذكر كلامه في سورة الأعراف، لأنه أكثر وضوحًا وأشد بيانا.

قال عند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[1]: "قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف بل على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه، والاستواء في لغة العرب هو العلو والاستقرار، قال الجوهري: استوى على ظهر دابته أي استقر واستوى إلى السماء أي صعد، واستوى أي استولى وظهر وبه قال المعتزلة وجماعة من المتكلمين: واستوى الرجل أي انتهى شبابه واستوى أي: اتسق واعتدل.

وحكي عن أبي عبيدة أن معنى استوى –هنا– علا وارتفع، وللشوكاني رسالة مستقلة في إثبات إجراء الصفات على ظواهرها منها صفة الاستواء، ولشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني والحافظ الإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي إلمام تام بمسألة الاستواء هذه وإثبات الفوقية والعلو له تعالى على خلقه ولهما في ذلك رسائل مستقلة ما بين مطولة منها ومختصرة، وكتاب العلو للحافظ الذهبي فيه جميع ما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث وغيرها، وقد أوضحت هذا المقام في كتابي الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح.

وعن أم سلمة قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود له كفر، أخرجه ابن مردويه وعن مالك بن أنس نحوه وزاد: والسؤال عنه بدعة، قال النسفي: وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل، انتهى.

وأقول يا مسكين أما شعرت أن العرش في اللغة هو السرير، والاستواء هو الاستقرار وبه فسره حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس كما في البخاري.

(١) سورة الأعراف، الآية [٥٤].

وليس في ذلك تشبيه أصلاً إنما التشبيه في بيان الكيفية بل الإنكار عن ذلك تعطيل يخالف مذهب سلف الأمة وأئمتها، وهو إمرار الصفات كما جاءت وإجراؤها على ظواهرها بلا تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، ويعالج التشبيه بكلمة إجمالية ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾"[1].

وقال عند قوله تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾[2]: "قال الواحدي[3] قال المفسرون: يعني عقوبة من في السماء، وقيل: من في السماء عرشه وقدرته وسلطانه أي محل سلطانه ومحل قدرته، وهو العالم العلوي، وخص بالذكر وإن كان كل موجود محلا للتصرف فيه ومقدورًا له تعالى؛ لأن العالم العلوي أعجب وأغرب، فالتخويف به أشد من التخويف بغيره.

وقيل: الملائكة وقيل: المراد جبريل وقيل: هو الله سبحانه وهو الحق، لأن ظاهر النظم القرآني يقتضي أن الباري تعالى فوق السماء "وفي" بمعنى على والمعنى من ثبت واستقر في السماء أي على العالي وهو العرش .. وفيه دليل على علوه ومباينته عن خلقه باستوائه على عرشه"[4].

ثانيا: صفة اليد.

قال عند قوله تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5]: "واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء عند المتكلمة، وصفة من صفاته عند المحدثين وهو الأولى"[6].

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ٤، ص٣٧٤ ، والآية في سورة الشورى، [١١].

(٢) سورة الملك، الآية [١٦].

(٣) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي، مفسر، وعالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار ولد بنيسابور، وتوفي بها سنة ٤٦٨هـ، ١٠٧٦م، من كتبه: الوجيز في التفسير، وشرح ديوان المتنبي، وأسباب النزول. (الأعلام للزركلي، ج٤، ص٢٥٥. وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٣-٣٠٤).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٤٠.

(٥) سورة الملك، الآية [١].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ٢٢٩.

وهو ما أكده في سورة ص عند قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[1] قال: "قال مجاهد: اليد هنا لمعنى التأكيد والصلة مجازًا، كقوله ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[2]، وقيل أراد باليد القدرة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان، أي قدرة، وقيل: التثنية في اليد للدلالة على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة، بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات ذاته سبحانه، وهو الأولى"[3].

ثالثا: صفة الساق.

ذكر عند قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[4]، أقوال المفسرين واختلافاتهم، وقال في نهاية كلامه على تفسير الساق: "وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ، (فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا[5]»، وهذا الحديث ثابت من طرق في الصحيحين وغيرهما وله ألفاظ في بعضها طول وهو حديث مشهور معروف.

(وعن أبي موسى عن النبي ﷺ في الآية «قال عن نور عظيم فيخرون له سجدًا[6]» أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في

(١) سورة ص، الآية [٧٥].

(٢) سورة الرحمن، الآية [٢٧].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٢٥ .

(٤) سورة القلم، الآية [٤٢].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (يوم يكشف عن ساق)، رقم ٤٩١٩، ص٩٧٠، وأخرجه مسلم مطولاً في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم ١٨٣، ج١، ص١١٥-١١٧.

(٦) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، صفة الساق، وقال تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها، رقم الحديث ٧٥٢، ج٢، ص١٨٧، تحقيق عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي.

الأسماء والصفات وضعفه، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وذلك لا يستلزم تجسيمًا ولا تشبيهًا فليس كمثله شيء.

دعـوا كـلَّ قـولٍ عنـد قـول محمـدٍ فمـا آمـنٌ فـي دينـهِ كمخـاطرِ

وهكذا تهيب القول فيه شيوخ الإسلام فأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه، والتأويل هو مذهب المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوى في أنوار التنزيل.

قال الشيخ أحمد ولي الله المحدث في كتابه حجة الله البالغة: واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا هم المستترون بالبلكفة، وقد وضح وضوحًا بينًا أن استطالتهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى"(١).

رابعا: صفة المجيئ.

قال عند قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(٢): "أي جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته وقيل المعنى أنها زالت الشبه في ذلك اليوم وظهرت المعارف وصارت ضرورية كما يزول الشك عند برء الشيء الذي كان يشك فيه، وقيل جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالأمر والتدبير من دون أن يجعل إلى أحد من عباده شيئا من ذلك وقيل تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه، وقيل جاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل غير ذلك.

والحق أن هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة سلف الأمة وأئمتها وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها، بل أجروها كما جاءت من غير

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٢) سورة الفجر، الآية [٢٢].

تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، وقالوا يلزمنا الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها، والتأويل ديدن المتكلمين ودين المتأخرين، وهو خلاف ما عليه جمهور السلف الصالحين"(١).

مما سبق من الأمثلة يتضح لنا منهج القنوجي ﷺ في تفسيره فتح البيان، في باب صفات الله عز وجل.

ويمكننا من خلال الأمثلة السالفة أن نقول أن للقنوجي في تفسيره منهجين:

الأول: موافقته لمنهج الأشاعرة في بعض التأويلات.

ويؤخذ ذلك من تأويله صفة الوجه، وهو بذلك يوافق أئمة التفسير الذين مالوا إلى مدرسة الأشاعرة، أمثال الرازي وابن عطية وابن العربي، ومن المتأخرين ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير.

الثاني: موافقته لمنهج أهل الحديث والأثر.

ويؤخذ ذلك من بقية الأمثلة فقد أجراها وفق منهج هذه المدرسة، وهو بهذا يوافق من أئمة التفسير الإمام ابن جرير الطبري وابن كثير، وغيرهم من المحسوبين على هذه المدرسة.

ومع أن للقنوجي ﷺ بعض التأويلات في تفسيره فتح البيان، والتي توافق مدرسة الأشاعرة، إلا أنه قد وضع مؤلفات متأخرة عن تفسيره فتح البيان أثبت فيها موافقته لمدرسة أهل الحديث والأثر.

ولعل الذي جعله يوافق منهج الأشاعرة في بعض التأويلات في تفسيره فتح البيان اعتماده في النقل على بعض من سبقه من المفسرين، كالقرطبي والشوكاني.

وهو ما اعتذر له به الشيخ حمد بن عتيق في رسالته المشهورة التي وجهها إليه.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٥، ص٢٣٠ .

حيث قال له فيما يخص موضوع تأويل الصفات: "ولنا مقصد رابع مهم وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٧ هجرية فنظرت فيه وفي هذا الشهر وفي شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق وظننت أن لذلك سببين أحدهما أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداده وإبقائه في يده سنين يبديه ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات حتى يغلب على ظنه الصحة غالبًا ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عباراتهم بعضًا بلفظه وبعضا بمعناه فدخل عليك شيء من ذلك ولم تمعن النظر فيها ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال، وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره"(١).

وإذا كان ذلك منهجه في تفسير فتح البيان إلا أنه في كتب العقيدة التي ألفها وحررها يقرر ما قررته مدرسة أهل الحديث والأثر.

ولعل من أسباب تحوله رحلته الى البلد الحرام في حج ١٢٨٥هـ والتقائه بعلماء الدعوة السلفية المقررة لمعتقد أهل الحديث والأثر، واطلاعه على كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

يقول في كتابه قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر: "ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه المقدسة في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ،

(١) هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ ابن عتيق، ص١٧٠-١٩٠.

من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، فيؤمنون بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون، في أسمائه وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، ولا يعطلونها؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1]، وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ورسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولذلك قال ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[2]، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب والخلل والزلل، وقد جمع الله سبحانه وتعالى فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"[3].

وقال: "فمذهبنا مذهب السلف: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، والإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم، كالفضيل بن عياض[4] وأبي سليمان الداراني[5]،

---

(١) سورة الشورى، الآية [١١].

(٢) سورة الصافات، الآيات [٨٠-٨٢].

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لـ صديق حسن خان، تحقيق: د. عاصم القريوتي، عالم الكتب، ط١، ت١٤٠٤هـ١٩٨٤م، ص٣١-٣٢.

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء، ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند سنة ١٠٥هـ، ٧٢٣م، سكن مكة وتوفي بها سنة ١٨٧هـ، ٨٠٣م، من كلامه: من عرف الناس استراح. (الأعلام للزركلي، ج٥، ص١٥٣، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٧-٤٨).

(٥) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل داريا بغوطة دمشق، رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده سنة ٢١٥هـ، ٨٣٠م، كان من كبار المتصوفين، له أخبار في الزهد، من كلامه: خير السخاء ما وافق الحاجة. (الأعلام للزركلي، ج٣، ص٢٩٣).

وسهل، بن عبد الله التستري[1]، وغيرهم؛ فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة ﵁، فإن الاعتقاد الثابت عنه، موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ولا نتجاوز القرآن والحديث" وهكذا مذهب سائرهم، فنتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، الذين هم أعلم الأئمة بهذا الشأن، نفيًا وإثباتا، وهم أشد تعظيمًا لله وتنزيهًا له عما لا يليق بحاله، فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يقال: هي ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا يعرف المراد منها، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني بل هي آيات بينات، دالة على أشرف المعاني وأجلها، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم"[2].

هذا من حيث الإجمال أما من حيث التفصيل فقد قال في صفة الوجه التي أولها في تفسيره فتح البيان: "ومما صح به النقل من الصفات "الوجه". قال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3]"[4].

رأي الباحث: وبهذا تبينت آراء صديق حسن خان القنوجي ﵀ في تفسيره فتح البيان في باب الصفات ومنهجه الذي أثبته في أواخر مؤلفاته في العقيدة.

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال، له كتاب في تفسير القرآن، وكتاب في رقائق المحبين، توفي سنة ٢٨٣هـ، ٨٩٦م. (الأعلام للزركلي، ج٣، ص١٤٣. وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢٩).

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص٤٧–٤٨.

(٣) سورة القصص، الآية [٨٨].

(٤) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل، ص٥٨.

وما أثبته في كتابه قطف الثمر، وفي كتابه الدين الخالص، هو الموافق لمذهب أهل السنة والجماعة "أهل الحديث والأثر" وهو ما سار عليه صدر هذه الأمة، وسار عليه أئمة التفسير كابن جرير الطبري وابن كثير.

۞۞۞

المبحث الثاني: آراؤه في القدر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنة والجماعة.

الإيمان بالقدر عند أهل السنة: أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها.

ومعنى الإيمان عندهم بالقدر هو التصديق الجازم بأن كل شيء بقضاء الله وقدره السابق، سواء كان صغيرًا أو كبيرا، حقيرًا أو جليلا، خيرًا أو شرا، حلوًا أو مرا، طاعةً أو معصية، وأنه الله سبحانه فعَّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وأن كل أمر قد خط في اللوح المحفوظ وأنه خالق أفعال العباد، وعالم بجميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، وأنه يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والإيمان بالقدر من الإيمان بالغيب الذي يجب على المسلم الإيمان به.

ويعتقد أهل السنة: أن العبد فاعل حقيقة، وله مشيئة وقدرة، ولكنها لا تخرج عن مشيئة الله تعالى وقدرته، كما يؤمنون بأن الله تعالى علم كل شيء وقدره، وأنه قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعلم أهل الجنة من أهل النار، وأن كلاً ميسر لما خلق له[1].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لـ لابن أبي العز، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٩، ت١٤١٧هـ١٩٩٦م، ص٣٥٣-٣٦٣.

الرأي الثاني: رأي القدرية النفاة، المعتزلة والمعبدية والغيلانية.

وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم أكثر العلماء اسم (القدرية) وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد، وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها استقلالاً بدون مشيئة الله.

ويزعمون: أنهم بهذا القول ينزهون الله عن الظلم؛ لأنه لو قدر المعاصي عليهم، ثم عذبهم عليها، لكان ظالمًا لهم، وللزم من إثبات قدرة الله على أفعالهم الجبر، الذي هو باطل بالشرع والعقل.

الرأي الثالث: رأي القدرية المثبتة، الجهمية (الجبرية).

يقول هؤلاء بأن العبد مجبور على أفعاله، مقسور مقهور على أقواله وأفعاله لا قدرة له على شيء من الطاعات، ولا على ترك المعاصي، ومع أنه لا قدرة له على ذلك عندهم، فهو مثاب معاقب على ما لا قدرة له عليه[1].

رأي القنوجي في هذا الباب "باب القدر"

ولأن الخلاف في هذا الباب يدور بين أهل السنة والجماعة وبين طائفتي الابتداع المعتزلة النفاة (القدرية)، والجهمية المثبتة (الجبرية) فإن صديق حسن خان القنوجي ﷺ حامل راية السنة والإسلام سيقف موقفًا حاسمًا من هذه البدعة المارقة التي دخلت على الأمة في أواخر عهد الصحابة فأنكروا على أصحابها وتبرئوا منهم، وكفروهم، ورد عليهم أئمة الدين من التابعين وتابعيهم.

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء والفرق، لـ د. عبد الكريم العقل، دار الوطن، ط٢، ت١٤٢٣هـ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٥٢-١٥٣، وانظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، لـ د. عبد الرحمن المحمود، ط٢، ت ١٤١٨هـ١٩٩٧م، ص١٩٩-٢٠٤.

وسيقف الدارس لتفسير فتح البيان على هذا المنهج بوضوح، وسننقل شيئًا من أقواله حيز دراستنا تثبت ما ذكرناه من منهج القنوجي ﷺ في هذا الباب.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾(١)، بعد ذكر أقوال المفسرين في تفسير الآية قال: "وهذا يدل على أن ما يعمل الإنسان فبقضائه وخلقه، حتى الضحك والبكاء"(٢).

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾(٣): "كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه متلبسًا بقدر قدَّره، وقضاء قضاه، سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، قال النووي(٤): "إن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه على صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها، ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم، أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا" .. انتهى، وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأهل العقد والحل من السلف والخلف، على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وقد قرر ذلك أئمة السنة أحسن تقرير، بدلائله القطعية، السمعية

---

(١) سورة النجم، الآية [٤٣].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص ٢٧ .

(٣) سورة القمر، الآية [٤٩].

(٤) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، ولد في نوا قرية من قرى حوران بسورية ونسب إليها، ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي بها سنة ٦٧٦هـ، من كتبه: منهاج الطالبين، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. (الأعلام للزركلي، ج٨، ص١٤٩. انظر: مقدمة منهاج الطالبين وعمدة المفتين، دار المنهاج، ط٣، ت١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص١٢-١٨).

والعقلية"[1].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2]: "قال الزجاج: إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان، والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه، لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدر عجز، ووجود خلاف المعلوم جهل، هذا طريق أهل السنة، فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية، قال القرطبي: وهذا أحسن الأقوال، وهو الذي عليه جمهور الأمة وقدم الكافر على المؤمن لأنه الأغلب عند نزول القرآن، وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين"[3].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[4]: "وإيضاح الجواب عن هذا ما ورد في الحديث «اعملوا فكل ميسر لما خلق له[5]» أي عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لأجله وأمرتم به، وكلوا أمور الربوبية الغيبية إلى صاحبها فلا عليكم بشأنها، ونظيره الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، والأجل المضروب في العمر مع المعالجة بالطب، فإنك تجد المغيب فيهما علة موجبة، والظاهر البادي سببا مخيلا وقد اصطلح الناس خاصتهم وعامتهم أن الظاهر فيهما لا يترك بسبب الباطن"[6].

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٠٧.

(٢) سورة التغابن، الآية [٢].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ١٦٤.

(٤) سورة الليل، الآيات [٧-١٠].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة تبت، رقم الحديث ٤٩٤٥، ص٩٨٠، وأخرجه مسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم ٢٦٤٧، ج٨، ص٤٦-٤٧.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ٢٢٣٧.

وما اختاره القنوجي رحمه الله هو ما عليه أئمة التفسير وعامة أهل الإسلام من عصر الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم التابعون وأئمة المسلمين.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وقوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1]، كقوله ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[2]، وكقوله ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) ﴾[3]، أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري رحمه الله"[4].

رأي الباحث: وليس للباحث –هنا– إلا أن يثبت ما أثبته أئمة الإسلام، ولو استقصينا النقول عن أئمة التفسير في هذا الشأن لأخذت مجلَّدًا ضخمًا وكانت بحثًا مستقلا.

۞۞۞

---

(١) سورة القمر، الآية [٤٩].

(٢) سورة الفرقان، الآية [٢].

(٣) سورة الأعلى، الآيات [١-٣].

(٤) تفسير القرآن العظيم تفسير، ج٤، ص٢٢٣٦-٢٢٣٧.

المبحث الثالث: آراؤه في خلق أفعال العباد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنة والجماعة "أهل الحديث والأثر".

يعتقد أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد خلق الله تعالى، وكسب من العباد بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدرة و مشيئة وإرادة، لكنها داخلة تحت قدرة الله تعالى ومشيئته وإرادته.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله[(١)]: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد".

علق ابن أبي العز رحمه الله على كلام الطحاوي بقوله: "وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه"[(٢)].

الرأي الثاني: رأي الأشاعرة والماتريدية.

يوافق هؤلاء أهل السنة في ظاهر كلامهم، لكنهم يفترقون عنهم في مسألة طرحها الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله[(٣)]، وعند النظر لمن شرحها من الأشاعرة يرى بعدا بينهم وبين أصحاب القول الأول، بل يكاد قولهم يقرب من قول القائلين بالجبر.

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر سنة ٢٣٩هـ، ٨٥٣م، تفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا، توفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ، ٩٣٣م، من كتبه: شرح معاني الآثار ومشكل الآثار وأحكام القرآن. (الأعلام للزركلي، ج١، ص٢٠٦، تذكرة الحفاظ، لـ للذهبي، دار الكتب العلمية، ط٣، ج٣، ص٨٠٧-٨١١).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٦٤٠.

(٣) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ، ٨٧٤م، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ٩٣٦م، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها: إمامة الصديق والرد على المجسمة ومقالات الإسلاميين والإبانة عن أصول الديانة. (الأعلام للزركلي، ج٤، ص٢٦٣. وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٤-٢٨٦).

فهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لله مقدورة له، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها، أي أن الفاعل الحقيقي هو الله، وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يد هذا الإنسان فالحق في نظرهم أن أفعال العباد تتم بالمشاركة بين الله تعالى و عباده، فلا يستقل أي الطرفين بها وحده، ولما كان الله لا يحتاج إلى معين في أفعاله الخاصة، فيبقى أن العبد هوالمحتاج إلى عون الله في أفعاله، ومن ثم فإن الفعل ينسب إلى فاعلين هما: الله والعبد وبهذا الرأي يكون الأشاعرة قد رفضوا قول المعتزلة القائل: إن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه بقوة أودعها الله إياه، وقول الجبرية: إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولا كسب شيء، بل هو كالريشة في مهب الريح، فقالوا: إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولكن يستطيع الكسب، وقد اعتبر بعض العلماء موقفهم هذا توسطا بين الطرفين -المعتزلة والجبرية- ولكن يبدو أن مذهب الأشاعرة في الكسب يرتد في النهاية إلى مذهب القائلين بالجبر لا سيما عند عرض مذهبهم من قضية خلق أفعال العباد وبالتحديد مدى تعلق أفعال العباد بهم، وهل هم فاعلون حقيقة؟ أم ليس لهم إلا الكسب؟(١).

وهذه النظرية محل خلاف عند الأشاعرة أنفسهم، وذكرها من المحيرات حتى قال بعضهم:

ممـــــا يقـــال ولا حقيقـــة تحتـــهُ	معقولـــــة تـــدنوا إلـــى الأفهـــامِ
الكســـب عنـــد الأشـــعري والحـــال	عنـــد الهاشـــميِّ وطفـــرة النظـــام(٢)

---

(١) انظر: أفعال العباد عند الفرق الإسلامية، لـ د. سعد عبد الله عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة العدد الثاني، ص٢٤٧-٢٥٣.

(٢) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة، لـ د. سفر الحوالي، مكتبة العلم القاهرة، ص٢٥.

الرأي الثالث: رأي القدرية النفاة (المعتزلة).

وهؤلاء يتبين مذهبهم عند الرجوع إلى كلامهم على القدر، فهم ينفون علم الله تعالى بأفعال العباد، وأنه لا قدرة له ولا مشيئة له في أفعالهم، ويردون فعل العبد إلى العبد، فيكون العبد خالق فعله، تعالى الله عن ذلك، وهؤلاء هم القدرية مجوس هذه الأمة الذين ورد فيهم الحديث المشهور(١).

الرأي الرابع: رأي القدرية المثبتة الجهمية (الجبرية).

وهؤلاء ينفون عن العبد القدرة والإرادة والاختيار، ويجعلونه كريشة في مهب الريح، مجبور على أفعاله واختياراته.

وهذه الآراء الأربعة توزعت عليها بقية الطوائف كالإثني عشرية والخوارج، فلم أذكر رأي بقية الطوائف لتوزع آرائهم على ما سبق.

رأي القنوجي في أفعال العباد.

ولم يخرج القنوجي ﷺ عن معتقد أهل السنة والجماعة، وهو ما يؤكده في تفسيره فتح البيان وغيره من مؤلفاته، وإليك شيئًا مما ذكره في تفسيره فتح البيان، وهو يؤكد معتقد أهل السنة والجماعة.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٢) "الاستفهام للإنكار والمقصود نفي عدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر والمعنى ألا يعلم السر ومضمرات القلوب مَنْ خَلَقَ ذلك وأوجده، فالموصول عبارة عن الخالق، ويجوز أن يكون عبارة عن المخلوق، وفي ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ضمير يعود إلى الله والمخلوق الذي

---

(١) الحديث عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»، رواه أحمد وأبو داود، انظر: العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص٣٥٦.

(٢) سورة الملك، الآية [١٤].

هو من جملة خلقه فإن الأسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه وفيه إثبات خلق الأقوال فيكون دليلاً على خلق أفعال العباد"[١].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[٢]: "الإضلال للكافرين والهداية للمؤمنين يضل الله من يشاء الإضلال ويهدي من يشاء هدايته، وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء، وفيه دليل على خلق الأفعال"[٣].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[٤]: "متعلق بأعوذ أي أعوذ بالله من شر كل ما خلقه من جميع مخلوقاته فيعم جميع الشرور، فهذا عام وما بعده من الشرور الثلاثة خاص فهو من ذكر الخاص بعد العام، وقيل هو إبليس وذريته، وقيل جهنم، ولا وجه لهذا التخصيص كما أنه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية.

وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه، وتقويماً لباطله، فقرأ بتنوين شر على أن ما نافية"[٥].

رأي الباحث: معتقد أهل السنة في هذا هو الحق الذي لا حياد عنه، فهم يفردون الله بالخلق والإيجاد، فلا يشاركه العباد في خلق أفعالهم، وخلق الله للعباد قدرة ومشيئة يفرقون بها بين الخير والشر والضار والنافع، فمن اختار الخير استحق الثواب، ومن فعل الشر استحق العقاب، والله يثيب بفضله ويعاقب بعدله، ولا يظلم ربك أحدًا.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٤، ص ٢٣٨.
(٢) سورة المدثر، الآية [٣١].
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٤، ص ٤١٦ .
(٤) سورة الفلق، الآية [٢].
(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٥، ٤٥٩ .

المبحث الرابع: عقيدته في أصحاب رسول الله ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنة والجماعة.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(١).

قال ابن حجر رحمه الله(٢): "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وقد ذكر الخطيب(٣) (الكفاية) فصلاً نفيسًا في ذلك، فقال: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم.

ثم قال بعد ذكر الأدلة التي ساقها الخطيب: وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق؛ على أنه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لـ: ابن أبي العز، مؤسسة الرسالة، ط٩، ت١٤١٧هـ، ص٦٨٩.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ، ١٣٧٢م، أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ، ١٤٤٩م، تصانيفه كثيرة جليلة منها: الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، وتهذيب التهذيب، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري.(الأعلام للزركلي، ج١، ص١٧٨).

(٣) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، ولد في غزية، وهي قرية بين الكوفة ومكة، سنة ٣٩٢هـ، وتوفي في الشام سنة ٤٦٣هـ، ذكر له ياقوت ٥٦ مضنفا أعظمها تاريخ بغداد، ومن كتبه: الكفاية في علم الدراية. (تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٣٥-١١٤٥. الأعلام ج١، ص١٧٢).

لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتمد قوله"[1].

والنقول الكثيرة الشهيرة عن أئمة السنة وأعلامها تبين منهج أهل السنة من مسألة الصحابة، بل هي محل إجماع واتفاق عندهم.

الرأي الثاني: رأي الخوارج في صحابة رسول الله ﷺ.

الصحابة عند الخوارج قسمان، قسم رضوه وعدلوه، وقسم كفروه، والذي يتفق عليه عامة الخوارج في مسألة الصحابة هو ما ذكره عبد القاهر البغدادي ؒ في كتابه الفرق بين الفرق، حيث قال: "وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فذكر الكعبي في مقالاته أن الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر"[2].

وأشهر فرق الخوارج الموجودة اليوم هي الإباضية وموقفهم من الصحابة لا يكاد يخرج عما ذكره البغدادي.

قال الدكتور عبد الكريم العقل: "فأما الإباضية فإنها وقعت في بعض أصحاب رسول الله ﷺ كما فعلت سائر الخوارج، وكما فعلت الرافضة، إلا أنهم أقل غلوًا في

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لـ الحافظ بن حجر، تحقيق: عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية، ط١، ت١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، ج١، ص٢٣.

(٢) الفرق بين الفرق، ص٧٢.

ذلك، فالإباضية تطعن في عدد من أجلاء الصحابة كعثمان وعلي وعمرو بن العاص ومعاوية وطلحة بن الزبير ﷺ وأصحاب الجمل، ولا يترضون عن جميع الصحابة ويقولون نترضى عنهم إلا من أحدث ويعدون جملة من خيار الصحابة على أنهم أحدثوا وبهذا يوافقون الرافضة"[(١)].

وإن كان هناك من الإباضية من ينكر سبهم وتكفيرهم للصحابة إلا أن الناظر في كتبهم يرى السب والشتم لعثمان وعلي وغيرهما يراه ظاهرا، كما في كتاب كشف الغمة، وكتاب الدليل لأهل العقول، وهما من كتب الإباظية، ومن هؤلاء علي يحيى معمر المدافع القوي عن الإباضية يزعم أن الإباضية لا يكفرون أحدًا من الصحابة، وأورد فصلاً طويلاً بيّن فيه اعتقاد الإباضية في الصحابة بأنهم يقدرونهم حق قدرهم، ويترضون عنهم ويسكتون عما جرى بينهم، ونقل عن التعاريتي – أيضًا– مدحه للصحابة خصوصا عليًّا وأبناءه.

وأخيرًا قال علي يحيى معمر: "ولم يكن يومًا من الأصحاب شتم له أو طعن، اللهم إلا من بعض الغلاة، وهم أفذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب"[(٢)].

ومع أن ما يذكره علي يحيى معمر لا يتفق مع النصوص المستفيضة عن علماء الإباضية في ذمهم لبعض الصحابة، كالورجلاني الذي يُعدّ من السابقين ليحيى معمر، وهو من هو في صفوف الإباظية.

---

(١) رسائل ودراسات في الأهواء والفرق، ج٢، ص٩٢.

(٢) انظر: الإباضية بين الفرق، لـ علي يحي معم، طبعة وزارة التراث القومي والثقافي سلطنة عمان، ط٣، ت١٤١٥هـ١٩٩٤م.

وأثناء تتبعي لمقالات الإباضية في العصر الحديث فهناك عدد من المقاطع الصوتية والمرئية تبين تنقص الإباضية لبعض الصحابة على ما ذكره المتقدمون كابن حزم والبغدادي وغيرهم.

ومع هذا فإننا نتمنى أن يعيد الإباضية النظر في موقف متقدميهم من الصحابة وأن يعرفوا للصحابة قدرهم ومكانتهم.

الرأي الثالث: رأي الشيعة في صحابة رسول الله ﷺ.

أما الشيعة فعداؤهم للصحابة وطعنهم فيهم مشهور معروف سواء شيعة الماضي أو الحاضر، فكتبهم تزخر بالطعن في الصحابة، واستثنوا عددًا قليلاً ذكر المجلسي أنهم ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان[1]، وهم يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن.

ويستثنى من فرق الشيعة الزيدية فهم يقرون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل فرق الشيعة، بل يترضون عنهما، إلا أن الرفض بدأ يغزوهم بواسطة الدعم الإيراني، ويحاول جعلهم غلاة مثلهم.

إلا أنهم يتفقون مع فرق الشيعة الأخرى في بعض الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص وكل من حارب علي بن أبي طالب.

مع ملاحظة أن الزيدية الموجودة اليوم هم جارودية غلاة في الصحابة، وقد دخل عليهم الرفض قديما.

وللشيخ اليمني محمد الإمام بحث بعنوان طعون رافضة اليمن في أصحاب النبي المؤتمن أثبت فيه كثيرًا من طعون الزيدية في الصحابة.

---

(١) انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، ج٣٢، ص٦٣-٦٥ .

رأي القنوجي في صحابة رسول الله ﷺ.

الإمام القنوجي رحمه الله من آل بيت رسول الله ﷺ، ولأن من يسبون الصحابة يدعون أن ذلك دفاعًا عن آل البيت، فما هو يا ترى رأي هذا النسيب الحسيب الحسني؟

إليك نبذًا مما سطره في تفسيره فتح البيان، يستبين بذلك رأيه ومعتقده في صحابة رسول الله ﷺ.

ذكر في تفسير سورة الحديد عند قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾[1]، مجموعة من الأحاديث تدل على فضل الصحابة مما يعني اعترافه بهذه الأفضلية وتسليمه بها.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]: "أمر الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أوليا، لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزغ الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به

(١) سورة الحديد، الآية [١٠].

(٢) سورة الحشر، الآية [١٠].

على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه بالالتجاء أو باللجإ إلى الله سبحانه، والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طوقه من الغل لخير القرون، وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه.

وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلى بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة، الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلقة، والأقاصيص المفتراة، والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم، بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة، ومن رتبة إلى رتبة، حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله، وخير أمته وصالحي عباده، وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط"(١).

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢): "وهذا النفي مستمر دائما لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شأنهم أحد من التابعين، ولا ممن بعدهم، فالمنفي هنا غير متوقع الحصول"(٣).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٤، ص ٥٥-٥٦ .

(٢) سورة الجمعة، الآية [٣].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ص١٣١.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(١): "أي بعد ضيق وشدة سعة وغنى، وهذا وعد لذي العسر باليسر، وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين عند نزول الآية، ففتح عليهم جزيرة العرب، ثم فارس والروم، حتى صاروا أغنى الناس، وصدق الآية دائم غير أنه في الصحابة أتم لأن إيمانهم أقوى من غيرهم"(٢).

رأي الباحث: هذه هي المنزلة التي يعرفها أهل الإسلام لصحابة رسول الله ﷺ، فقد كانوا حماة الدين، وهم نقلته ومبلغيه إلى من بعدهم، ولولا هم بعد الله لما وصل إلينا هذا الدين نقيا صافيًا كاملا، وأعداء الدين غاظهم من هؤلاء تمسكهم بدينهم ودفاعهم عنه، وغاظهم من الصحابة فتح البلاد وكسر الأصنام، فأرادوا بطعنهم في الصحابة الطعن بهذا الدين، وهو ما تنبه له أئمة الإسلام.

قال الإمام مالك رحمه الله عن الذين يسبون الصحابة: إنما هؤلاء اقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام.

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله(٣): إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما

(١) سورة الطلاق، الآية [٧].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ص١١٩٣.

(٣) عبيدالله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة الرازي: من حفاظ الحديث، الأئمة، من أهل الري، ولد سنة ٢٠٠هـ، ٨١٥م، زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل، كان يحفظ مئة ألف =

أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.

ذكر هذه الآثار الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الرواية باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم[1].

۞۞۞

حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل، توفي بالري سنة ٢٦٤هـ، ٨٧٨م. (البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٦٣. الأعلام للزركلي، ج٤، ص١٩٤).

(١) انظر: الكفاية في علم الدراية، لـ للخطيب البغدادي، ص٤٨-٤٩.

المبحث الخامس:

آراؤه في رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنة والجماعة "أهل الحديث والأثر".

يؤمن أهل السنة بما يؤمن به سلف الأمة وبما هو منصوص عليه في كتاب الله، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ، وبإجماع أهل الإسلام قبل ظهور الفرق وأهل الأهواء.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾[(١)] وتفسيره على ما أراده الله وعلمه"[(٢)].

وهذا مذهب أئمة السنة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وعليه أئمة التفسير، وأحاديث الرؤية تفيد اليقين رواية ودراية، فهي أحاديث متواترة، ومعناها واضح ليس به خفاء.

الرأي الثاني: رأي الأشاعرة.

يثبت الأشاعرة الرؤية من حيث العموم، لكنهم يثبتونها بطريقة مختلفة من حيث الدليل والتفسير، بناء على أن إثبات العقائد عندهم العقل وليس السمع.

---

(١) سورة القيامة، الآية [٢٢-٢٣].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠٧.

قال ابن رشد[1]: "وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس فعسر ذلك عليهم ولجؤوا في ذلك إلى حجج سوفسطائية مموهة أعني الحجج التي توهم أنها حجج وهي كاذبة"[2].

الرأي الثالث: رأي الماتريدية.

وافق الماتريدية الأشاعرة في جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، لكنهم اختلفوا معهم في الدليل، فأدلة اليوم الآخر لا تثبت عندهم إلا بالدليل السمعي، خلافًا للأشاعرة فهي لا تثبت عندهم إلا بالأدلة العقلية.

الرأي الرابع: رأي المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج.

تنكر هذه الفرق رؤية الله في الآخرة، وتؤل جميع النصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، وبنوا هذا على أصولهم العقلية التي أسسوها.

رأي القنوجي ؒ.

من خلال النظر في النصوص التي ذكرها القنوجي في تفسيره يتضح أين يقف من هذه الأقوال.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، بعد ذكر الروايات والأقوال: "وقد تظافرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى، وقد رواها نحو من عشرين

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف، من أهل قرطبة، ولد سنة ٥٢٠هـ، توفي بمراكش سنة ٥٩٥هـ، له من المؤلفات ما يقرب من خمسين كتابًا منها: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ومناهج الأدلة في عقائد الملة. (الأعلام للزركلي، ج٥، ص٣١٨).

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لـ ابن رشد، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ت١٩٩٨م، ص١٥٣.

(٣) سورة القيامة، الآية [٢٢-٢٣].

صحابيًا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، ولاعتراضات المبتدعة من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة عليها أجوبة معروفة في كتب الكلام من أهل السنة، وكذلك باقي شبههم وأجوبتها مستفاضة في كتب أهل الحق، وليس هذا موضع ذكرها، وقد قدمنا أن أحاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها وهي تأتي في مصنف مستقل، ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشيء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله"(١).

وكلامه -هنا- في غاية الوضوح وهو ينبيك عن منهجه ورأيه في هذه المسألة، فليس لمثل هذا الإمام أن يحيد عن منهج أهل السنة والجماعة منهج القرآن والحديث.

وهو الموافق لرأي أئمة التفسير وقبلهم صدر هذه الأمة من الصحابة الكرام الأطهار.

قال الإمام ابن جرير ﷺ: "وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ"(٢).

قال ابن كثير ﷺ: "وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام"(٣).

قال الشوكاني ﷺ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٤): و"قد قدمنا أن أحاديث الرؤية متواترة

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٤٤ .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١، ص٢٤٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٤٣٨.
(٤) سورة القيامة، الآية [٢٣].

فلا نطيل بذكرها وهي تأتي في مصنف مستقل، ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشيء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله"[1].

رأي الباحث: معتقد أهل السنة والجماعة هو ما أخبر به ربنا في كتابه، ووعد به أوليائه، وبشرهم به رسولهم، ينظرون إلى ربهم ثوابًا منه وإكراما.

وبهذا علم الحق في هذه المسألة، كما قرره أئمة التفسير، وأدلتهم في غاية الوضوح والثبوت.

۞۞۞

(١) فتح القدير، ج٥، ص٤٧٨.

المبحث السادس: آراؤه في تعريف الإيمان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنة والجماعة.

مذهب أهل السنة أن الإيمان اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وعلى هذا التعريف جرى أئمة السنة، فقد بدأ البخاري ؒ صحيحه بكتاب الإيمان، وقال باب الإيمان قول وعمل، أي قول اللسان وعمل القلب والجوارح.

وجاء عنه قال رويت في هذا الكتاب عن ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون الإيمان قول وعمل.

وألف بعض العلماء كتبًا مستقلة في الإيمان، كأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن أبي شيبة[١] شيخ البخاري، وابن منده[٢]، وابن تيمية، وغيرهم.

وحكى إجماع الصحابة على هذا الإمام الشافعي ؒ قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر.

---

(١) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر، ولد سنة ١٥٩هـ، ٧٧٦م، حافظ للحديث، له فيه المسند، والمصنف في الأحاديث والآثار، توفي سنة ٢٣٥هـ، ٨٤٩م (الأعلام للزركلي، ج٤، ص١١٧).

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، أبو عبد الله العبدي الأصبهاني، ولد سنة ٣١٠هـ، ٩٢٢م، من كبار حفاظ الحديث، الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه، توفي سنة ٣٩٥هـ، ١٠٠٥م، من كتبه: فتح الباب في الكنى والألقاب، والرد على الجهمية، والتوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الاتفاق والتفرد. (تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٠٣١-١٠٣٥. الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٩).

وقد ذكر الإمام اللالكائي رحمه الله[١] في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة كثيرا من النقول عن أئمة السنة بهذا الشأن[٢].

وكما أجمع أهل السنة على كون الإيمان قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح، فقد أجمعوا كذلك على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن إيمان المؤمنين يتفاوت قوةً وضعفا.

الرأي الثاني: رأي الخوارج في تعريف الإيمان.

يوافق الخوارج أهل السنة على تعريف الإيمان بأنه قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

لكنه عندهم كتلة واحدة وهيئة مجتمعة لا يمكن أن تختل بوجه من الوجوه، فترتفع حقيقة الإيمان بارتفاع جزء من أجزائه، فهم يخالفون أهل السنة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، فهو عندهم إما أن يبقى جميعه أو يرتفع جميعه.

وأهل السنة يقولون بأن الإيمان يتجزأ، فهناك من أجزائه ما يؤثر في وجوده كالشهادتين، وهناك ما يؤثر في كماله كتارك الصلاة غير الجاحد وجوبها في قول بعض العلماء.

وأشهر فرق الخوارج اليوم هي الإباضية، ولهم في ذلك أقوال: منهم من يقول بأن الإيمان يزيد وينقص، وهم بهذا يوافقون أهل السنة في الظاهر لكنهم يقصدون بذلك الإيمان العملي، أما الإيمان الاعتقادي فنقصانه عندهم يعني تهدمه.

---

(١) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي: حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية، من أهل طبرستان، استوطن بغداد، وخرج في آخر أيامه إلى الدينور: فمات بها سنة ٤١٨هـ، ١٠٢٧م، له من الكتب: شرح السنة، وشرح أصول أهل السنة والجماعة، وأسماء رجال الصحيحين، وكرامات أولياء الله. (تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٠٨٣-١٠٨٤. الأعلام للزركلي، ج٨، ص٧١).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لـ الالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعيد الغامدي، دار طيبة، ط٤، ت١٤١٦هـ١٩٩٥م، ج٥، ص٩٥٥-٩٥٩.

ومنهم من يقول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهو ما أشار إليه السالمي صاحب كتاب مشارق أنوار العقول، بقوله وهو الأتم(١).

وقد أشار الدكتور ناصر العقل في كتابه رسائل ودراسات في الأهواء والفرق إلى كلامهم ووصفه بأنه مضطرب ومتناقض(٢).

الرأي الثالث: رأي المعتزلة في تعريف الإيمان.

يشارك المعتزلة الخوارج في تعريف الإيمان، لكنهم يختلفون عنهم في مبحث مرتكب الكبيرة من الموحدين، وهو ما سيأتي معنا في المبحث التالي.

الرأي الرابع: رأي المرجئة في تعريف الإيمان.

جاء الإرجاء ليقابل غلو الخوارج في الإيمان حيث كفروا كل من ترك عملاً أو فعل محرما، والمرجئة صنفان:

مرجئة الفقهاء، وهم الذين عرفوا الإيمان بأنه التصديق، فأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وجعلوا كل مصدق مؤمنًا كامل الإيمان، وهؤلاء جلهم من الأحناف لأنهم يتمسكون ببعض النقول عن أبي حنيفة ﷺ، حتى إن الإمام الطحاوي ﷺ في عقيدته المشهورة تبع فيه مرجئة الفقهاء ولم يدخل العمل في مسمى الإيمان، وتبعه الشارح العز بن عبد السلام.

المرجئة الغلاة: وهؤلاء جعلوا الإيمان هو المعرفة فقط، وهؤلاء أخبث قولاً وأشد مروقا فهم يجعلون مجرد معرفة الله كافية لحصول الإيمان وإذا كان العلماء قد ردوا على مرجئة الفقهاء وخطئوهم فهؤلاء من باب أولى، وهؤلاء هم الذين فتحوا باب الشر على الأمة بتزيين المعاصي بأنواعها للناس بناء على أصلهم الفاسد.

---

(١) مشارق أنوار العقول، لـ عبد الله بن حميد السالمي، تعليق أحمد الخليلي، دار الجيل بيروت، ط١، ت١٤٠٩هـ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٠٤.

(٢) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء والفرق، ج٢، ص٨٧.

الرأي الخامس: رأي الأشاعرة في تعريف الإيمان.

ويلحق الأشاعرة في باب الإيمان بالمرجئة، فجعلوا الإيمان مجرد التصديق، وقول اللسان وعمل الجوارح مجرد تصديق، وهم –أيضًا– في هذا الباب لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، وكلام أئمتهم في الباب كثيرة ومشهورة، وهم كذلك يخالفون مرجئة الفقهاء الذين جعلوا الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان وأخرجوا العمل من مسمى الإيمان، فهم في درجة وسط بين مرجئة الفقهاء والمرجئة الغلاة الذين جعلوا الإيمان مجرد المعرفة.

ذكر الشهرستاني[١] ﷺ من جملة عقائد الأشاعرة قول أبي الحسن الأشعري في الإيمان قال: "الإيمان هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب، أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقًا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه، حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنًا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك"[٢].

وهو ما أكده أبو الحسن الأشعري ﷺ، في كتابه اللمع قال: "إن قال قائل: ما الإيمان بالله عندكم؟ قيل له هو التصديق بالله تعالى"[٣].

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام، كان إمامًا في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، ولد في شهرستان سنة ٤٧٩هـ، وتوفي بها سنة ٥٤٨هـ، قال ياقوت في وصفه: الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة، والذب عنهم لكان هو الإمام، من كتبه: الملل والنحل. (الأعلام ج٦، ص٢١٥).

(٢) الملل والنحل، لـ أبي الفتح الشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ت١٤١٣هـ١٩٩٢م، ج١، ص١١٤.

(٣) كتاب اللمع في الرد على أهل أهل الزيغ والبدع، لـ أبي الحسن الأشعري، تحقيق: حموده غرابه، مطبعة مصر، ت١٩٥٥م، ص١٢٣.

وهو ما أقره الإمام المحقق النووي ﷺ في شرح مسلم عن الأشاعرة بأن الإيمان عندهم مجرد التصديق[1].

وهو كذلك ما أقره متأخري الأشاعرة كالشيخ حسن أيوب ﷺ في كتابه تبسيط العقائد الإسلامية[2].

الرأي السادس: رأي الجهمية في تعريف الإيمان.

الجهمية في هذا مرجئة غلاة فيكفي عندهم في الإيمان مجرد المعرفة ففرعون عندهم مؤمن وإبليس عندهم مؤمن، ولم يكفر فرعون عندهم بعدم الإيمان وإنما بمخالفة الأمر، وإبليس لم يكفر بعدم الإيمان، بل بمخالفة الأمر، وهكذا، وهذا القول مشهور عنهم في أنه يثبت الإيمان بالمعرفة.

قال الشهرستاني ﷺ: "ومنها قوله (أي الجهم): من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده؛ لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد، فهو مؤمن، قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد؛ إذ المعارف لا تتفاضل"[3].

رأي الباحث: لعل خلفية القنوجي ﷺ الحنفية جعلته يميل أحيانًا إلى جانب مرجئة الفقهاء الذين لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان، أو لعله اعتمد في النقل على بعض المفسرين المنتمين لمرجئة الفقهاء، فهو يثبت في تفسيره أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان.

بينما هو في مواضع أخرى من تفسيره يحاول القول بأن الإيمان قول وعمل،

---

(١) انظر: صحيح مسلم بن الحجاج بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، ت١٣٤٧هـ١٩٢٩م، ج١، ص١٤٨.

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية، لـ حسن أيوب، دار الندوة الجديد، ط٥، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص٢٩-٣٣.

(٣) الملل والنحل، ج١، ص٩٩.

وأحيانا أخرى يريد أن يجمع بين القولين.

يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾(١): و"في الآية دليل على أن العمل ليس من الإيمان"(٢).

وقال عند تفسير قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٣): "بالغيب قولاً واعتقادًا وعملاً، وتدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل، وقال ابن كثير إن الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولاً وعملاً، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغير واحد إجماعًا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقد ورد فيه آثار كثيرة انتهى، وقد أنكر أكثر المتكلمين زيادة الإيمان ونقصانه، وقال أهل السنة إن نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها، وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر النصوص من الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الإيمان ونقصانه، وبين أصله من اللغة"(٤).

فكلامه –هنا– متردد بين إثبات مذهب أهل السنة، وإثبات مذهب مرجئة الفقهاء، ثم إنه جمع بما يوحي بميله إلى كلام المرجئة من الأشاعرة كما سبق بيان كلامهم.

هذا رأيه في تفسيره فتح البيان، لكن ما هو رأيه وتقريره في كتبه الأخرى خاصة كتب العقيدة منها وكتب شروح الحديث.

---

(١) سورة الجن، الآية [١٣].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٣٩ .

(٣) سورة البقرة، الآية [٣].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص٧٩.

قال في عقيدته قطف الثمر: "والإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، مطابقا للكتاب والسنة، والنية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى[1]» والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"[2].

وفي شرحه على صحيح مسلم أثبت أن الإيمان قول وعمل، وأثبت أن الإيمان يزيد وينقص، وأن المؤمن هو من أتى بأمور ثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح.

وأثبت أن تصديق القلب يتفاوت من شخص إلى آخر، وأن تصديق أبي بكر ليس كتصديق غيره، ثم ذكر نقولات عن الأئمة الأعلام تظهر المذهب الحق من أن الإيمان اعتقاد الجنان ونطق اللسان وعمل الجوارح والأركان[3].

ونقل الباحث أختر جمال لقمان في رسالته الدكتوراة عدة نقول من مؤلفات القنوجي الكثيرة بأن الإمام القنوجي قرر ما عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح[4].

رأي الباحث: وبعد هذا النقل والتقرير للآراء والأقوال ليس للباحث المسلم المنصف المتبع آثار السلف أن يثبت رأيًا غير ما أثبته الأئمة الأعلام، وليس للباحث المنصف إلا أن يتبع إجماع أهل الإسلام في الصدر الأول، **الإيمان قول**

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم ١، ص٣، وأخرجه مسام في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنية» وأنه يدخل الغزو وغيره من الأعمال، رقم ١٩٠٧، ج٦، ص٤٨.

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص٨٠.

(٣) انظر: السراج الوهاج، لـ صديق حسن خان، تحقيق: عبد الله الأنصاري، طبع الشئون الدينية بدولة قطر، ج١، ص٣٢-٣٣.

(٤) انظر: السيد صديق القنوجي آراؤه الاعتقادية موقفه من عقيدة السلف، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة أم القرى، ت ١٤٠٧-١٤٠٨هـ، ص٣٤٣-٣٤٤.

باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن إيمان المؤمنين يتفاوت بحسب قوة اعتقادهم، وأن الإيمان في القلب يضعف وقد يزول عند ارتكاب سبب يؤدي لزواله.

۞۞۞

المبحث السابع:

آراؤه في مرتكب الكبيره من الموحدين

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: الآراء والفرق في هذا الباب

الرأي الأول: رأي أهل السنه والجماعه.

الإيمان عند أهل السنه يتكون من ثلاث ركائز: تصديق القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح، متى اختل واحد من هذه لم يتحقق الإيمان.

ومتى أتى بها جميعها اكتمل إيمانه، فإن تطرق خلل في التصديق لم يقع إيمان اصلا، وإن أبى نطق اللسان مع قدرته المعتبره شرعا لم يقع إيمان كذالك.

فإن تطرق الخلل في عمل الجوارح جملة مع قدرته واكتمال شروط تكليفه فلم يتحقق إيمانه كذالك، فإن كان الخلل في بعض أعمال الجوارح نظر في ذالك الخلل هل هو كبيرة مكفرة أم مفسقه فإن كانت مكفرة قيل بكفر صاحبها لا بعينه حتى تتحق الشروط وتنتفي الموانع، وإن كانت مفسقه كذالك.

إذا فأهل السنه لايكفرون بالكبيرة مطلقا، ويقولون بجواز اجتماع الإيمان في القلب مع خلل في عمل الجوارح فقد يجتمع في الرجل إيمان وفسق.

فأهل السنه لايكفرون أحدًا بذنب ما لم يستحله مع علمه اليقيني بحرمته ومال لم يرد نص صحيح، ويكون وروده واضح الدلاله بتكفير مرتكبه.

قال ابن أبي العز شارح الطحاويه ﷺ: "إن أهل السنه متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن المله بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كفر كفرًا ينقل عن المله لكان مرتدًا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو أهل القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضروره من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزله، فإن قولهم باطل أيضا، إذا قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، والمعتزله موافقون للخوارج في حكم الآخره، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، قالت الخوارج: نسميه كافرا، وقالت المعتزله: نسميه فاسقا، فالخلاف بينهم لفضي فقط.

وأهل السنه متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذالك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئه من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعه، وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئه، ونصوص الوعد التي استدلت بها الخوارج والمعتزله: تبين لك فساد القولين، ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفه فساد مذهب الطائفه الأخرى"[١].

الرأي الثاني: رأي الخوارج.

يجعل الخوارج الإيمان كتله واحدة لا يتجزأ، وبنوا على ذلك إما أن يبقى جميعه أو يرتفع جميعه، ولذا فهم يرون مرتكب الكبيرة كافرًا في الدنيا مخلدًا في النار يوم القيامه.

الإباضيه: إذا عددنا الإباضية من فرق الخوارج كما هو مذهب سائر من تكلم عن الفرق، فإن لهم موقفًا مختلفًا عن سائر فرق الخوارج فهم يقولون في مرتكبي الكبيرة: بأنهم موحدون لا مؤمنون ولا مشركون ولكنهم كفار، مع قولهم بجواز مناكحتهم والتوارث منهم وحرمة دمائهم في السر وإباحتها في العلن.

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية، ص٤٤٢.

وقد يطلقون عليه كافرًا ويفسرون الكفر –هنا– بأنه كفر النعمه، ومع قولهم هذا وقولهم بأن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا مشرك إلا أنهم يوافقون الخوارج في الحكم الأخروي، وهو أن مرتكب الكبيره الذي لم يتب مخلد في النار.

فهم يختلفون عن سائر فرق الخوارج في مرتكب الكبيرة في معاملته الدنيويه ويتفقون معهم في الحكم الأخروي بأنه مخلد في النار(١).

الرأي الثالث: رأي المعتزلة.

يرى المعتزلة بأن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا هو كافر، لكنهم يوافقون الخوارج بأنه مخلد في النار، وهذه ما تسمى عندهم منزلة بين المنزلتين.

وتبع المعتزلة في هذا الزيدية، رغم ما روي عن الإمام زيد(٢) ﷺ من مخالفة لمذهب المعتزلة في هذا.

الرأي الرابع: رأي المرجئة.

المرجئة كما تقدم قسمان: مرجئة الفقهاء ومرجئة غلاة، أما مرجئة الفقهاء الذين جعلوا الإيمان تصديق القلب، وأخرجوا العمل من مسمى الإيمان فإنهم يتفقون مع أهل السنه في مرتكب الكبيرة بأنه داخل في مسمى الإيمان في الدنيا، وفي الآخره أمره إلى الله إن شاء عفى عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنونه ثم يخرجه من النار.

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء والفرق، ج٢، ص٨٩-٩٠.

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، ولد سنة ٧٩هـ، ٦٩٨م، عده الجاحظ من خطباء بني هاشم، قال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا، كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، واقتبس منه علم الاعتزال، نشبت معارك بينه وبين الحكم بن الصلت والي الكوفة انتهت بمقتل زيد في الكوفة، سنة ١٢٢هـ، ٧٤٠م، وإليه تنسب الزيدية. (البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٦-١٠٩. الأعلام للزركلي، ج٣، ص٥٩).

وأما غلاة المرجئة الذين يجعلون الإيمان مجرد المعرفة، فهؤلاء أمرهم واضح في الكافر الملحد فضلا عن صاحب الكبيرة.

ويتبع الأشاعرة والشيعة الإثناعشريه مرجئة الفقهاء في باب مرتكب الكبيرة، بينما يتبع الجهمية المرجئه الغلاة.

رأي القنوجي في مرتكب الكبيرة من الموحدين.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾[(١)]: "ويفهم من ذلك –أيضًا– أن الإصرار على الكبيرة ليس كفرًا، ثم التوبة عن الكبيرة وإن كانت واجبة عينا فورًا بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، لكن قد يغفرها الله تعالى من غير توبة –أيضًا– كما دلت عليه السنة المطهرة"[(٢)].

وقال عند قوله تعالى: ﴿ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[(٣)]: "وفي هذه الآيات أن الكفر كله ملة واحدة وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين"[(٤)].

وقال عند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾[(٥)]: "والآية تدل على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه، وفيه دليل على أن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان"[(٦)].

وكلامه في تفسيره بهذا الخصوص كثير مبثوث يوضح منهجه بوضوح تام وأن منهجه هو منهج أهل السنة والجماعة وهو ما أثبته كذلك في غير هذا الكتاب

---

(١) سورة النجم، الآية [٣٢].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٦٦.

(٣) سورة الواقعة، الآية [٩٤].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٨٩.

(٥) سورة الممتحنة، الآية [١].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٧٣.

ورأية في هذا هو رأي عامة أهل التفسير، كالطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم.

قال في كتابه قطف الثمر: ولا يخلد صاحب الكبيرة المسلم في النار، والعفو عن الكبائر جائز، وكذلك عفوها عمن مات بلا توبة جائز، من باب خرق العوائد(١).

رأي الباحث: ما أثبته القنوجي ﷺ هو الحق الذي لا محيد عنه، وهو الذي يجمع بين أخبار الوعد والوعيد، فمن أخذ بجزء من النصوص وترك الباقي فقد ضل.

وهو ما فعلته الوعيدية والمرجئة، فقد أخذت الوعيدية بأخبار الوعيد فكفروا المسلمين وقاتلوهم واستحلوا دمائهم، ويا لله كم أصيبت الأمة من جهل هؤلاء، يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، قتلوا الخليفة الرابع صهر رسول الله وابن عمه والمبشر بالجنة، وأقاموا معارك كلها موجهة للأمة المسلمة.

ونظر المرجئة إلى أخبار الرجاء فقط، ففتحت على الأمة باب المعاصي والسيئات وهونوا من عيونهم الكبائر والمنكرات.

وأهل السنة وسط بين هؤلاء، فيعظمون الكبائر والمنكرات في النفوس، ويكرهونها إليهم، وهم بالمقابل لا يقنطون أهل التوحيد الذي وعدهم الله بالمغفرة لما سوى الشرك لمن شاء سبحانه.

وكان القنوجي ﷺ في هذا وسط بين الفريقين، ومع منهج أهل السنه كما هي عادته ودأبه.

❁❁❁

(١) قطف الثمر، ص١٣٢.

المبحث الثامن: آراؤه في الجنة والنار

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآراء في هذا الباب

الرأي الأول: فناء الجنة والنار.

قال به الجهم بن صفوان(١) إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابه والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين.

وقال أبو الهذيل العلاف(٢) شيخ المعتزلة: بفناء حركات أهل الجنة والنار، بحيث يصيرون إلى سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة.

وذهب ابن عربي الطائي(٣) إمام الاتحادية إلى أن أهل النار يبقون فيها مدة يعذبون ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم.

---

(١) جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب: رأس الجهمية، قال الذهبي: الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، قبض عليه نصر بن سيار، وأمر بقتله، فقتل سنة ١٢٨هـ، ٧٤٥م. (الأعلام للزركلي، ج٢، ص١٤١).

(٢) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف: من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة سنة ١٣٥هـ، ٧٥٣م، واشتهر بعلم الكلام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، وكان حسن الجدل قوي الحجة، سريع الخاطر، كف بصره في آخر عمره، وتوفي بسامرا سنة ٢٣٥هـ، ٨٥٠م. (الأعلام للزركلي، ج٧، ص١٣١).

(٣) محيي الدين، أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، الحاتمي، المرسي، ابن العربي، نزيل دمشق، وسكن الروم مدة، وكان ذكيا، كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، وسافر وتجرد، وأتهم وأنجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة، ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله، وقد عظمه جماعة، وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات، وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا، أنه سمع الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام يقول عن ابن العربي: شيخ سوء، كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا، قلت: إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت، فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز، توفي سنة ٦٣٨هـ، له شعر

=

الرأي الثاني: فناء النار وحدها.

ذكر هذا القول الإمام الطبري ﷺ في تفسير سورة هود ونسبة لابن عباس وابن مسعود[١]، وذكره الرازي ﷺ قولاً ولم ينسبه لأحد[٢]، وذكره سيد طنطاوي[٣] ﷺ في تفسيره لسورة الأنعام، قال: "إن هذا الاستثناء إشارة إلى فناء النار، أى: إلا وقت مشيئة الله فناءها وزوال عذابها، وهى مسألة خلافية بين العلماء"[٤].

ونسب القول لابن القيم وشيخة ابن تيمية وله في ذلك مؤلف يأتي الكلام عليه.

الرأي الثالث: بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما.

وهذا رأي سائر الأمة من السلف وأئمة الدين بأنهما باقيتان وغير فانيتين، أما الجنة فهو إجماع لأهل القبلة وكفروا منكر ذلك، وجعلوا قوله زيغًا وضلالاً ومفارقة لملة محمد ﷺ، وتكذيبًا للمنقول والمعقول.

وفي بقاء النار وعدم فنائها قول عامة الأمة، وعليه انعقد الإجماع كما حكاه ابن حزم وغيره.

رائق، وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيرا من عباراته له تأويل إلا كتاب الفصوص.(سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٤٨-٤٩)

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٦، ص٤٦٨-٤٦٩.

(٢) انظر مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٦٨.

(٣) محمد سيد عطية طنطاوي، ولد بقرية سليم محافظة سوهاج بمصر سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٨م، حصل على الدكتوراة في التفسير سنة ١٩٦٦م، عين مفتيا للديار المصرية ثم شيخا للأزهر، توفي سنة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، من كتبه: الوسيط في التفسير، وبنوا إسرائيل في القرآن والسنة. (موقع دار الإفتاء المصرية http://dar-alifta.org/ViewScientist.as)

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لـ محمد سيد طنطاوي، الرسالة القاهرة، ط٤، ت١٤٠٨هـ١٩٨٧م ، ج٨، ص٢٤٣.

قال الإمام الطحاوي ﵀: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان"[(١)].

۞۞۞

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٦١٤.

المطلب الثاني: رأي القنوجي في هذا الباب

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1]: "راضين به ومسرورين، ومتلقين له بالقبول، لا يستوفونه بكماله، لامتناع استيفاء ما لا نهاية له"[2].

وقال عند قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3]: "فإن إحياءهم بالحياة الأبدية وإثباتهم بالنعيم المقيم من أجل النعم وأعظم الآلاء"[4].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾[5]: "أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لاتنقطع، وكلما مضى حقب جاء حقب"[6].

وقال عند قوله تعالى ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾[7]: "يعني أن العدد قد ارتفع، والخلود قد حصل، وقيل الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار والأولى ما ذكرناه أولاً من أن المقصود بالآية التأبيد لا التقييد"[8].

فهذا هو رأي ومعتقد القنوجي رحمه الله في موضوع الجنة والنار، وهو يتفق مع سائر ألأئمة وعلماء الملة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية [١٥].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص١٩٤.

(٣) سورة الرحمن، الآية [٢٨].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٢٦.

(٥) سورة النبأ، الآية [٢٣].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٦.

(٧) سورة النبأ، الآية [٣٠].

(٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٣٦-٣٧.

وما ذكرناه من كلام له في تفسيره قد أيده بكتاب مستقل بحث فيه موضوع الجنة والنار، سماة يقظة أولى الاعتبار بذكر الجنة والنار أكد فيه رأية ومعتقده(١).

رأي الباحث: وملخص البحث في هذا الموضوع يمكن حصره في النقاط الآتية:

أولاً: القول ببقاء الجنة وبقاء أهلها فيها على الدوام من غير انقطاع ولا فناء هو معتقد أهل الإسلام، ومخالف ذلك مكذب بصريح المنقول وصحيحيه، ومخالف للمعقول، وقوله كفر بالله وبرسوله وبكتابه.

ثانيًا: القول بفناء النار قول مرجوح، مخالف للإجماع الذي حكاه غير واحد من أهل العلم، كابن حزم ﵀، وجميع الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين، إما غير صحيحة أو غير صريحة، أو محمولة على عصاة الموحدين، وقد ألف العلماء في ذلك كتبًا ومؤلفات، ردوا على من قال بهذا القول، من هذه المؤلفات: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ﵀، والاعتبار ببقاء الجنة والنار لتاج الدين السبكي ﵀، ويقظة أولي الاعتبار ببقاء الجنة والنار لصديق حسن خان القنوجي ﵀، وغير هذه من المؤلفات.

وقد رد على هذا القول أئمة التفسير كابن جرير الطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم، عند تفسيرهم لسورة هود، عند قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(٢).

(١) انظر: يقظة أولي الاعتبار بذكر الجنة والنار، لـ صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: إياد القيسي، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

(٢) سورة هود، الآية [١٠٧].

ثالثا: القول بفناء النار قول مرجوح مخالف للإجماع غير أن القائل به لا يعتبر كافرًا ولا مبتدعًا، لكونه اعتمد على بعض النقول المروية عن بعض الصحابة وبعض السلف، ولكونه مجتهدًا مخطئًا بتأويل بعض الآيات في كتاب الله تعالى(١).

رابعًا: هل ثبت نسبة هذا القول لابن تيمية وتلميذه ابن القيم؟

أما ابن تيمية رحمه الله فجميع كتبه تصرح ببقاء النار ودوامها، وقد نفى كثير من الباحثين والمهتمين نسبة هذا القول لابن تيمية.

غير أن له كتابًا في هذا الخصوص ذكر فيه أدلة القائلين بفناء النار وذكر الروايات المروية، لكنه لم يصرح صراحة بما يرجحه ويعتقده فوجب الرجوع إلى ماذكره في كتبه الأخرى.

وقد حقق هذا الكتاب الباحث محمد عبدالله السمهري، وله في مقدمته بيان جيد وتوضيح حول الكتاب.

والذي يبدو –والله أعلم– عدم صحة القول لابن تيمية، وكونه ساق أدلة فناء النار في رسالته، فلا يدل ذلك على جزمه بذلك، حتى إن جهابذة العلم بعد اطلاعهم على تلك الرسالة قالوا بميله إلى القول بفناء النار، ذكر هذا الميل صديق حسن خان في كتابة يقظة أولى الاعتبار، وذكره كذلك نعمان الألوسي.

خلاصة القول: لم يثبت عن ابن تيمية تصريح بالقول بفناء النار، وكون بعض العلماء فهم ميله من خلال كتابه فليس بملزمٍ له؛ لأن الأخذ بالصريح مقدم، واليقني يقدم على الظني(٢).

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لـ محمد سيد طنطاوي.

(٢) انظر: توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، لـ مرعي بن يوسف الحنبلي، تحقيق: خليل بن عثمان السبيعي، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤١٩هـ١٩٩٨م (مقدمة المحقق).

أما ابن القيم رحمه الله: فله كلام مال فيه إلى القول بفناء النار في كتابة حادي الأرواح، وتوقف عن الجزم بأي قول في كتابة الصواعق المرسلة، وجزم بعدم فنائها في كتابة الوابل الصيب.

ورجح بعض الباحثين ان آخر قول لابن القيم هو قوله بعدم الفناء، ذكر ذلك الباحث علي الحربي في كتابه: كشف الأستار لإبطال ادعاء القول بفناء النار المنسوب لشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم(١).

عقيدتنا: الجنة والنار مخلوقتان موجودتان باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان.

۞۞۞

(١) انظر: المراجع الآتية:

١- كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار، المنسوب لابن تيمية، تحقيق: د. علي بن علي الحربي، مطابع دار الطيبة.

٢- الرد على من قال بفناء النار، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالله السمهري، دار بلنسية.

٣- الاعتبار ببقاء الجنة والنار، لتاج الدين السبكي.

٤- يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار، لـ صديق حسن القنوجي، طبعة دار ابن حزم.

٥- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، لابن الأمير الصنعاني، تحقيق: الألباني، طبع المكتب الإسلامي.

الفصل الثالث: **آراؤه الفقهية**

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مذهبه الفقهي.

المبحث الثاني: آراؤه الفقهية.

منهجية البحث في هذا الفصل

سوف أنطلق في هذا الفصل في مباحثه كلها وفق المنهجية الآتية:

١- أذكر رأي القنوجي الذي اختاره أو رجحه في المسألة، من خلال تفسيره فتح البيان، وقد أذكر معتمد كلامه من خلال كتب الفقه التي ألفها.

٢- أكتفي بذكر الآراء في المسائل التي رجح فيها قولاً دون التي حكى فيها حكمًا أو أقوالا ومذاهب ولم يرجح فيها قولاً أو مذهبا.

٣- أذكر بعضا من آراء أئمة التفسير في المسألة.

٤- أذكر المذاهب والآراء الفقهية في المسألة، دون مناقشة تلك الآراء ولا ذكر أدلتها.

٥- أذكر القول المختار في المسألة من وجهة نظري كباحث.

المبحث الأول: مذهبه الفقهي

تقدم معنا في ترجمته ﷺ أنه ينحدر من بيت كريم ومن سلالة مباركة من بيت النبوة، غير أنه أصاب بعض أجداده لوثة التشيع الإثناعشري، وتدركهم رحمة الله بهدايتهم إلى منهج السنة مجددا، فعاد جده المسمى أولاد حسن إلى السنة وقد كان لهذا الأب قدم في العلم راسخة، أخذ العلم عن علماء بلده، ومن علماء لكنو ودلهي وهي عاصمة العلم آنذاك، وتتلمذ على أبناء الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي، وصحب الإمام المجاهد الشهيد أحمد بن عرفان، وبايعه على الجهاد، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ومحاربة البدع.

والشيخ ولي الله الدهلوي وأبناؤه رواد مدرسة أهل الحديث في الهند، بل هم من جدد علم الحديث في العالم الإسلامي بعد أن خفت نجمه، وجمدت المدارس الأخرى على أقوال المذاهب، من غير استدلال ولا نظر.

فنشأ صديق حسن خان القنوجي متأثرا بهذه المدرسة المباركة، وإن كان أعم من في تلك البلاد هم أحناف بما فيهم القنوجي، وهذا ما يقرره في بعض أصول الفقه، كمسألة عدم جواز النسخ قبل التمكن من الفعل خلافًا للجمهور.

والنقلة الكبرى التي حصلت في حياة صديق حسن خان هي رحلته للحج والتي مر في طريقه باليمن، وقابل فيها عددًا من العلماء من تلاميذ الإمام الشوكاني، وأخذ معه مجموعة من كتبه ورسائله.

وفي الحج التقى كذلك بعلماء الدعوة السلفية، واصطحب معه في عودته مجموعة من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وهذا ما جعله ينتهج منهج أهل الحديث، ويميل إلى آراء الإمام الشوكاني بل ويدافع عن ذلك المنهج، ويحذر من التقليد، ويعتمد مبدأ الدليل.

يقول الدكتور جنيد أحمد هاشمي، وزميله الدكتور سميع الحق، في بحث لهما عنوانه التفسير الفقهي في شبه القارة الهندية: "كان أهل الهند من سالف الزمان على مذهب أبي حنيفة النعمان، غير السواحل من بلاد مدراس ومليبار والكوكن، فإنها كانت موردًا ومشربًا لأهل اليمن والحجاز، وإنهم كانوا على مذهب الشافعي بقوا على ذلك المذهب، وأما المالكية والحنابلة فليس لهم عين ولا أثر في أرض الهند إلا من جاء على سبيل االتجارة أو لغرض آخر.

ثم حدث قوم من بينهم في القرون الذين رفضوا التقليد بالمذاهب المذكورة، وتمسكوا بالكتاب والسنة فمنهم من سلك مسلك التوسط بين الإفراط والتفريط، وذهب إلى أنه لا يجوز تقليد شخص معين مع تمكن الرجوع إلى الروايات الدالة على خلاف قول الإمام المقلد، والتقليد المطلق جائز وإلا لزم تكليف كل عامي، وهذا مذهب الشيخ ولي الله الدهلوي.

ومنهم من ذهب إلى حرمة التقليد وإبطال حجية القياس والإجماع، وهذا مذهب الشيخ نذير حسين والسيد صديق حسن القنوجي وأتباعهم، ومنهم من سلك مسلك الإفراط جدا وبالغ في تحريم التقليد، وجاوز عن الحد، وبدع المقلدين وأدخلهم في أهل الأهواء، ووقع في أعراض الأئمة لا سيما الإمام أبي حنيفة.

وأما المقلدون فهم على طائفتين منهم من سلك مسلك التحقيق والإنصاف ومنهم مقلد جامد مجادل"[(١)].

والذي يطالع كتب صديق حسن خان يجد فعلاً ما ذكراه من إنكاره للقياس والإجماع ولعل ذلك يعود إلى قوة تأثره بشيخه الشوكاني، وكثرة مطالعته لكتب ابن حزم.

---

(١) التفسير الفقهي في شبه القارة الهندية النشأة والخصائص، ص٢٥٦.

فقد ناقش في كتابه الجامع لأحكام وأصول الفقه الإجماع والقياس وأبطل حجيتهما، مستدلاً على ذلك بأدلةٍ كثيرة، ورادا على أدلة المثبتين[(١)].

ودافع عن أهل الظاهر في باب القياس، وكل هذا يُعد خروجًا عن مألوف فقهاء ذلك الزمن، وخاصة في بلاد الهند، فجلهم من المقلدة المتعصبين.

ومما قاله في ذم التقليد وأهله: "وأعجب من هذا كله أن معاشر أهل التقليد إذا وجدوا آية من كتاب الله توافق رأي صاحبهم أظهروا أنهم يأخذون بها، والعمدة في نفس الأمر على ما قاله صاحبهم، لا على الآية، وإذا وجدوا آية نظيرها تخالف قوله لم يأخذوا بها، وتطلبوا لها وجوه التأويل وإخراجها عن ظاهرها، حيث لم توافق رأيه، وهاكذا يفعلون في نصوص السنة سواء، إذا جدوا حديثًا صحيحًا يوافق قوله أخذوا به، وقالوا: لنا قوله ﷺ كيت وكيت، وإذا وجدوا مئة حديث صحيح، يخالف قوله لم يلتفتوا إلى حديث واحد، فيقولون: لنا قوله ﷺ كذا وكذا، وإذا وجدوا مرسلاً قد وافق رأيه أخذوا به وجعلوه حجة، فإذا وجدوا مئة مرسل يخالف رأيه اطرحوها كلها من أولها إلى آخرها، وقالوا: لا نأخذ بالمرسل.

وأعجب من هذا أنهم إذا أخذو بالحديث مرسلاً كان أو مسندًا لموافقة رأي صاحبهم، ثم وجدوا فيه حكما يخالف رأيه لم يأخذو به في ذلك الحكم، وهو حديث واحد، وكان الحديث حجة فيما وافق رأي من قلدوه، وليس بحجة فيما خالف رأيه، والمقصود أن التقليد حكم عليهم بذاك، وقادهم إليه قهرا، ولو حكموا الدليل على التقليد لم يقعوا في مثل هذا"[(٢)].

(١) انظر: الجامع لأحكام وأصول الفقه، لـ صديق حسن خان، تحقيق: أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة القاهرة، باب الإجماع والقياس، ص١٥٤-١٨١، ٣١٧-٣٤٣.

(٢) ذخر المحتي من آداب المفتي، لـ صديق حسن خان، تحقيق: أبي عبدالرحمن البانتي، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤٢١هـ٢٠٠٠م، ص١٨٠-١٨١.

وبهذا يظهر لنا المذهب الفقهي للسيد صديق حسن خان القنوجي ﷺ، وبأنه من أهل الحديث الآخذين به، ومن المشنعين على المقلدين الجامدين الذين يتركون الحديث الصحيح الصريح لقول من قلدوه.

والذي قاده لهذا المنهج أمور عدة:

الأول: مشايخه في الهند الذين تتلمذ عليهم، فهم من أهل الحديث.

الثاني: رحلته واختلاطه بعلماء اليمن والحجاز وتأثره الكبير بالشوكاني.

الثالث: تبحره في العلم وسعة اطلاعه جعله يأخذ من المعين الذي أخذ منه العلماء قبله.

رأي الباحث: ولست هنا بصدد تصويب رأي القنوجي ﷺ في موقفه من المذاهب وذم التقليد بإطلاقه، وإنكاره حجية الإجماع والقياس، فإن هذه المدارس المعروفة بالمذاهب الأربعة قد تتابع العلماء على الأخذ بأصولها وحرروا مسائلها، وانعقد إجماع الأمة العملي والنظري على الأخذ بها.

وأما الإجماع والقياس فهما من الأدلة الشرعية المعتبرة، وإسقاطهما يفقد الفقيه آلية النظر في الحوادث والمسائل الطارئة والحادثة.

وإنما أردت التعريف بمذهبه، وهو ما سيظهر من اختياراته في المسائل التي سنناقشها في المبحث التالي.

۞۞۞

المبحث الثاني: آراؤه الفقهية.

وفيه ثلاثة عشر مطلبًا.

المطلب الأول:

من حلف ألا يأكل فاكهة فأكل تمراً أو رماناً هل يحنث؟

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي في المسألة.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾(١): "وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم، وبه قال الشافعي فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة، وحينئذ فعطفهما عليها من عطف الخاص على العام تفصيلاً، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة ﷺ وقد خالفه صاحباه أبو يوسف(٢) ومحمد(٣)، وهو قول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية"(٤).

---

(١) سورة الرحمن، الآية [٦٨].

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث، ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ، ٧٣١م، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه "الرأي" وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته، ببغداد سنة ١٨٢هـ، ٧٩٨م، وهو على القضاء، وهو أول من دعي "قاضي القضاة" ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، من كتبه: الخراج، والآثار. (وفيات الأعيان، ج٦، ص٣٧٨-٣٨٨. الأعلام للزركلي، ج٨، ص١٩٣).

(٣) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله، إمام بالفقه والاصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، ولد بواسط سنة ١٣١هـ، ٧٤٨م، سمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري سنة ١٨٩هـ، ٨٠٤م، قال الشافعي: (لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت؛ لفصاحته) من كتبه: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والآثار، والمخارج في الحيل. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص٨٠).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص ٣٤٧.

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

ذكر الإمام الطبري ﷺ الخلاف في كونهما فاكهة أو لا، ولم يرجح قولا، ولم يتعرض لهذه المسألة الإمام ابن كثير ﷺ، وذكر الإمام القرطبي ﷺ القولين واتفق قوله مع قول القنوجي أنهما فاكهة وعزاه للجمهور.

وبنفس حكاية القنوجي للخلاف حكاه الإمام الشوكاني في تفسيره.

المقصد الثالث: رأي الباحث.

مما سبق يتضح أن الجمهور يجعلون النخل والرمان من جملة الفواكه، وإفرادهما في الآية إما من باب عطف الخاص على العام أو لبيان شرفهما على جملة الفواكه.

وعليه فيحنث إن حلف ألا يطعم فاكهة فأكل أحدهما، وعليه الجمهور وخلاف أبي حنيفة غير معتد به في فتوى الأحناف، فالفتوى على ما اعتمده صاحباه.

قال في بدائع الصنائع: "ولو حلف لا يأكل فاكهة فأكل تفاحًا أو سفرجلاً أو كمثرى أو خوخًا أو تينًا أو إجاصًا أو مشمشًا أو بطيخًا حنث وإن أكل قثاء أو خيارًا أو جزرًا لا يحنث وإن أكل عنبًا أو رمانًا أو رطبًا لا يحنث في قول أبي حنيفة وعند أبي يوسف ومحمد يحنث، ولو أكل زبيبًا أو حب الرمان أو تمرًا لا يحنث بالإجماع، وجه قولهما أن كل واحدة من هذه الأشياء تسمى فاكهة في العرف بل تعد من رؤوس الفواكه ولأن الفاكهة اسم لما يتفكه به وتفكه الناس بهذه الأشياء ظاهر فكانت فواكه"[١].

وهذا ما عليه معتمد المذاهب الأربعة، قال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: "وإذا حلف لا يأكل فاكهة فإنه يحنث إذا أكل الفاكهة الرطبة واليابسة

---

(١) بدائع الصنائع، للكاساني، دار الكتب العلمية، ط٢، ت١٤٠٦هـ١٩٨٦م، ج٣، ص٦٠.

فيحنث بأكل الرطب والعنب والرمان والزبيب والتمر"[1].

❁❁❁

(١) كتاب الفقه على المذاهب، لـ عبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ت١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، ج٢، ص٩٨.

المطلب الثاني: رأيه في مس المصحف للمحدث

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي في المسألة.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[1]: "وقد ذهب الجمهور إلى منع المحدث من مس المصحف، وبه قال علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري[2] والنخعي[3] وحماد[4]، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي، وروي عن ابن عباس والشعبي[5] وجماعة منهم أبو حنيفة أنه

(١) سورة الواقعة، الآية [٧٩].

(٢) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة ولد سنة ٥٨هـ، ٦٧٨م، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة منه، قال ابن الجزرى: مات بشغب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤هـ، ٧٤٢م. (البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٢-١٤١. الأعلام للزركلي، ج٧، ص٩٧).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبوعمران النخعي، من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث، من أهل الكوفة ولد سنة ٤٦هـ، ٦٦٦م. مات مختفيا من الحجاج سنة ٩٦هـ، ٨١٥م، قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماما مجتهدا له مذهب، ولما بلغ الشعبي موته قال: والله ما ترك بعده مثله.(الأعلام للزركلي، ج١، ص٨٠).

(٤) حماد بن زيد بن درهم الأزدى البصرى أبو إسماعيل شيخ العراق فى عصره من حفاظ الحديث، أصله من سبى سجستان، مولده بالبصرة، وتوفي بها سنة ١٧٩هـ. (تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٢٧-١٢٩. الأعلام للزركلي، ج١، ص١٨٦).

(٥) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد بالكوفة سنة ١٩هـ، ٦٤٠م، ومات بها سنة ١٠٣هـ، ٧٢١م، وعند ابن كثير مات سنة ١٠٤هـ، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر، سئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. (البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠. الأعلام للزركلي، ج٣، ص٢٥١).

يجوز للمحدث مسه، وقد أوضح الشوكاني ما هو الحق في هذا في شرحه للمنتقى فليرجع إليه"[1].

والحق الذي أشار إليه وحققه الشوكاني ﷺ أن المراد بالنجس هو المشرك، والمؤمن طاهر على كل أحواله وعليه فلا يمنع من مس المصحف[2].

وفي فتاوى صديق حسن خان ﷺ مال إلى القول بعدم المنع، وقد ناقش الأدلة وخلص إلى ما خلص إليه[3].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

قال الإمام الطبري ﷺ في تفسيره: "والصواب من القول من ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه، أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعم بخبره المطهرين، ولم يخصص بعضًا دون بعض، فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرًا من الذنوب، فهو ممن استثني"[4].

ولم يتطرق لحكم مس المصحف للمحدث هنا، وكأنه لا يجعل الآية دليلاً على منع المحدث من المس، لكن عدم دلالة الآية شيء والقول بالجواز شيء آخر.

وذكر ابن كثير ﷺ في تفسيره الأقوال منها قول الذين جعلوا الآية دليلاً على منع المحدث من مس المصحف.

قال: "قال آخرون أي: من الجنابة: والحدث. قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن هاهنا المصحف.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص ٣٨٣ .

(٢) انظر: نيل الأوطار، لـ الإمام الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي الدام، ط١، ت١٤٢٧هـ، ج١، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) انظر: فتاوى صديق المسمى دليل الطالب، دار الداعي، ط١، ت١٤٢٢هـ، ص٤٠٤-٤٠٨ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠، ص٦٥١.

ثم ذكر أدلة هذا القول ولم يرجح قولاً، ولم يجزم بالحكم أن الآية دليل في محل النزاع"[١].

ورجح الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير أن المراد بالكتاب الكتاب الذي بأيدي الملائكة، واختار أن الآية تدل فحواها على الحكم[٢].

المقصد الثالث: رأي الباحث.

ويمكن تلخيص الكلام عن ما سبق في النقاط الآتية:

١- هل الآية دليل في محل النزاع أم لا؟ الصحيح أن الآية ليست دليلاً في محل النزاع؛ لأن الآية أتت في معرض الثناء على هذا الكتاب العزيز.

٢- القول بمنع المحدث من مس المصحف يكاد يكون اتفاقًا عند فقهاء المذاهب الأربعة.

قال ابن قدامة[٣] ﷺ في المغني: "ولا يمس المصحف إلا طاهر يعني طاهرًا من الحدثين جميعا، روي هذا عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاووس[٤] والشعبي والقاسم بن محمد[٥] وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي، ولا نعلم مخالفًا لهم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٢٧٢.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٤، ص٣٠٢.

(٣) عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسى ثم الدمشقى الحنبلى موفق الدين رحل إلى بغداد وسمع بها من عبد القادر الجيلانى وغيره ثم عاد إلى دمشق وصنف كتاب المغنى ورحل إلى بغداد بعد ذلك، توفى بدمشق سنة ٦٢٠هـ، ١٢٢٣م، ومن كتبه: الكافى فى الفقه، وروضة الناظر وجنة المناظر. (الأعلام للزركلي، ج٤، ص٦٧).

(٤) طاووس بن كيسان الهمداني، من عباد أهل اليمن وفقهائهم المشهورين، ومن رجال الحديث الثقات، سمع ابن عباس وابن عمر وجابرا وغيرهم وروى عنه خلائق من التابعين، اتفقوا على فضيلته ووفور علمه وحفظه وتثبته، توفى بمكة سنة ١٣٢هـ٧٥٠م. (وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٠٩-٥١١. الأعلام للزركلي، ج٤، ص٩٤).

(٥) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، ولد فيها سنة ٣٧هـ ٦٥٧م، وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه، قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل

=

إلا داود[1] فإنه أباح مسه"[2].

واستثنوا من ذلك الصغار بقصد التعليم؛ لأن في تكليفهم مشقة وفي منعهم من تمكينه منع لهم عن التعليم.

٣- قول القنوجي ﷺ بجواز مس المصحف للمحدث، تبع فيه شيخه الشوكاني ﷺ، ومتابعًا فيه لأهل الظاهر.

قال ابن حزم ﷺ : "وأما مس المصحف فإن الآثار التي احتج بها من لم يجز للجنب مسه فإنه لا يصح منها شيء؛ لأنها إما مرسلة وإما صحيفة لا تسند وإما عن مجهول وإما عن ضعيف، وقد تقصيناها في غير هذا المكان"[3].

مع اتفاقهم جميعا أن مسه بطهارة أفضل وأولى لما فيها من تعظيم القرآن الكريم حتى الصبيان يعلمون ذلك فقد ورد عن بعض السلف أنهم كانوا يأمرون الصبيان بذلك.

۞۞۞

زمانه، توفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجا أو معتمرا سنة ١٠٧هـ، ٧٢٥م. (الأعلام للزركلي، ج٥، ص١٨١).

(١) داود بن علي بن خلف الاصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس، ولد بالكوفة سنة ٢٠١هـ ٨١٦م، سكن بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم فيها، قال ثعلب: كان عقل داود أكبر من علمه، توفي في بغداد سنة ٢٧٠هـ، ٨٨٤م. (سير أعلام النبلاء، ج٢٥، ص٩٠. الأعلام للزركلي، ج٢، ص٣٣٣).

(٢) المغني لابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ط٣، ت١٤١٧هـ١٩٩٧م، ج١، ص٢٠٢.

(٣) المحلى، لابن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، ت ١٣٤٧هـ، ج١، ص٨١.

المطلب الثالث: المظاهر الذي لم يذكر (كظهر أمي)

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ ﴾(1): "واختلفوا إذا قال لامرأته: أنت علي كرأس أمي أو يدها أو رجلها أو نحو ذلك، هل يكون ظهارًا أم لا؟ وهكذا إذا قال: أنت علي كأمي ولم يذكر الظهر، والظاهر أنه إذا قصد بذلك الظهار كان ظهارا"(2).

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

قال الإمام القرطبي ﷺ: "إذا شبه جملة أهله بعضو من أعضاء أمه كان مظاهرًا خلافًا لأبي حنيفة في قوله: إنه إن شبهها بعضو يحل له النظر إليه لم يكن مظاهرا، وهذا لا يصح؛ لأن النظر إليه على طريق الاستمتاع لا يحل له، وفيه وقع التشبيه وإياه قصد المظاهر، وقد قال الإمام الشافعي في قول: إنه لا يكون ظهارًا إلا في الظهر وحده، وهذا فاسد؛ لأن كل عضو منها محرم، فكان التشبيه به ظهارًا كالظهر؛ ولأن المظاهر إنما يقصد تشبيه المحلل بالمحرم فلزم على المعنى"(3).

قال الإمام ابن كثير ﷺ: "أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحد من امرأته قال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياسا على الظهر"(4).

---

(١) سورة المجادلة، الآية [٢].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٨٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٢٩٥.

وما ذكره القنوجي هو ما ذكره الشوكاني في فتح القدير بنصه، وهو ما رجحه الشنقيطي في أضواء البيان.

المقصد الثالث: رأي الباحث

اختلفت آراء أئمة التفسير بناء على اختلاف مدارسهم الفقهية، ورجح كل واحد ما أداه إليه اجتهاده، أو مقررا لرأي مدرسته الفقهية، ويمكن تلخيص تلك الآراء والمذاهب في النقاط الآتية:

١- أجمعوا على أن قوله أنت علي كظهر أمي يعتبر ظهارا.

٢- لو قال كأمي أو مثل أمي، ولم يذكر الظهر ولم يذكر عضوًا منها فإن قصد ظهارًا وقع عند الجمهور.

٣- لو شبهها بجزء من أمه، كيدها أو رجلها أو شعرها أو نحو ذلك، ففيه التفصيل الآتي عند المذاهب.

عند الحنفية: أنه لو شبهها بعضو لا يحل له النظر إليه كالبطن والفخذ والفرج فإن ذلك يعد ظهارًا وإلا فلا[(١)].

وعند المالكية التشبيه بغير الظهر يكون ظهارًا مطلقا، سواء أكان المشبه به جزءًا حقيقة كالرأس واليد والرجل أم كان جزءًا حكما كالشعر والريق والدمع والعرق[(٢)].

---

(١) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لـ النسفي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ١٩٩٧م، ج٤، ص١٥٨.

(٢) انظر: منح الجليل على شرح مختصر خليل، لـ محمد عليش، دار صادر، ج٢، ص٢٣٢-٢٢٤.

وأما الشافعية فالأعضاء عندهم قسمان: ما يذكر في معرض الكرامة والإعزاز كالعين مثلا، والثاني لا يذكر في معرض الكرامة والإعزاز، كاليد والرجل والصدر والبطن والفرج والشعر، ففي الأول لا يقع ظهارًا إلا بنية.

وفي الثاني قولان الجديد أنه ظهار، والقديم الظهار مخصوص بالظهر فقط والمعتمد في المذهب هو الجديد[1].

ويقسم الحنابلة الأجزاء إلى قسمين: ثابتة كاليد والرجل والرأس فالتشبيه بها يكون ظهارًا، وأجزاء غير ثابتة كالريق والعرق والدمع والكلام والشعر والسن والظفر فلا يصح الظهار بشيء منها[2].

وعليه فإن تشبيه المظاهر لزوجته بغير الظهر يقع ظهارًا في قول الجمهور، وسواء قال كظهر أو مثل أو غيرها من العبارات التي تفيد تشبيه الزوجة بالأم، أو شبه بجزء من الأم غير محتمل لمعنى غير الظهار كالعين المحتملة الإجلال والتعظيم، فإن ذلك ظهار.

ويعتبر منه ذلك ظهارا، ولو ادعى أنه لم يقصد به الظهار، وهو خلاف ما استظهره القنوجي، فعلى قوله لو أن رجلاً ظاهر من زوجته بغير الظهر وادعى أنه لا يريد ظهارًا قبل قوله، بخلاف ما عليه الجمهور.

۞۞۞

(١) انظر: المعتمد في الفقه الشافعي، لـ د محمد الزحيلي، دار القلم دمشق، ط٣، ت١٤٣٢هـ٢٠١١م، ج٤، ص٢٢٠.

(٢) انظر: كشاف القناع، لـ البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتاب، ت١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ج٨، ص٢٧٢٤.

المطلب الرابع:

شرط إيمان الرقبة المعتقة في كفارة الظهار

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند قوله تعالى ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ (١): "والظاهر أنها تجزئ أي رقبة كانت" (٢).

وعدم اشتراط الإيمان هو ما أكده في كتابه الروضة الندية حيث قال: "وأعلم أن الرقبة وإن كانت مطلقة في كفارة الظهار فقد ورد ما يدل على اعتبار كونها مؤمنة وليس ذلك الدال على اعتبار الإيمان هو ما وقع في القرآن في كفارة القتل لما تقرر في الأصول أن المختلفين سببًا لا يصح تقييد أحدهما بالآخر بل الدال على ذلك هو سؤاله ﷺ لمن قال عليه رقبة عن إيمانها وقوله لها أين الله؟ ومن أنا؟ ثم قال: «اعتقها فإنها مؤمنة (٣)» كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي ولم يستفصله ﷺ عن وجوب تلك الرقبة عليه هل هو عن كفارة ظهار أو قتل أو يمين أو غير ذلك؟ وقد تقرر أن ترك الاستفصال ينزل منزلة العموم إذا كان في مقام الاحتمال" (٤).

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

---

(١) سورة المجادلة، الآية [٣].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، برقم ٥٣٧، ج٢، ص٧٠.

(٤) التعليقات الرضية على الروضة الندية، لـ محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن القيم الرياض، ودار ابن عفان القاهرة، ط١، ت١٤٢٣هـ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٨٦.

ذكر الإمام القرطبي ﷺ القولين في تفسيره، حيث قال: "ثم هذه الرقبة يجب أن تكون كاملة سليمة من كل عيب، ومن كمالها إسلامها عند مالك والشافعي، كالرقبة في كفارة القتل، وعند أبي حنيفة وأصحابه تجزئ الكافرة"(١).

وقال ابن كثير ﷺ: "فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فهاهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي ﷺ، ما أطلق -هاهنا- على ما قيد هناك لاتحاد الموجب، وهو عتق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده، (عن معاوية بن الحكم السلمي، في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه"(٢).

ولم يتطرق الإمام القرطبي ﷺ للخلاف في المسألة، وذكر القولين الرازي في تفسيره ولم يرجح قولا، ومثله الدكتور الزحيلي في كتابه التفسير المنير.

المقصد الثالث: رأي الباحث.

الخلاف في المسألة ينبنى على مسألة أصولية عند الأصوليين، أن يكون حكم المطلق والمقيد واحدا، ويختلف سبب المطلق عن المقيد، ويكون المطلق أمرًا والمقيد أمرًا كذلك.

هذه الصورة مما وقع فيها الخلاف فيها بين العلماء فمنهم من حمل المطلق على المقيد في هذه الصورة، وهم الجمهور.

ومنهم من أثبت كل حكم في صورته التي هو عليها فيبقى المطلق على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٢٩٧.

إطلاقه، والمقيد على تقييده، وهو مذهب الحنفية وأهل الظاهر[١].

والذي رجحه صديق حسن خان القنوجي ﷺ في كتابه حصول المأمول من علم الأصول هو حمل المطلق على المقيد، موافقًا بذلك مذهب الجمهور، حيث قال بعد حكاية الخلاف: "ولا يخفاك أن اتحاد الحكم بين المطلق والمقيد يقتضي حصول التناسب بينهما بجهة الحمل، فالحق ما ذهب إليه القائلون بالحمل"[٢].

وهو ما رجحه جمهور الأصوليين كالشيرازي في كتابه اللمع، والإمام الشوكاني والدكتور النملة في كتابه المهذب.

والأدلة على حمل المطلق على المقيد في ما إذا اتحد الحكم واختلف السبب منثورة في كتب أصول الفقه، وهو الراجح المختار من القولين.

والعجب من القنوجي ﷺ كيف يقرر شيئًا في الأصول ثم يخالف ما اعتمده أثناء تطبيق المسائل في الفروع، وهو ما سلكه الإمام الشوكاني ﷺ.

ولعل القنوجي ﷺ تبع في ذلك الشوكاني فيما قرره دون مراجعة لما قرره في الأصول ولم يطبقه في الفروع، ومتابعة منه كذلك لمذهب ابن حزم في المسألة.

۞۞۞

---

(١) انظر: المهذب في أصول الفقه المقارن، ج٤، ص١٧١٠.

(٢) الجامع لأحكام أصول الفقه المسمى حصول المأمول من علم الأصول، ص٢٧٠.

المطلب الخامس:

لو وطئ المكفر في كفارة الظهار أثناء الصوم هل يستأنف الصوم أو يتم؟

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾[1]: "فلو وطىء ليلاً أو نهارًا عمدًا أو خطأ استأنف، وبه قال أبو حنيفة[2] ومالك، وقال الشافعي: لا يستأنف إذا وطىء ليلاً؛ لأنه ليس محلاً للصوم والأول أولى"[3].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

قال الإمام القرطبي ﷺ: "إذا وطئ المظاهر في خلال الشهرين نهارًا بطل التتابع في قول الشافعي، وليلاً فلا يبطل؛ لأنه ليس محلاً للصوم، وقال مالك وأبو حنيفة: يبطل بكل حال ووجب عليه ابتداء الكفارة"[4].

وقال صاحب أضواء البيان: "اعلم أنه إن جامع في نهار صوم الكفارة عمدًا انقطع تتابع صومه إجماعًا، ولزمه استئناف الشهرين من جديد، وسواء كانت الموطوءة هي المظاهرة منها أو غيرها وهذا لا نزاع فيه.

وأما إن كان جماعه ليلاً، فإن كانت المرأة التي جامعها زوجة أخرى غير المظاهر منها، فإن ذلك لا يقطع التتابع؛ لأن وطء غير المظاهر منها ليلاً زمن

---

(١) سورة المجادلة، الآية [٤].

(٢) الإمام المبجل أبو حنيفة النعمان، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٩٩-٣٠٠.

الصوم مباح له شرعا، ولا يخل بتتابع الصوم في أيام الشهرين كما ترى، وهذا لا ينبغي أن يختلف فيه.

قال في المغني: وليس في هذا اختلاف نعلمه، وأما إن كانت الموطوءة الزوجة المظاهر منها، فقد اختلف في ذلك أهل العلم: فقال بعضهم: ينقطع التتابع بذلك ويلزمه استئناف الشهرين، وبه قال أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن، وهو مذهب مالك، وأحمد في المشهور عنهما.

وعن أحمد أن التتابع لا ينقطع بهذا ويبني، وهو مذهب الشافعي، وأبي ثور، وابن المنذر؛ لأنه وطء لا يبطل الصوم، فلا يوجب الاستئناف كوطء غيرها، ولأن التتابع في الصيام عبارة عن إتباع صوم يوم للذي قبله من غير فارق، وهذا متحقق.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: هذا القول الأخير الذي هو عدم انقطاع التتابع بجماعه للمظاهر منها في ليالي الصوم هو الأظهر عندي؛ لأن الصوم فيه مطابق لمنطوق الآية في التتابع"(١).

المقصد الثالث: رأي الباحث.

مما سبق يتضح لنا الآتي:

١- أن الجماع نهارًا سواء من المظاهر منها أو من غيرها يبطل التتابع إجماعا.

٢- أن الجماع ليلاً من غير المظاهر منها لا يبطل التتابع من غير خلاف.

٣- أن الجماع ليلاً من المظاهر منها فيه قولان:

الأول: أنه يبطل التتابع وهو مذهب الحنفية، ومشهور المالكية والحنابلة.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "بتصرف"، ج٦، ص٦١٤-٦١٦.

الثاني: لا يبطل التتابع وهو مذهب الشافعي ورواية عند أحمد ورأي أبي يوسف من الحنفية.

والراجح من القولين هو الثاني، خلافًا لما رجحه القنوجي ﷺ، وهو ما رجحه كثير من المحققين.

رجحه الإمام النووي في المجموع بقوله: "وإن جامع في ليله في أثناء الشهرين عامدًا عالمًا بالتحريم أثم بذلك ولا ينقطع تتابعه، وإن وطئها بالنهار ناسيًا لم يفسد صومه ولم ينقطع تتابعه، وبه قال أبو يوسف، وهو إحدى الروايتين عن أحمد وقال مالك وأبو حنيفة: ينقطع تتابعه بذلك، إلا أن مالكا يقول: إذا وطئها بالنهار ناسيًا فسد صومه، وأبو حنيفة يقول: لا يفسد إلا أن ينقطع التتابع"[(١)].

واختاره ابن قدامة في المغني قال: "وروى عن أحمد، أن التتابع لا ينقطع بهذا، ويبني، وهو مذهب الشافعي، وأبي ثور، وابن المنذر[(٢)]؛ لأنه وطء لا يبطل الصوم، فلا يوجب الاستئناف، كوطء غيرها، ولأن التتابع في الصيام عبارة عن إتباع صوم يوم للذي قبله، من غير فارق، وهذا متحقق، وإن وطئ ليلا، وارتكاب النهي في الوطء قبل إتمامه إذا لم يخل بالتتابع المشترط لا يمنع صحته وإجزاءه، كما لو وطئ قبل الشهرين، أو وطئ ليلة أول الشهرين وأصبح صائما، والإتيان

(١) كتاب المجموع شرح المهذب، لـ النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة، ط، ت ، ج١٩، ص ٨٨ .

(٢) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، كان فقيها عالما مطلعا، صنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف أحد مثلها، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف، وتوفي بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة، ﷺ تعالى، ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء "كتاب الإشراف" وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة، وهم من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها، وله كتاب "المبسوط" أكبر من "الإشراف"، وهو في اختلاف العلماء ونقل مذاهبهم أيضا، وله كتاب "الإجماع". (وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٠٧).

بالصيام قبل التماس في حق هذا لا سبيل إليه، سواء بنى أو استأنف"[1].

وصحح القول بعدم انقطاع التتابع ابن حزم في كتابه المحلى بعد نقله لأقوال المذاهب[2].

۞۞۞

(١) المغني، لـ ابن قدامة، ج١١، ص٩١-٩٢.

(٢) المحلى لابن حزم، ج١٠، ص٥٥-٥٦.

المطلب السادس:

الخمس لبني هاشم هل يستحقونه للقرابة أو للحاجة؟

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي الإمام القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[(١)]: "ولأن الآية نص في ثبوت الاستحقاق تشريفًا لهم، فمن علَّله بالحاجة فوَّت هذا المعنى والذي يؤيد تقدير فعل التعجب كما ذكره أبو البقاء وتبعه الكواشي"[(٢)].

وهذا هو ما رجحه في شرحه لكتاب الروضة الندية[(٣)].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "واختلف في إعطاء الغني منهم (من بني هاشم) فأكثر الناس على إعطائه؛ لأنه لهم، وقال مالك: لا يعطى منه إلا لفقرائهم؛ لأنه جعل عوضا عن الصدقة"[(٤)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وبماذا يستحقون؟ فيه قولان أحدهما بالقرابة وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد والشافعي. الثاني: بالفقر لا بالاسم وبه قال أبو حنيفة[(٥)].

والقول بأنهم يعطون لقرابتهم لا لفقرهم هو ما حققه الشنقيطي في أضواء

---

(١) سورة الحشر، الآية [٨].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ٤٩ .

(٣) التعليقات الرضية على الروضة الندية، ج١، ص٥٦٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٣٥١.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، ص٥٥٤.

البيان ورجحه[1].

المقصد الثالث: رأي الباحث.

تلخص من كلام أئمة التفسير فيما سبق أن في المسألة قولين:

الأول: يستحق منه من كان فقيرًا ولا يعطى منه الأغنياء، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة.

الثاني: يستوي في القسم الفقير والغني، وهو مذهب أحمد والشافعي.

والمذهب الثاني هو الراجح؛ لأنه ورد في القرآن بقيد القرابة ولم يقيد بقيد آخر كما في سائر الاستحقاقات.

ولأن النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء كانوا يعطون للقرابة دون تفريق بين الغني والفقير، ويدل على ذلك حديث علي بن أبي طالب في البخاري «كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفًا من الخمس، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، واعدت رجلاً صواغًا من بني قينقاع أن يرتحل معي، فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي .. » الحديث بطوله[2].

والشاهد من الحديث النبي ﷺ أعطى عليًّا ناقة من الخمس، وعلي رضي الله عنه لديه ناقة قبلها من الغنائم، ومن يمتلك ناقة في ذلك الوقت يرتفع عنه اسم الفقر، لكونها تكفيه حاجته من حليب وحمل على ظهرها ونحو ذلك.

وهذا ما رجحه كثير من المحققين، قال ابن قدامة رحمه الله: "والغني والفقير فيه

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٢، ص٣٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما قيل في الصواغ، رقم ٢٠٨٩، ورواه مسلم في كتاب الأشربة، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، رقم ١٩٧٩، ج٦، ص٨٤-٨٥.

سواء، وهذا قول الشافعي، وأبي ثور[١]، ولأن الدليل عام لا يجوز تخصيصه بغير دليل، ولأن النبي ﷺ كان يعطي أقاربه كلهم، وفيهم الأغنياء، كالعباس وغيره، ولم ينقل تخصيص الفقراء منهم"[٢].

وقال الإمام النووي ﵀: "ويسوى فيه بين الأغنياء والفقراء؛ لان رسول الله ﷺ أعطى منه العباس وكان موسرًا، ولأنه حق يستحق بالقرابة بالشرع فاستوى فيه الغنى، لما روى عبد الله بن الزبير ﵄ أن النبي ﷺ أسهم لأم الزبير في ذوى القربى[٣] ولأنه حق يستحق بالقرابة"[٤].

۞۞۞

(١) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور: الفقيه صاحب الإمام الشافعي، قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلاً، صنف الكتب وفرع على السنن، وذب عنها، يتكلم في الرأي فيخطئ ويصيب، مات ببغداد سنة ٢٤٠هـ، وقال ابن عبد البر: له مصنفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي وذكر مذهبه في ذلك وهو أكثر ميلاً إلى الشافعي في هذا الكتاب وفي كتبه كله. (الأعلام ج١، ص٣٧).

(٢) المغني لابن قدامة، ج٩، ص٢٩٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم ١٤٢٥، حاشية السندي عل المسند، ج٢، ص٨٨، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٢٨هـ ٢٠٠٨. والدار قطني في سننه، حديث رقم ٤١٨٨-٤١٨٩، ج٤، ص١٩٤، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرؤوط،ط١، ت١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

(٤) كتاب المجموع شرح المهذب، ج٢١، ص٢٥٧.

المطلب السابع:

إسلام المرأة هل يجعلها حراماً على زوجها الكافر؟

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي الإمام القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ (١): "تعليل للنهي عن إرجاعهن، والتكرير لتأكيد الحرمة، والجملة الأولى لنفي الحل حالا، والثانية لنفيه فيما يستقبل من الزمان، وفيه دليل على أن المؤمنة لا تحل لكافر، وأن إسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها لا مجرد هجرتها"(٢).

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

قال الإمام القرطبي ﵀ عند تفسير الآية المذكورة: "أي لم يحل الله مؤمنة لكافر، ولا نكاح مؤمن لمشركة، وهذا أدل دليل على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامها لا هجرتها، وقال أبو حنيفة: الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين.

وإليه إشارة في مذهب مالك بل عبارة. والصحيح الأول؛ لأن الله تعالى قال ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ فبين أن العلة عدم الحل بالإسلام وليس باختلاف الدار"(٣).

وذكر ابن كثير ﵀ في تفسيره عند هذه الآية ثلاثة أقوال:

الأول: أن زواج المسلمة بغير المسلم كان جائزًا أول الإسلام.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية [١٠].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ٨٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٤١٤.

الثاني: أنها بالخيار، فمتى انقضت عدتها إن شاءت فسخت العقد وإن شاءت أقامت على النكاح.

الثالث: أنها متى انقضت عدتها ولم يسلم انفسخ نكاحها، وعزاه للأكثرين[1].

وهو ما أكده ابن عاشور ﷺ في تفسيره لهذه الآية، وخلص إلى القول بالحرمة حالاً ومستقبلاً[2].

المقصد الثالث: رأي الباحث.

ويمكننا أن نلخص مسائل هذا الباب في الأمور الآتية:

١- إذا أسلمت المرأة دون زوجها، وهي ممن تحرم عليه لو أسلم، فرق بينهما بإجماع الأمة.

٢- لا يجوز لها أن تمكنه من نفسها بعد إسلامها، وهذا بإجماع المذاهب الفقهية.

٣- أن سبب التفريق هو اختلاف الدين خلافا لأبي حنيفة.

٤- إذا أسلمت الزوجة ولم يسلم الرجل وكانا ممن يصح نكاحهما بعد الإسلام فللفقهاء في ذلك مذاهب.

الأول: ينفسخ النكاح بمجرد إسلامها، ولا تعود إليه لو أسلم إلا برضاها، وهو مذهب الظاهرية، ووافقهم المالكية والشافعية والحنابلة في غير المدخول بها.

الثاني: ينفسخ النكاح بعد أن تنقضي عدتها، وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة.

الثالث: إذا أسلمت الزوجة في ديار الإسلام عرض الإسلام على الزوج فإن

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٢٣٢٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٨، ص١٥٤-١٥٨.

أبى فرق بينهما القاضي، وإذا كانت بدار الحرب ينفسخ نكاحها بعد انتهاء عدتها، وهذا مذهب الأحناف.

الرابع: تخير المرأة بفسخ نكاحها وانتظار إسلام زوجها ولو طالت المدة، ذكر هذا القول ابن القيم في الزاد.

الخامس: تقر عنده لكن لا يجوز لها تمكينه من وطئها(1).

هذه مجمل مذاهب العلماء في هذه المسألة، ومع انتشار الإسلام ودخول كثير من النساء في الإسلام في أوربا وغيرها، وجد بعض العلماء في نفسه حرجًا من القول بوجوب التفريق، فبحث عن أقوال تجيز للمرأة البقاء عند زوجها الكافر.

وهذا القول مع ضعفه فقهيًا يمثل انهزامية في ظهور عزة الإسلام ومواجهة الآخرين بأحكام الإسلام الذي حرم تحريمًا قطعيًا أن تبقى امرأة مسلمة تحت زوج كافر.

والمشاكل التي تحدث في البلاد غير الإسلامية للمرأة إذا أسلمت دون زوجها يمكن إيجاد الحلول المناسبة لها شرعا وقانونًا دون اللجوء إلى مثل هذا القول الضعيف.

خلاصة القول في هذا المبحث: لا يجوز للمرأة إذا أسلمت دون زوجها أن تمكنه من نفسها، وأنه بالنسبة لها بعد الإسلام رجل أجنبي لا تجتمع معه في دار ولا تخلو به، وأن إسلامها صيرها حرامًا عليه، وأن نكاحها ينفسخ إما على الفور، أو بعد انتهاء عدتها على قول الجمهور وهو الأصح، ومتى رأت أن تنتظر إسلامه لو طمعت في ذلك فلها ذلك.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لـ ابن القيم، مؤسسة الريان بيروت، ط٣، ت١٤٢٧هـ٢٠٠٦م، ج٥، ص١١١-١١٧.

وفي الباب مباحث كثيرة غير أني اقتصرت على مناقشة اختيار القنوجي في المسألة وتبين أن اختياره هو الراجح الموافق لما اختاره أئمة الإسلام.

۞۞۞

المطلب الثامن:

عدة المسلمة المهاجرة عن زوجها الكافر

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي الإمام القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾(١): "بشرطه وهو انقضاء العدة فيما إذا كانت المسلمة مدخولاً بها، والولي والشاهدان وبقية شروط الصحة في المدخول بها وغيرها، لأنهن قد صرن من أهل دينكم، وإن كان أزواجهن الكفار لم يطلقوهن لانفساخ العقد بالإسلام ﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي مهورهن، لأن المهر أجر البضع، وذلك بعد انقضاء عدتهن كما تدل عليه أدلة وجوب العدة، وقال أبو حنيفة ﷺ: لا عدة على المهاجرة، واستدل بهذه الآية، والأول أولى، وبه قال الأوزاعي والليث والشافعي وأحمد"(٢).

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

وعلى وجوب العدة سار أئمة التفسير، كالإمام القرطبي ﷺ، قال في تفسيره عند هذه الآية: "قوله تعالى ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ يعني إذا أسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من تحريم نكاح المشركة والمعتدة"(٣).

وقال ابن كثير ﷺ: "أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك"(٤).

---

(١) سورة الممتحنة، الآية [١٠].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ٨٦-٨٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٤١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٣٢٩.

وقال الشوكاني ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: "أي: مهورهن، وذلك بعد انقضاء عدتهن، كما تدل عليه أدلة وجوب العدة"(١).

المقصد الثالث: رأي الباحث.

وفي هذا الباب أمران:

الأول: العدة واجبة عليها بإجماع أهل العلم، كما نقله ابن عبد البر، وهو الثابت في السنة، وهو المقتضي للحفاظ على أنساب الناس.

الثاني: لم يقع خلاف معتبر في وجوب العدة، إنما الخلاف في قدر هذه العدة على قولين عند أهل العلم.

القول الأول: أنها تعتد بثلاث حيض، وهو مذهب الجمهور.

قال ابن قدامة ﷺ: "كل فرقة بين زوجين فعدتها عدة الطلاق سواء كانت بخلع أو لعان أو رضاع أو فسخ بعيب أو إعسار أو إعتاق أو اختلاف دين أو غيره في قول أكثر أهل العلم"(٢).

القول الثاني: أنها تعتد بحيضة لاستبراء رحمها فقط، وهو مذهب الأحناف.

والقول الثاني هو الصحيح المختار وهو ما نصره ابن تيمية ﷺ وتلميذه ابن القيم؛ لأن العدة بثلاث حيض شرعت لحق الزوج، والزوج هنا لا حق له وإنما هي لاستبراء رحمها حتى لا يختلط ماء قديم بجديد فتختلط الأنساب(٣).

۞۞۞

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٣٠٢.

(٢) المغني، لابن قدامة، ج١١، ص١٩٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء القاهرة، ط٣، ت١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ج٣٢، ص٢١٢.

المطلب التاسع: بعض شروط الجمعة

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

ذكر القنوجي ﷺ بعضًا مما اشترطه الفقهاء لصحة الجمعة أو وجوبها، كالمصر الجامع، والعدد المخصوص، والإمام الأعظم.

ورد هذه الشروط، حيث قال: "ومن تأمل فيما وقع في هذه العبادة الفاضلة من الأقوال الساقطة، والمذاهب الزائغة، والاجتهادات الداحضة، قضى من ذلك العجب، ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الأمور كالمصر الجامع، والعدد المخصوص، والإمام الأعظم، والحمام ونحوها، شروطًا لصحة الجمعة أو فرضًا من فرائضها، أو ركنا من أركانها فيالله العجب ما يفعل الرأي بأهله، ومن يخرج من رؤوسهم هذه الخزعبلات الشبيهة بالقصص، والأحاديث الملفقة، وهي عن الشريعة المطهرة بمعزل، وكل من ثبت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف هذا أحسن المعرفة، ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه، مضروب به في وجهه، وتفصيل ذلك في النيل والسيل للشوكاني"[(١)].

وله كلام في الروضة والفتاوى، يرد هذه الأقوال ويشنع على القائلين بها، مما يؤكد أن ذلك هو رأيه وترجيحه لما سبق بيانه في تفسيره فتح البيان[(٢)].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

ذكر بعض أئمة التفسير الكلام على بعض هذه الشروط، ممن أشار إليها

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٣٧ .

(٢) انظر: التعليقات الرضية على الروضة، ج1، ص٣٦٣-٣٦٤.

الإمام القرطبي، وابن الجوزي، وابن عطية، وصاحب أضواء البيان، والزحيلي، وكلام هؤلاء الأئمة يرجع إلى ما ذكر في كتب الفروع وهو ما سيتضح لنا في المقصد التالي:

المقصد الثالث: رأي الباحث.

قبل ذكر رأيي لا بد من ذكر مذاهب العلماء وأقوالهم في هذه المسألة، ثم اذكر الرأي الراجح من هذه الأقوال.

أولا: العدد، وقع الاتفاق على اشتراط العدد، وكم هو ذلك العدد؟

يكفي عند الحنفية أن يكون العدد ثلاثة، واشترط المالكية ألا يقلوا عن اثني عشر، وعند الشافعية والحنابلة لابد أن يكون العدد أربعين.

ثانيا: المصر، اشترط الأحناف أن تكون بمصر، والمصر عندهم كل موضع له أمير وقاض، يقدر على إقامة الحدود، فخرج بذلك القرى والبوادي.

واشترط المالكية أن تكون في بلدة مستوطنة على الدوام، بحيث يمكن الذود عنها من الطوارئ الغالبة، لكنهم لم يشترطوا ما اشترطه الأحناف من الأمير والقاضي.

وذهب الشافعية إلى أنها تقع بأبنية مجتمعة سواء كانت مصرًا أو قرية أو غارًا بالجبل أو سردابًا وكان العدد أربعين.

ويرى الحنابلة أنها تجب في المحل الذي يجمعه اسم واحد وكان يقطنه أربعون ممن تجب عليهم الجمعة ولا يرتحلون عنه صيفًا ولا شتاء.

ثالثًا: الإمام الأعظم، انفرد الحنفية باشتراط إذن السلطان، خلافًا للأئمة الثلاثة، غير أن الشافعية وافقوهم في إذن الإمام عند تعدد الجمعة في بلدة واحدة[(١)].

(١) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ج١، ص٣٤١-٣٥١.

هذه هي الشروط التي ذكرها القنوجي ﷺ مصرحا بردها، وهناك شروط لم يذكرها تصريحًا لكنه عبر عنها بقوله: وغيرها من الشروط التي اشترطوها مما لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، لن نناقشها في بحثنا لاقتصار بحثنا على آراء القنوجي التي ذكرها وحسب.

الرأي الراجح: ما ذهب إليه القنوجي ﷺ من رد هذه الأقوال والاشتراطات هو الراجح الموافق لمقتضى حكمة إقامة الجمعة، وهو ما اختاره أئمة الإسلام قبله، وردوا هذه الشروط التي تحجر واسعًا وربما أقعدت بعض المسلمين عن اهتمامهم وعنايتهم بصلاة الجمعة، فقد بوب الإمام البخاري في صحيحه "باب الجمعة في القرى والمدن".

قال الإمام النووي ﷺ: "مذهبنا أنها تصح بغير إذنه وحضوره وسواء كان السلطان في البلد ام لا وحكاه ابن المنذر عن مالك وأحمد وإسحاق وأبي ثور"[1].

وقد ناقش الإمام الشوكاني ﷺ في نيل الأوطار هذه الأقوال وردها إذ ليس عليها دليل صحيح صريح، وكلها استنباطات من بعض الأدلة التي ورد ذكرها لكنها ليست قاطعة في محل النزاع[2].

حدثنا أحد شيوخنا من أهل كردستان العراق ممن درسنا عليه بعضًا من كتب مذهب الإمام الشافعي أن علماء الشافعية في كردستان لما رأوا تعطل الجمعة في القرى وبقاء الناس سنوات بدون ذكر ولا تعلم أفتوا بإقامة صلاة الجماعة من غير اعتبار العدد الذي اعتبره الشافعية، وهذا نظر منهم لمصلحة المسلمين إذ كيف يليق بالمسلمين في تلك القرى البقاء سنوات طوال بدون صلاة جمعة.

(١) كتاب المجموع شرح المهذب، ج٤، ص٤٥٠.
(٢) نيل الأوطار، ج٦، ص٢١٧-٤٢٨.

وهو ما رأيته في قرانا في اليمن من بعض فقهاء الشافعية وهم يقيمون الجمعة من غير اعتبار العدد، ولا إذن السلطان.

۞۞۞

المطلب العاشر: عدة الحامل في الطلاق والوفاة

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير قوله ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ ﴾[(١)]: "أي انتهاء عدتهن وضع الحمل وظاهر الآية أن عدة الحوامل بالوضع سواء كن مطلقات أو متوفي عنهن أزواجهن، وعمومها باق فهي مخصصة لآية ﴿ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾[(٢)]، أي ما لم يكن حوامل"[(٣)].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

وقع اتفاق أئمة التفسير على ما ذكره القنوجي ﵀، من أن عدة الحامل هو وضع حملها.

قال الإمام ابن جرير الطبري ﵀: "والصواب من القول فى ذلك أنه عام في المطلقات والمتوفى عنهن"[(٤)].

وقال ابن عطية ﵀: "وأكثر أهل العلم على أن هذه الآية تعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة"[(٥)]، ومثل ذلك ذكره ابن الجوزي، وابن كثير، والشوكاني، والزحيلي.

المبحث الثالث: رأي الباحث.

وقع الاتفاق على عدة الحامل المطلقة أنها تنقضي بوضع الحمل، والخلاف

---

(١) سورة الطلاق، الآية [٤].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٣٤].

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ١٨٨ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٠، ص٨٥٨.

(٥) المحرر الوجيز، ج٨، ص٣٣٢.

في الحامل المتوفى عنها زوجها خلاف ضعيف فالجمهور على أنها تنقضي - أيضًا- بالوضع، وهذا ما عليه المذاهب الأربعة، بل وعلى هذا علماء الأمصار من السلف والخلف، ذكرها ابن عبد البر رحمه الله في كتابه الإجماع، وذكر بأن الرواية عن علي بأنها منقطعة، وذكر رجوع ابن عباس واستدل بصحة رجوعه أن كبار تلاميذه يرون أن عدة الحامل وضع حملها من طلاق أو وفاة(١).

۞۞۞

(١) الإجماع، لـ لابن عبد البر، ص٢٦٩-٢٧٠.

المطلب الحادي عشر: نفقة وسكنى المطلقة ثلاثاً

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾[(١)]: "وقد اختلف أهل العلم في المطلقة ثلاثاً هل لها سكنى ونفقة أم لا؟ فذهب مالك والشافعي إلى أن لها سكنى ولا نفقة لها، وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن لها النفقة والسكنى، وذهب أحمد وإسحاق وأبو ثور إلى أنه لا نفقة لها ولا سكنى، وهذا هو الحق وقد قرره الشوكاني في شرحه للمنتقي بما لا يحتاج الناظر فيها إلى غيره، وأوضحناه في الروضة الندية شرح الدرر البهية"[(٢)].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

والذي اختاره القنوجي ﷺ، هو ما رجحه الإمام الطبري ﷺ بقوله: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن لا نفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملا".

واستدل لذلك بذكر الحوامل بعد ذلك مما يعني تفردهن بالحكم، واستدل كذلك بحديث فاطمة بنت قيس[(٣)].

وذكر الخلاف ابن الجوزي ﷺ وقوى مذهب القائلين بأنه لا نفقة لها ولا سكنى لأن السكنى تفيد في حالة التراجع والنفقة لأجل الاستمتاع وهي غير متحققة هنا[(٤)].

---

(١) سورة الطلاق، الآية [٦].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٩٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠، ص٨٦٢.

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ص١٤٤٧.

وحسن هذا القول الإمام القرطبي ﷺ[1]، ودافع عن هذا القول الإمام الشنقيطي ﷺ في تفسير سورة البقرة[2]، ومثله الشوكاني ﷺ في فتح القدير[3].

المقصد الثالث: رأي الباحث.

مما سبق من كلام القنوجي ﷺ وكلام أئمة التفسير تبين أن في المسألة أربعة مذاهب:

الأول: أن لها النفقة والسكنى، وهو مذهب الحنفية، قال صاحب كتاب اللباب: "وإذا طلق الرجل امرأته فلها النفقة والسكنى في عدتها، رجعيًا كان أو بائنا"[4].

ذلك أن الحنفية جعلوا النفقة والسكن مقابل احتباسها للعدة، وليس نظير الاستمتاع وأمل الرجعة.

الثاني: أن لها السكنى دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي ورواية عن أحمد، قال صاحب الإكليل: "المعتدة المطلقة رجعية لها النفقة، وأما البائن فلها السكنى وليس لها نفقة إلا أن تكون حاملا"[5].

وقال النووي ﷺ في المنهاج: "الحائل البائن بخلع أو ثلاث لا نفقة لها ولا كسوة"[6].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص٥٤ .

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، ص ١٩١-١٩٣.

(٣) فتح القدير، ج٥، ص٣٤٣.

(٤) اللباب في في علوم الكتاب، لـ ابن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤١٩هـ١٩٩٨م، ج٣، ص٩٣.

(٥) جواهر الإكليل، لـ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، المكتبة الثقافية بيروت، ج١، ص٤٠٤.

(٦) مغني المحتاج شرح المنهاج، لـ محمد بن الخطيب الشربيني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة بيروت، ط١، ص١٤١٨هـ١٩٩٧م، ج٣، ص٥٧٦.

وذكر ابن قدامة ﵀ في المغني: "أنها إن كانت حائلاً فلا نفقة لها، وذكر في السكنى روايتين: إحداهما: لها ذلك، والثانية: لا سكنى لها ولا نفقة وهي ظاهر المذهب"(١).

الثالث: ليس لها نفقة ولا سكنى، وهو معتمد مذهب الحنابلة، كما سبق من كلام ابن قدامة.

والذي يترجح من هذه الأقوال هو الثالث، وهو الذي رجحه القنوجي، وهو الذي يدل عليه حديث فاطمة بنت قيس، فلم يجعل لها نفقة ولا سكنى.

وقد بين ابن عبد البر ﵀ في كتاب التمهيد أن هذا القول هو الأرجح من حيث الدليل، والذين ردوا هذا الحديث مستدلين بقول عمر، فعمر إنما عنى بذلك المطلقة الحامل، وهو ما لم تنكره راوية الحديث(٢).

وقال ابن القيم ﵀: "المطلقة البائنة لا نفقة لها ولا سكنى بسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة التي لا معارض لها، بل هي موافقة لكتاب الله، وهي مقتضى القياس، وهي مذهب فقهاء أهل الحديث"(٣).

وقال أبو بكر بن العربي المالكي ﵀ بعد ذكر مذاهب العلماء في ذلك: "الأولى في هذه المسألة إما أن يقال إن لها الأمرين جميعًا مصيرًا إلى ظاهر الكتاب والمعروف من السنة، وإما أن يخصص هذا العموم بحديث فاطمة المذكور، وأما التفريق بين إيجاب النفقة والسكنى فعسير ووجه عسره ضعف دليله"(٤).

---

(١) المغني لابن قدامة، ج١١، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٢) التمهيد لما في المؤطا من المعاني والأسانيد، لـ لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، ط١، ت١٣٨٧هـ١٩٦٧م، ج١٥، ص٤٤-٤٤.

(٣) سد الذرائع وتحريم الحيل، ج٢، ص٢٧٥.

(٤) شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد، تحقيق: د. عبدالله العبادي، دار السلام القاهرة، ط١، ت١٤١٦هـ١٩٩٥م، ج٣، ص١٤٧٢.

المطلب الثاني عشر:
نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها

وفيه ثلاثة مقاصد:

المبحث الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى﴿ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (١): "ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة، فأما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن أبي ليلى(٢) وسفيان وأصحابه: ينفق عليها من جميع المال حتى تضع، وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه: لا ينفق عليها إلا من نصيبها، وهذا هو الحق للأدلة الواردة في ذلك من السنة المطهرة (٣).

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

قال الإمام القرطبي ﷺ: "لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثًا أو أقل منهن حتى تضع حملها.

فأما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن أبي ليلى وسفيان والضحاك: ينفق عليها من جميع المال حتى تضع.

---

(١) سورة الطلاق، الآية [٦].

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ابن بلال الأنصاري الكوفي، قاض، فقيه، من أصحاب الرأي، ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس٣٣ سنة، له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره، مات بالكوفة سنة ١٤٨هـ ٧٦٥م. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص١٨٩).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ١٩٠.

وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم: لا ينفق عليها إلا من نصيبها"[١].

وهو ما ذكره البغوي ﷺ في تفسيره حاكيًا له عن الجمهور[٢]، وقال الشوكاني ﷺ عن مذهب الجمهور بأنه الحق ثم ذكر أدلة القول من الكتاب والسنة[٣].

المقصد الثالث: رأي الباحث.

يرى الحنفية أنه لا نفقة للحامل المتوفى عنها زوجها[٤]، وهو مذهب المالكية[٥] والشافعية [٦] والحنابلة[٧].

فما اختاره القنوجي ﷺ في هذه المسألة هو الموافق لاتفاق المذاهب الأربعة، والذي عليه الأدلة الظاهرة من الكتاب والسنة.

قال ابن المنذر ﷺ بعد ذكر الخلاف: "وبالقول الأول أقول (أي القول بأنه لا نفقة لها) لأنهم أجمعوا على أن نفقة كل من كان يجبر على نفقته وهو حي، مثل أولاده الأطفال، وزوجاته، ووالديه، يسقط عنه، فكذلك يسقط عنه نفقة الحامل من أزواجه"[٨].

۞۞۞

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص٥٥.

(٢) تفسير البغوي، دار طيبة للنشر، ط، ت ١٣١٢هـ، ج ٨، ص ١٥٥.

(٣) فتح القدير، ج٥، ص٣٤٤.

(٤) بدائع الصنائع، ج٤، ص٢٩.

(٥) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لـ محمد بن محمد المغربي الشهير بالحطاب الرعيني، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب العلمية، ج٥، ص٥٥٤.

(٦) انظر: مغني المحتاج شرح المنهاج، ج٣، ص٥٧٧.

(٧) كشاف القناع، لـ البهوتي، ج٨، ص٢٨١٩.

(٨) الإشراف على مذاهب العلماء، لـ ابن المنذر، تحقيق: د. صعير الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، ط١، ت١٤٢٥هـ٢٠٠٤م، ج٥، ص٣٤٧.

المطلب الثالث عشر:
تحريم الحلال هل يكون يميناً يوجب الكفارة؟

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١): "واختلف العلماء هل مجرد التحريم يمين توجب الكفارة أم لا؟ وفي ذلك خلاف، وليس في الآية ما يدل على أنه يمين؛ لأن الله سبحانه عاتبه على تحريم ما أحله له، ثم قال: ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ ، وقد ورد في القصة التي ذهب أكثر المفسرين إلى أنها هي سبب نزول الآية حرم أولاً ثم حلف ثانيًا، كما قدمنا"(٢).

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

يرى الإمام الطبري ﷺ، أن تحريم الشيء لا يدل على كونه يمينًا لا شرعًا ولا عرفا، وأن ذكر كفارة اليمين المذكورة في الآية وردت كون النبي ﷺ حرم ثم حلف(٣).

وهو ترجيح الإمام القرطبي ﷺ حيث قال: "إن كان النبي ﷺ حرم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا، ولا يُحرم قول الرجل "هذا علي حرام" شيئًا حاشا الزوجة"(٤).

وذكر الخلاف ابن كثير ﷺ، وأن كون التحريم يمينا تجب كفارته هو مذهب الحنابلة وطائفة، وأنه لغو لا كفارة فيه هو مذهب الشافعية ومن وافقهم(٥).

---

(١) سورة التحريم، الآية [٢].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠، ص٨٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢١، ص ٧١-٧٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٣٦٨.

وقال الشوكاني ﷺ: "الحق أن تحريم ما أحل الله لا ينعقد ولا يلزم صاحبه فالتحليل والتحريم هو إلى الله سبحانه لا إلى غيره ومعاتبته لنبيه ﷺ في هذه السورة أبلغ دليل على ذلك ..، وليس في الآية ما يدل على أنه يمين لأن الله سبحانه عاتبه على تحريم ما أحله له"[١].

لكن القاسمي ﷺ في تفسيره محاسن التأويل اختار رأي القائلين بأن التحريم يمين توجب الكفارة، ثم ذكر القائلين بذلك منهم عمر وعثمان وابن مسعود وابن عباس ﷺ، وذكر قول ابن القيم أن من اعتبروا ذلك يمينًا هم أسعد بالنص ممن لم يعتبر ذلك يمينا يوجب الكفارة[٢].

المقصد الثالث: رأي الباحث.

إن حرم شيئًا محددًا لم يتعد إلى سواه باتفاق، ويكون يمينًا منعقدةً توجب الكفارة في مذهب الحنفية والحنابلة، ولغوًا في مذهب المالكية والشافعية، وإن كان المسمى هو الزوجة فينظر في قصده عند الحنفية فإن أراد طلاقًا وقع طلاق؛ لأنه من ألفاظ الكنايات، وهو طلاق عند المالكية ثلاثًا، ويقع عند الشافعية طلاقًا أو ظهارًا إذا نواه، وإلا فلغو، وهو ظهار عند الحنابلة.

فإن حرم شيئًا غير محدد انعقد يمينًا عند الحنفية وطلاقا في الزوجة إذا قصده، وهو لغو عند المالكية، وطلاق في الزوجة إلا إذا استثناها من عموم ما حرمه فلا يقع طلاق حين إذن.

وعند الشافعية لغو في كل شيء إلا إذا قصد به الطلاق أو الظهار، وينعقد

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٣٥٠.

(٢) محاسن التأويل، لـ محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ت١٣٧٦هـ١٩٥٧م، ج١٥، ص٥٨٦٠.

يمينًا عند الحنابلة فيما سوى الزوجة، وظهارًا في الزوجة ولو نوى به الطلاق[1].

والراجح أنه يقع يمينًا في غير الزوجة يوجب الكفارة؛ لأن الآية ذكرت التحريم ثم ذكرت كفارة اليمين فدل على أن التحريم يمين يوجب الكفارة.

وهو في الزوجة ظهار إن قصده، وهو رأي عامة المذاهب كما ذكره ابن قدامة ﷺ في المغني[2]، وإلا فيمين يوجب الكفارة، وهو قول أبي بكر وعمر وابن عباس ﷺ جميعا، وهو معتمد مذهب أبي حنيفة وأحمد وقول عند الشافعية[3].

قال ابن القيم ﷺ: "إن أوقع التحريم كان ظهارًا ولو نوى به الطلاق وان حلف به كان يمينًا مكفرة وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وعليه يدل النص والقياس"[4].

ويمكن تلخيص ما رجحناه بالتالي: إن قال علي الحرام وقيده بأمر معين فهو يمين تجب فيه كفارة يمين للحنث، وإذا كان المعين هو الزوجة، فيسأل عن نيته فإن أراد به طلاقًا وقع، وإن أراد ظهارًا وقع، وإن أراد يمينًا وقع، وإن لم يرد شيئًا وقع يمينا.

---

(١) انظر :

١- بدائع الصنائع، للكاساني، ج٣، ص ١٦٧-١٧٠ .

٢- منح الجليل على شرح مختصر خليل، ج٢، ص١٢١-١٢٣.

٣- كتاب المجموع المجموع للنووي، ج١٨، ص٢٥٦-٢٦٠.

٤- منار السبيل في شرح الدليل، لـ إبراهيم بن ضويان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤١٨ه١٩٩٧م، ج٢، ص٣٠٣.

٥- كشاف القناع، ج٨، ص٢٦١١.

(٢) انظر: المغني، ج١١، ص٦١.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي الدمام، ط١، ت١٤٢٣ه، ج٤، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٤، ص٤٦٣.

وإن أطلق وهو غير متزوج وقع ذلك منه يمينًا، وإن كان متزوجًا يسأل عن نيته في الزوجة، فإذا لم ينو شيئًا وقع منه يمين.

۞۞۞

الفصل الرابع: **آراؤه الاجتماعية**

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإصلاح الاجتماعي في حياة القنوجي.

المبحث الثاني : آراؤه الاجتماعية.

المبحث الأول:

الإصلاح الاجتماعي في حياة القنوجي

في الباب الأول من هذا البحث، وفي المبحث السادس، كان الحديث عن عصر القنوجي ﵀، وكيف أنه ولد في عصر عمت الأمراض الاجتماعية العالم الإسلامي كله، وخصوصًا بلده الهند ففيها الاستعمار البريطاني حاكما والهندوس والبوذيون متسلطون على المسلمين، والمسلمون في بدع منتشرة وضلالات طاغية وهو ما كان يتألم منه القنوجي في كتاباته ومؤلفاته، شاكيًا من عصره الذي عاش فيه، وما تم ذكره هناك يكفينا عن إعادته هنا.

وأمام هذا العصر المؤلم والحالة المظلمة لم يقف القنوجي مستسلمًا للواقع ولا يائسًا من التغيير، بل انطلق محاولاً جهده، بما مكَّنه الله من علم وولاية ومال، ومكانة اجتماعية وقبول عند المسلمين.

وهو ما ذكرناه في المبحث السابع: جهوده الإصلاحية والاجتماعية، وهو ما يغنينا عن إعادته أيضا، وما سنذكره في المبحث التالي يعد أمثلة من القضايا التي سعى في إصلاحها وتصحيح مفهوم الأمة لدينها.

۞۞۞

منهجية البحث في هذا المبحث:

ستكون منهجية البحث في هذا المبحث وفق الآتي:

١- أذكر رأي القنوجي الذي اختاره ورجحه في المسألة، من خلال تفسيره فتح البيان.

٢- أذكر آراء أئمة التفسير في المسألة.

٥- أعقب على الأقوال الواردة في المسألة، مرجحًا ما يحتاج إلى ترجيح من وجهة نظري كباحث.

المبحث الثاني: آراؤه الاجتماعية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سرية دعوة النبيﷺ في مكة

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

يقول في آخر سورة المدثر: "إذا تأملت هذه الآيات وكلها سب وتسفيه وتهديد للمشركين وزعمائهم، مع ملاحظة أنها من أوائل ما نزل، برزت لك حقيقة قرآنية عجيبة، هي أن القرآن يدعو إلى مواجهة خصومه بكل شدة وعنف، فلا هوادة ولا خنوع، مهما كانت الظروف، فهذه الآيات صرخ بها رسول الله ﷺ، في الأيام الأولى ولم يكن معه من يغني عنه فتيلا، في الوقت الذي تمالأ عليه الشرك وأهله لمحوه من الوجود"[١].

وعلى ما سبق فقد جزم أن النبي ﷺ بدأ دعوته جهرًا، ولم يكن فيها مرحلة سرية كما تذكر بعض المصادر، فقد قال: "وهذه الآيات التي سبقت في صدر هذا التعليق تدل على خلاف ما روي بأن الدعوة النبوية قد بدأت سرية، وتدل بقوة على أنها بدأت علنية، وكل ما يمكن أن يقال إزاء ما ورد في الأحاديث التي تروي أقوال بعض أصحاب رسول الله مثل ما روي من قصة عمر وإسلامه في دار الأرقم والنبي ﷺ مستخفيا ومعه جماعة من الصحابة[٢] هو أن النبي ﷺ حماية لأصحابه كان يلزم الحذر والتحفظ في الصلاة والاجتماع بهم، غير أن دعوته للناس كانت

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٢) السيرة لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، سلسلة تراث الإسلام، ج١، ص٣٤٦.

وظلت جهرية، وهذا هو المعقول المتسق مع هدف الدعوة وإيمان النبي ﷺ بالله ورسالته"(١).

وإذا كان قد قرر -هنا- علنية الدعوة من بدايتها إلا أنه في نفس تفسيره، عند تفسير سورة الحجر عند قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٢) يقرر ما يقرره الآخرون أن الدعوة في مكة لها مرحلتان سرية وجهرية.

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

ما قرره القنوجي رحمه الله عند قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ هو ما قرره أئمة التفسير، وجميعهم يقررون أن النبي ﷺ بدأ دعوته سرا، وأن ذلك استمر قرابة ثلاث سنين.

المقصد الثالث: رأي الباحث.

من المقرر المعروف عند المفسرين وأهل السير أن دعوة النبي ﷺ في مكة لها مرحلتان، مرحلة الإسرار ومرحلة الجهر.

ولعل الذي دعا القنوجي رحمه الله إلى هذا القول تصوره أن السورة نزلت كاملة مرة واحدة، نعم لو كان ذلك لما تصورنا مرحلة سرية في الدعوة المكية، لكن الثابت هو أن الذي نزل هو صدر سورة المدثر، وأن الآيات التي تدل على علنية الدعوة والرد على الوليد بن المغيرة كانت متأخرة.

فقد بدأ دعوته ﷺ بالعرض على من يثق من الأفراد، ثم تطورت إلى السرية الجماعية، ثم العلنية، ومما يدل على ذلك عدة وقائع.

منها: حديث عمرو بن عبسة السلمي، وفيه «فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا».

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٤٢٩.

(٢) سورة الحجر، الآية [٩٤].

وفيه كذلك (قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) فقلت: إنى متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالى وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى) ..الحديث بطوله[1].

ومنها: قصة إسلام أبي ذر، وموقف علي مع أبي ذر ﷺ حين أراد أخذه إلى دار الأرقم لمقابلة النبي ﷺ والمتضمن إخباره بعدد من الاحتياطات التي توحي بسرية المكان آنذاك وهو ما يشير إليه قوله: (هذا وجهي إليه فاتبعني، ادخل حيث أدخل، فإني إن رأيت أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي، وامض)[2].

ومنها: اتخاذ النبي ﷺ دار الأرقم ابن أبي الأرقم مقرًا للاجتماع واللقاء، وذلك زيادة في السرية والتخفي، كون هذه الدار لفتى صغير في السن، ولم يعرف عنه الإسلام، وكونه من بني مخزوم المنافسة لبني هاشم، فلا يتصور أحد أن يلجأ النبي الهاشمي إلى بيت منافسيهم من بني مخزوم.

قال العمري: "بدأت الدعوة الإسلامية بمكة سرية، ويحدد ابن اسحاق والواقدي هذه المرحلة بثلاث سنين"[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم٨٣٢، ج٢، ص٢٠٨، وأخرجه أحمد في مسنده برقم ١٧٠١٩، حاشية السندي عل المسند، ج١٠، ص٧٧-٧٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري، برقم ٣٨٦١، ص٧٣٢، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، برقم ٢٤٧٤، ج٧، ص١٥٥-١٥٦.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، لـ د. أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السنة والسيرة "جامعة قطر"، ط٦، ت١٤١١هـ١٩٩١م، ج١، ص١٣٢.

وهو ما أكده الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية[١].

ومثله المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم[٢].

وهنا سؤال يتوجه: كيف تكون الدعوة سرية، وأخبار نبوة محمد ﷺ سمع بها أقوام من خارج مكة.

والجواب الذي أفهمه، والذي لم أجد أحدا ذكره خلال بحثي، ولعله أن يوفق بين القائلين بعلنية الدعوة والمرحلة السرية بمكة، هو أن خبر القرآن والوحي كان علنيا منذ اللحظة الأولى ولم يكن في ذلك أي إخفاء وهو ما جعل خبر الرسالة يتعدى حدود مكة ويسمع بها أبو ذر وعمرو بن عبسة وغيرهم.

والمرحلة السرية تناولت جانبين من جوانب الدعوة، الدعوة العلنية بالقول في أندية قريش وأماكن تجمعها، والجانب الثاني الجانب التعبدي العلني، فقد ثبت أن الصحابة كانوا يخرجون إلى شعاب مكة للتعبد بعيدًا عن أعين المشركين، ومثل ذلك الجانب التعليمي العلني، ولذلك اتخذ النبي ﷺ دار الأرقم للتعليم والتربية.

۞۞۞

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، لـ د. مهدي رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط١، ت١٤١٢هـ١٩٩٢م، ص١٥٥.

(٢) الرحيق المختوم، لـ صفي الرحمن المباركفوري، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ت١٤٢٧هـ٢٠٠٧م، ص٧٥.

المطلب الثاني: حقيقة السحر

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

قال عند تفسير سورة الفلق: "ومذهب أهل السنة أن السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل، ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين"[١].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

يثبت أئمة التفسير من أهل السنة أن للسحر حقيقة، وأن له أضرارًا تعمل في الأجسام على الحقيقة، فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يفرق بين المجتمعين.

قال الإمام القرطبي ﷺ: "ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة والاستراباذي[٢] من أصحاب الشافعي إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشئ على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما قال تعالى ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[٣]، ولم يقل تسعى على الحقيقة، ولكن قال﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾ وقال أيضا ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٤]، وهذا لا حجة فيه، لانا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الاية من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس، فدل على أن له حقيقة"[٥].

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٥، ص ٤٥٥ .

(٢) محمد بن الحسن بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الجرباذقاني الاستراباذي: لغوي أديب من فقهاء الشافعية، ولد سنة ٣٢١، توفي سنة ٣٨٦هـ. (الأعلام للزركلي، ج٦، ص٨٢).

(٣) سورة طه، الآية [٦٦].

(٤) سورة الأعراف، الآية [١١٦].

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٢٧٦.

وقال ابن كثير ﷺ: "حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر، قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده، قال: وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارًا، والحمار إنسانًا إلا أنهم قالوا: أن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم، فلا، خلافًا للفلاسفة والمنجمين والصابئة"(١).

وما قرراه هو المقرر عند كافة أئمة التفسير من أهل السنة، وهو الذي ذكره القنوجي، وهو بهذا يوافق أئمة التفسير.

المقصد الثالث: رأي الباحث.

حقيقة السحر ووجوده تكلم فيها الناس بطوائفهم، فمنهم الناظر إليه نظرة عقلية مجردة عن أدلة الشرع، فقادهم ذلك إلى نفيه وإنكار وجوده ونفي حقيقته، وفسروا ما يشاهدونه من أفعال السحرة بتفسيرات يردها الشرع والعقل والواقع.

ومنهم من أثبت للسحر قدرة تضاهي قدرة الخالق سبحانه، من قلب الحقائق وإحداث الخوارق، وأثبتوا تأثير ذلك للكواكب والأبراج والنجوم، وهؤلاء هم الفلاسفة أصحاب العلة الفاعلة والكواكب المؤثرة.

وهدى الله أهل السنة للحق، فأثبتوا ما أثبته الشرع والعقل والعرف والواقع، فإن القرآن أخبر بوجوده، وكفر متعاطيه، وأخبر أنه يفرق بين المرء وزوجه، وأنه يحول الأشياء عن صورتها التي هي عليها إلى صورة أخرى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٧٢.

لكنهم مع إثبات ذلك، يثبتون للكون خالقًا واحدا وهو الله، وأن الساحر لا يستطيع أن يؤثر في شيء من ذلك إلا بإذنه، وأن قلب الأشياء وتغيير حقائقها ليس للساحر في ذلك قدرة، وليس هو فاعلاً ذلك على الحقيقة.

قال ابن أبي العز ﷺ في شرح الطحاوية: "وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل"[١].

وإذا علم أن السحر له حقيقة، وهو قول عامة أهل السنة، إلا أنه لا بد من الاعتراف أن من أنواع السحر سحر تخيل لا حقيقة له، وهو إيهام الناظر بشيء خلاف الواقع.

وعليه فإن القول بأن السحر كله تخيل ووهم، قول ضعيف، ومن قال بأن السحر كله حقيقة قول ضعيف أيضًا.

وهو ما أشار إليه الدكتور عمر سليمان الأشقر ﷺ في كتابه عالم السحر والشعوذة قال: "نرى أن الذين قالوا بأن السحر كله حقيقة جانبوا الصواب فيما ذهبوا إليه، والذين زعموا أن السحر كله تخييل لا حقيقة له في الخارج جانبوا الصواب أيضا، والذين أصابوا كبد الحقيقة هم أولئك الذين قسموا السحر إلى قسمين، قسم له حقيقة وقسم إنما هو تخييل"[٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٧٦٤.

(٢) عالم السحر والشعوذة، لـ د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس عمان، ط٣، ت ١٤١٨هـ١٩٩٧م، ص٩٩.

وقد أشار الدكتور الزحيلي في تفسيره إلى محاولة ابن خلدون[١] في التوفيق بين الرأيين حيث نظر كل طرف إلى أنواع من السحر، وحكم على تلك الأنواع[٢].

وهي محاولة لتبرئة المنكرين لحقيقة السحر، ولكن الحقيقة أن المنكرين لم يفرقوا بين أنواعه وجعلوه كله من نوع التخييل الذي لا حقيقة له، والذي قادهم لذلك هو ظنهم أن مجرد كون الفعل خلافًا للعادة هو الآية على صدق الرسول فلا يجوز ظهور خارق إلا لنبي، والتزموا طردًا لهذا إنكار أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة كأن يقتل أو يمرض بلا مباشرة شيء، وأنكروا الكهانة وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات وأنكروا كرامات الأولياء.

قال ابن تيمية ﷺ: "أدخلت المعتزلة ونحوهم إنكار كرامات الأولياء، وإنكار السحر والكهانة في الشرع، بناء على أن ذلك يقدح في آيات الأنبياء، فجمعوا بين التكذيب بهذه الأمور الموجودة، وبين عدم العلم بآيات الأنبياء والفرق بينها وبين غيرها، حيث ظنوا أن هذه الخوارق الشيطانية من جنس آيات الأنبياء، وأنها نظير لها، فلو وقعت لم يكن للأنبياء ما يتميّزون به"[٣].

❁❁❁

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ، ١٣٣٢م، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية، وتوفي في القاهرة سنة ٨٠٨هـ، ١٤٠٦م، كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر. (إنباء الغمر بوفيات العمر، ج٢، ص٣٣٩-٣٤٠. الأعلام للزركلي، ج٣، ص٣٣٠).

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١، ص٢٧٣.

(٣) كتاب النبوات، لـ ابن تيمية، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، ط١، ت١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٠٣٦-١٠٣٧.

المطلب الثالث: إصابة الرسول ﷺ بالسحر

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

ذكر عند تفسير سورة الفلق أحاديث سحر النبي ﷺ وأقرها، وقال عند تفسيره لآية السحر في سورة البقرة: "وقد صح أن النبي ﷺ سحر، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي حتى كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولم يكن قد أتاه ثم شفاه الله سبحانه"[(١)].

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

انقسم المفسرون إلى فريقين، فريق قبل الرواية وأثبت قصة سحره ﷺ، وفريق آخر رد الرواية أو أولها ولم يثبت إصابته ﷺ بالسحر.

الفريق الأول المثبت: المثبتون هم جمهور أهل التفسير من أهل السنة، ومنهم أئمة التفسير، كابن جرير الطبري[(٢)]، وابن عطية[(٣)]، والقرطبي[(٤)]، والرازي، وابن كثير[(٥)]، والشنقيطي صاحب أضواء البيان، وغيرهم كثر.

قال الرازي رحمه الله: "روي أنه عليه السلام سحر وأن السحر عمل فيه حتى قال «إنه ليخيل إلي أني أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله[(٦)]» وأن امرأة يهودية سحرته

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص٢٣٦.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص٦٧٥.

(٣) انظر المحرر الوجيز، تفسير سورة الفلق، ج٨، ص٧١٥.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٥٧٠-٥٧١.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٥٨٤.

(٦) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٦٨، ص٦٢٦، ورواه مسلم في كتاب السلام، باب السحر، رقم ٢١٨٩، ج٧، ص١٤.

وجعلت ذلك السحر تحت راعوفة البئر فلما استخرج ذلك زال عن النبي ﷺ ذلك العارض وأنزل المعوذتان بسببه"[1].

وجماع ما قالوه هو ما ذكره الشنقيطي رحمه الله بقوله: "اعلم أن ما وقع من تأثير السحر في رسول الله ﷺ لا يستلزم نقصًا ولا محالاً شرعيًا حتى ترد بذلك الروايات الصحيحة؛ لأنه من نوع الأعراض البشرية، كالأمراض المؤثرة في الأجسام، ولم يؤثر البتة فيما يتعلق بالتبليغ، واستدلال من منع ذلك زاعمًا أنه محال في حقه ﷺ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[2] مردود"[3].

الفريق الثاني النافي: ممن نفى تأثير السحر في بدن النبي ﷺ، كالقاسمي[4][5]، ورشيد رضا[6]، والطاهر بن عاشور[7]، وسيد قطب[8].

والنافون إما لكونهم لا يعترفون بحقيقة السحر أصلا، أو لكون ذلك يعارض نفي القرآن عن النبي ﷺ أنه مسحور، أو لكونه خبر آحاد، والآحاد عندهم لا تفيد اليقين ولا يؤخذ بها في العقائد.

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٣، ص٢٣١.

(٢) سورة الإسراء، الآية [٤٧].

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٤، ص٥٨٣.

(٤) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ، ١٧٦٦م، توفي بها سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م، من مؤلفاته: دلائل التوحيد، ومحاسن التأويل. (الأعلام للزركلي ج٢، ص١٣٥).

(٥) انظر: محاسن التأويل، ج١٧، ص٦٣٠٨.

(٦) انظر: تفسير المنار، ج٩، ص٦٨.

(٧) انظر: التحرير والتنوير، ج١، ص٦٣٤.

(٨) انظر: في ظلال القرآن، ج٦، ٤٠٠٨.

وجماع اعتراضهم في قول القاسمي رحمه الله حيث قال: إن حديث سحره صلوات الله عليه، المروي هنا، متروك لِما يلزم من قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه ... وهذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها، والله تعالى يقول ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(1) وقال ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾(2)، ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكلٌّ ذلك باطلٌ، ولكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة، ولحصل فيه ﷺ ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز. انتهى. ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرَّجًا في الصحاح؛ وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالمًا من النقد، سندًا أو معنى، كما يعرفه الراسخون، على أن المناقشة في خبر الآحاد معروفة من عهد الصحابة"(3).

المقصد الثالث: رأي الباحث.

علمنا مما سبق أن المثبتين لحقيقة السحر هم جمهور أهل السنة، والنافون لحقيقة السحر هم المعتزلة، وإذا علم أن السحر له حقيقة تؤثر في بدن المسحور نظرنا في قضية تأثير السحر في النبي ﷺ، فالسحر مرض يؤثر في بدن المسحور وفي عقله كذلك –أيضًا– فربما أصبح المسحور مجنونًا لا يدرك ما حوله، وربما اقتصر الضرر في بدنه فقط.

---

(1) سورة المائدة، الآية [٦٧].

(2) سورة طه، الآية [٦٩].

(3) محاسن التأويل، ج١٧، ص٦٣٠٨-٦٣٠٩.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نفى عن رسوله ﷺ الجنون وأنكر على المشركين دعواهم أن رسول الله ﷺ مجنون، علمنا يقينا استحالة أن يؤثر السحر في عقله، وهو من الأمور القطعية عند المسلمين كلهم، أما بدنه ﷺ فإنه بدن بشري يمكن أن يتأثر بما يتأثر به البشر فقد جرح في غزوة أحد، وأصابته الحمى، وجسمه يحتاج إلى أكل وشرب وكل مقومات الجسم البشري.

فإثبات ذلك يقوم على أمور عدة:

أولاها: أن عقل النبي ﷺ لم يتأثر بذلك السحر، وعليه فإن السحر لم يؤثر على تبليغه القرآن وتعليمه الدين.

ثانيها: أن الحديث في البخاري ومسلم، ولا يمكن الطعن في سنده ولا متنه وما أثير حول ذلك من شبه فقد ردها أهل الحديث وحفاظ الأمة، وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري كل ما يتعلق بالحديث سندًا ومتنا ومعنى، ورد على من أنكر ذلك، وقد ألف بعض المتأخرين كتابًا مستقلا في الحديث يرد على الطاعنين في سنده أو متنه أو تأويله[1].

ثالثها: أن الإنكار إنما حدث عند المعتزلة بناء على أصولهم كما سبق معنا، ولم يأت عن كبار الأئمة كمالك والشافعي والثوري ونحوهم من كبار الأئمة ولا حتى عن متأخري أهل السنة الملتزمين بالأثر.

وعليه فإن رأي المثبتين هو الصحيح الراجح وهو الذي عليه أئمة التفسير وكبار أئمة الأمة.

(١) منها: ردود أهل العلم على الطاعنين على حديث السحر، لـ مقبل الوادعي، دار الآثار، ط٢، ت ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

وجماع ما رد به المثبتون على النافين ما قاله الإمام النووي ﷺ في شرحه على صحيح مسلم حيث قال: "قال الإمام المازري[1] ﷺ: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافًا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته ... قال: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، هذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل"[2].

۞۞۞

(١) محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلية ولد سنة ٤٥٣هـ، ١٠٦١م، توفي بالمهدية سنة ٥٣٦هـ، ١١٤١م، من كتبه: المعلم بفوائد مسلم في الحديث، وهو ما علق به على صحيح مسلم، حين قراءته عليه. (وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٨٥. الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٧٧).

(٢) صحيح مسلم بن بشرح النووي، ج١٤، ص١٧٤-١٧٥.

الفصل الخامس:

آراؤه في الآيات الكونية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كروية الأرض.

المبحث الثاني: البرزخ الحاجز بين البحار.

المبحث الثالث: تكون الأمطار.

المبحث الأول: كروية الأرض

للقنوجي ﷺ رؤية في موضوع كروية الأرض ودورانها، وسنثبت رأيه في تفسيره فتح البيان ثم نناقش رأيه من خلال استعراض بقية آراء الأئمة.

قال في كروية الأرض عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[1]: "وهي مدحوة كالبساط لما فوقها، وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها، وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل صلبة ورخوة وعذبة وسبخة، وفيها معادن مفتتة، ودواب منبثة، مختلفة الصور والأشكال متباينة الهيئات والأفعال إلى غير ذلك من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره"[2].

وعند تفسير قول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[3]، ذكر كلامًا كثيرًا ونقولات أذكر ملخص كلامه.

قال: "اختلف الناس في المثلية وكيفية طبقات الأرض على قولين:

أحدهما: وهو قول الجمهور: أنها سبع أرضين طباقًا بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان من خلق الله.

قال الخفاجي: الذي نعتقد أن الأرض سبع ولها سكان من خلقه يعلمهم الله تعالى انتهى، وهذا أعدل الأقوال وأحوطها.

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٢٠].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص١٩٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية [١٢].

وبسط الكلام على هذا لا يأتي بفائدة يعتد بها، ويكفي الاعتقاد بكون السموات سبعًا والأرضين سبعًا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ولا ينبغي الخوض في خلقهما وما فيهما فإنها شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، لا يحيط به أحد سواه ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في أمثال هذه المسائل والتفكير فيها والكلام عليها وبالله التوفيق"[1].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[2]: "أي بسطت، والسطح بسط الشيء يقال لظهر البيت إذا كان مستويا سطح، قال المحلي: "قوله سطحت ظاهر في أن الأرض سطح، وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع.

قال الكرخي: "هي كرة بطبعها وحقيقتها لكن الله أخرجها عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها فأخرجها عما يقتضيه طبعها" انتهى.

وفي التكميل للشيخ رفيع الدين ابن ولي الله الدهلوي ﷺ: "أهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى ﴿ فِرَٰشًا ﴾[3] و﴿ دَحَىٰهَآ ﴾[4] و﴿ سُطِحَتْ ﴾[5]، أنها سطح مستو، والحكماء يثبتون كرويتها بالأدلة الصحيحة فيتوهم الخلاف، ويدفع بأن القدر المحسوس منها في كل بقعة سطح مستو، فإن الدائرة كلما عظمت قل انجذاب أجزائها فاستواؤها باعتبار محسوسية أجزائها، وكرويتها باعتبار معقولية جملتها" انتهى[6].

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٩٦.
(٢) سورة الغاشية، الآية [٢٠].
(٣) سورة البقرة، الآية [٢٢].
(٤) سورة النازعات، الآية [٣٠].
(٥) سورة الغاشية، الآية [٢٠].
(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٠٨ .

وبعد ذكر هذه النقولات التي ذكرها عن الأئمة يظهر أنه لم يخلص الى ترجيح قول منها، إلا أنه قال بعد ذكر مذهب من يرى أنها سبع: "وهذا أعدل الأقوال وأحوطها"، وكانه يلمح الى ترجيحه على ما سواه.

وقوله "وبسط الكلام على هذا لا يأتي بفائدة يعتد بها، ويكفي الاعتقاد بكون السموات سبعًا والأرضيين سبعًا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ولا ينبغي الخوض في خلقهما وما فيهما فإنها شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، لا يحيط به أحد سواه ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في أمثال هذه المسائل والتفكير فيها والكلام عليها وبالله التوفيق"(١).

لكن عند الرجوع إلى كلامه في كتابه لقطة العجلان مما تمس إليه حاجة الإنسان، في كلامه على الأرض يكاد يخلص إلى أنها كروية فيقول مثلا: "والأرض جسم مستدير كالكرة .. وقيل ليست بكرة"، وقال أيضا: "ذهب الجمهور إلى أن الأرض كالكرة الموضوعة في جوف الفلك"(٢).

علم بهذا أن مذهب القنوجي في هذا اختيار القول بكروية الأرض، فمن الذي وافقه من أئمة التفسير، وعلماء الشرع؟

قال الألوسي ﷺ عند تفسيره قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾(٣): "والكثير على أن الأرض كرة واحدة منقسمة إلى سبعة أقاليم وحملوا الآية على ذلك"(٤).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٠٨.

(٢) لقط العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، لـ صديق حسن خان، مطبعة الجوائب بتركيا، ت١٢٩٦هـ، ص١٥١.

(٣) سورة الطلاق، الآية [١٢].

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لـ محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج٢٨، ص١٤٥.

وقد ناقش الرازي ﵀ هذا الأمر في عدة مواضع من تفسيره وخلص أنها مستديرة واستدل لذلك بأدلة نقلية وعقلية، منها عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾[1]، حيث قال: "أنه ثبت بالدلائل أن الأرض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه"[2].

وقال ابن عادل ﵀ في تفسيره اللباب في تفسير سورة الكهف عند قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[3]: "ثبت بالدليل أن الأرض كرة، وأن السماء محيطة"[4].

وقال في أضواء البيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[5]: "ولكن ما قول العلماء في شكل الأرض، بصرف النظر عن كون القرآن تعرض له أو لم يتعرض؟

إذا رجعنا إلى كلام من نظر في علم الهيئة من المسلمين، فإنا نجدهم متفقين على أن شكل الأرض مستدير، وقبل إيراد شيء من أقوالهم ننبه على أنه لا علاقة لهذا البحث بموضوع الحركة، سواء للأرض أو غيرها، فذاك بحث مستقل، ليس هذا محله، وإنما البحث في الشكل.

(١) سورة الرعد، الآية [٣].

(٢) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج١٩، ص٣.

(٣) سورة الكهف، الآية [٨٦].

(٤) اللباب في في علوم الكتاب، ج١٢، ص٥٥٧.

(٥) سورة النازعات، الآية [٣٠].

أما أقوال العلماء في شكل الأرض، فإن أجمع ما وقفت عليه، وأصرح وأبين، هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في رسالة الهلال، جاء فيها: وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من علماء الأمة، أن الأفلاك مستديرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في جامع الرسائل: وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول أن الأفلاك مستديرة، واستدارة الأفلاك كما أنه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذي عليه علماء المسلمين كما ذكره أبو الحسين بن المنادى وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهم أنه متفق عليه بين علماء المسلمين"[(١)].

ومن علماء الشريعة الكبار في العصر الحديث الشيخ الألباني ﷺ: قال في موسوعة الألباني في العقيدة: "ولذلك فنستطيع أن نقول: أنه لا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما ينافي هذه الحقيقة العلمية المعروفة اليوم والتي تقول: بأن الأرض كروية وأنها تدور بقدرة الله عز وجل في هذا الفضاء الواسع"[(٢)].

وبهذا الإجماع الذي حكاه ابن تيمة وأقره عليه تلميذه ابن القيم، وحكاه من قبل ابن تيمية عن ابن حزم وابن الجوزي، يعلم أنه هو القول المختار والراجح، ولا أرى داع لاستعراض أقوال وأدلة المعارضين لأنها لا تخلو من مأخذ الضعف أو التأويل.

هذه أقوال أئمة التفسير والشرع ولم أتعرض لأقوال علماء الفلك في القديم والحديث لكونهم مجمعين على ذلك، فلا حاجة لذكر آرائهم.

وقد تركت التعرض لمسألة تلحق بكروية الأرض وهي دورانها، لأن القنوجي ﷺ لم يتعرض لها في الأجزاء حيز الدراسة.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٩، ص٣٧.

(٢) انظر رسالة أول ما خلق الله وإثبات كروية الأرض ودورانها، للألباني، جمع الدكتور: شادي آل نعمان، مركز البحوث والدراسات وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، صنعاء.

المبحث الثاني: البرزخ الحاجز بين البحار

من الآيات الكونية التي ذكرها القرآن الكريم، البرزخ الحاجز بين البحار، وهي مما تعرض القنوجي لذكرها ومناقشتها في تفسيره.

قال عند تفسير قول الله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]: "المرج التخلية والإرسال، يقال: مرجت الدابة إذا أرسلتها، وأصله الإهمال كما تمرج الدابة في المرعى، قال الحسن وقتادة: هما بحرا فارس والروم، وقال ابن جريج: هما البحر المالح والأنهار العذبة.. والمعنى خلى وأهمل وأنه أرسل كل واحد منهما يتجاوران ويتماسان على وجه الأرض، لا فصل بينهما في مرأى العين، قال سعيد بن جبير: يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما ومع ذلك فلم يختلطا فلهذا قال ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي حاجز يحجز بينهما، أي لا يبغي أحدهما على الآخر، بأن يدخل فيه ويختلط به، وقيل: لا يتغيران، وقيل: لا يطغيان على الناس بالغرق قال ابن عباس: أرسل البحرين بينهما حاجز لا يختلطان، بينهما من البعد ما لا يبغي كل واحد منهما على صاحبه، وفي الخطيب لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه، لا في الظاهر ولا في الباطن حتى إن العذب الداخل في الملح باق على حاله، لم يمتزج بالملح فمتى حفرت في جنب الملح في بعض الأماكن وجدت الماء العذب، قال البقاعي: بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى، فخلطهما الله تعالى في رأي العين وحجز بينهما في غيب القدرة"[2].

قال الإمام ابن كثير ﷺ: "قال ابن عباس: أي أرسلهما، وقوله﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾قال ابن زيد: أي: منعهما أن يلتقيا، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما، والمراد بقوله ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس"[3].

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان [١٩-٢٠].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٢٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٢٤٢.

وقال ابن الجوزي ﷺ: "قوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ أي: أرسل العذبَ والمِلْحَ وخلاهما وجعلهما يلتقيان ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي: حاجز من قدرة الله تعالى﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي: لا يختلطان فيبغي أحدهما على الآخر" [(١)].

واختار الإمام الرازي ﷺ في تفسيره أن الأظهر من الأقوال في البحرين أنه البحر المالح والحلو.

وقال في البرزخ: "البرزخ الحاجز هو قدرة الله تعالى في البعض وبقدرة الله في الباقي، فإن البحرين قد يكون بينهما حاجز أرضي محسوس وقد لا يكون، فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض، وصارت البحار بحرا واحدا"[(٢)].

هذه أقوال المفسرين في هذا البرزخ الحاجز بين البحار المالحة من جهة وبين المالحة والعذبة من جهة أخرى، والتي تثبت أن هناك حاجزا، رده بعضهم إلى قدرة الله التي لا يمكن معرفة حقيقة هذا الحاجز، بينما توقع البعض إمكان التعرف على حقيقة هذا الحاجز ومعرفته.

فما وجهة نظر علماء الإعجاز العلمي في وقتنا الحاضر مع بلوغ العلم مبلغ البحث والتدقيق ما لم يبلغه من قبل؟

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "البحر الأسود يلتقي مع البحر الأبيض في البوسفور[(٣)]، والبحر الأبيض يلتقي مع البحر الأحمر في قناة السويس، والبحر الأحمر يلتقي مع البحر العربي في باب المندب، والبحر الأبيض يلتقي مع المحيط

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ص١٣٧٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٩، ص١٠١.

(٣) البوسفور أو مضيق إسطنبول، مضيق يصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة، ويعتبر من الحدود الجنوبية بين قارة آسيا وأوروبا. (wikipedia)

الأطلسي في مضيق جبل طارق، هذه أماكن تلتقي فيها البحار، والمفسرون لم تكن موضحة في أذهانهم، أين هذا البرزخ؟ حينما اكتشفت المركبات الفضائية، وحينما تمكن الإنسان من أن يصور الأرض من الفضاء اتضح في هذه الصور أن بين كل بحرين خطا وهميا، هو خط تمايز لونين، فهذه منطلق الفكرة لفهم هذه الآية.

فبعض علماء البحار نزل إلى باب المندب، أو إلى مضيق جبل طارق، أو إلى قناة السويس، فكان هناك خطٌّ بين كل بحرين يمنع تداخل مياه البحرين بعضمها في الآخر، ذلك أن العلماء قاسوا ملوحة كل بحر، ومكونات كل بحر، وكثافته، فإذا هي متباينة الكثافة والمكونات والملوحة، والخصائص ثابتة لا تتبدل. وقد اطلعتُ على بحث مفاده أن بعض علماء البحار أتى بكم كبير من قصاصات الورق، ووضعها في هذا المكان الذي يبدو فيه الحاجز بين البحرين، فلم تنتقل إلى البحر الآخر، فاتضح أن بين البحرين برزخا، أي حاجزًا موجودًا، أما طبيعته فلا تزال غامضة"[١].

قال الشيخ عبد المجيد الزنداني، مؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة: "لقد توصل علماء البحار بعد تقدم العلوم في هذا العصر إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين كما يلي:

هناك برزخ بين البحرين يتحرك بينهما يسميه علماء البحار (الجبهة) تشبيها له بالجبهة التي تفصل بين الجبهتين، وبهذا يحافظ كل بحر على خصائصه التي قدرها الله له، ويكون مناسبًا لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة.

---

(١) موسوعة النابلسي الإلكترونية.

وهناك اختلاط بين البحرين رغم وجود هذا البرزخ لكنه اختلاط بطيء يجعل القدر الذي يعبر من بحر إلى بحر آخر يتحول إلى خصائص البحر الذي ينتقل إليه، دون أن يؤثر على تلك الخصائص.

اكتشف علماء البحار سر اختلاف تركيب البحار المالحة في عام ١٢٨٤هـ ١٨٧٣م على يد البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة (تشالنجر) فعرف الإنسان أن المياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها من حيث درجة الملوحة، ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية، ولقد كانت هذه الأسرار ثمرة رحلة علمية استمرت ثلاثة أعوام وهي تجوب في جميع بحار العالم.

وأقام الإنسان مئات المحطات البحرية لدراسة خصائص البحار المختلفة فقرر العلماء أن الاختلاف في هذه الخصائص يفصل مياه البحار المختلفة بعضها عن بعض، لكن لماذا لا تمتزج البحار وتتجانس رغم تأثير قوتي المد والجزر التي تحرك مياه البحار مرتين كل يوم، وتجعل البحار في حالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، إلى جانب العوامل الأخرى التي تجعل مياه البحر متحركة مضطربة على الدوام؟

ولأول مرة يظهر الجواب على صفحات الكتب العلمية في عام١٣٦١هـ-١٩٤٢م، فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن وجود خواص مائية تفصل بين البحار الملتقية، وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة، والأحياء المائية، والحرارة، وقابلية ذوبان الأوكسجين في الماء، ويكون الاختلاط بين ماء البحار عبر هذه الحواجز بطريقة بطيئة، يتحول معها الماء الذي يعبر الحاجز إلى خصائص البحر الذي دخل فيه.

وهكذا يحدث الاختلاط بين البحار المالحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحددة بوجود تلك الحواجز المائية بين البحار، وأخيرًا تمكن

الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار المالحة عن طريق تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية"[١].

وبهذا تبين بجلاء عظمة هذا الكتاب العظيم، وأنه من تنزيل من رب العالمين، وإلا فما يدري محمد بن عبد الله ﷺ، الذي لم يركب بحرًا، بهذه الحقيقة الفاصلة بين البحار.

۞۞۞

(١) مؤسسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: تكون الأمطار

ذكر القنوجي ﵀ عند تفسير قول الله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾[1]: "أي التي ترجع بالدوران إلى الموضع الذي تتحرك عنه، قال الزجاج: الرجع المطر، لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، قال الخليل الرجع المطر نفسه، والرجع نبات الربيع.

قال الواحدي: الرجع المطر في قول جميع المفسرين، وفي هذا نظر فإن ابن زيد قال الرجع الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في ناحية، وقال بعض المفسرين ذات الرجع ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وقال بعضهم معناه ذات النفع.

ووجه تسمية المطر رجعًا ما قاله القفال أنه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو إعادته وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى سمي رجعا، وقيل إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب تحمل الماء من بحار الأرض ثم ترجعه إلى الأرض، وقيل سمته العرب رجعا لأجل التفاؤل ليرجع عليهم وقيل لأن الله يرجعه وقتا بعد وقت، وقال ابن عباس الرجع المطر بعد المطر"[2].

فهل هناك إعجاز في هذه الآية؟ وهل ما ذكره عن العرب أنهم يعتقدون أن السحاب تحمل الماء من البحار ثم ترجعه إلى الأرض، حقيقة أم اعتقاد لا أساس له؟

ولنبدأ بذكر أقوال أئمة التفسير في فهمهم للآية ثم نعرج على كلام علماء الإعجاز العلمي من المسلمين.

---

(١) سورة الطارق، الآية [١١].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ج١٥، ص١٨٠.

قال الإمام القرطبي ﵀: "قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾[1]، أي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامة المفسرين، وقال أهل اللغة، الرجع، المطر "[2].

قال الرازي ﵀ في تفسيره: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من دليل التوحيد، والمعاد أقسم قسما آخر، أما قوله ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾، فنقول: قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويتكرر، واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسما موضوعًا للمطر بل سمي رجعًا على سبيل المجاز، ولحسن هذا المجاز وجوه:

أحدها: قال القفال: كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ووصل الحروف به، فكذا المطر لكونه عائدًا مرة بعد أخرى سمي رجعا.

وثانيها: أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض.

وثالثها: أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع.

ورابعها: أن المطر يرجع في كل عام.

إذا عرفت هذا فنقول للمفسرين أقوال: أحدها: قال ابن عباس: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ أي ذات المطر يرجع لمطر بعد مطر.

وثانيها: رجع السماء إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان ترجعه رجعا، أي تعطيه مرة بعد مرة، والقول الأول هو الأولى"[3].

---

(١) سورة الطارق، الآية [١١].

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٢١٥.

(٣) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح، ج٣١، ص١٣٣.

وقال ابن العربي ﵀: "قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾، فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذات المطر؛ لأنها ترجع في كل عام إلى الحالة التي كانت عليها من إنزال المطر منها، وظن بعض الناس كما بينا أنها ترد ما أخذت من الأرض من الماء؛ إذ السحاب يستقي من البحر، وأنشدوا في ذلك قول الهذلي:

شـــربن بمـــاء البحـــر ثـــم ترفعـــت   متـــى لجـــج خُضْـــرٍ لهـــن نئـــيجُ

يعني السحاب، وهذه دعوى عريضة طويلة، وهي في قدرة الله جائزة، ولكنه أمر لا يعلم بالنظر، وإنما طريقه الخبر، ولم يرد بذلك أثر"(١).

نلاحظ من أقوال أئمة التفسير الآتي:

١- عامة المفسرين، يفسرون الرجع بأنه المطر.

٢- اختلفوا في سبب تسمية المطر بالرجع، فمنهم من يقول: سمي بالرجع لرجوعه إلى الأرض كل سنة، بمعنى كل موسم مطر، وثانيها من ترجيع الصوت.

ثالث تلك الأقوال، وهو المعني بهذا المبحث، أن السحاب تأخذ الماء من البحار ثم ترجعه إلى الأرض بالمطر، وهذا القول هو ما ذكره القنوجي حاكيًا له عن بعض العرب وكأنه يميل إلى تضعيفه، وحكاه الرازي وصحَّح غيره، وذكره ابن العربي وقال بأن ذلك ممكن ولكن طريق معرفة ذلك الخبر ولم يرد خبر، وهو عن طريق النظر غير ممكن.

ومع تطور وسائل النظر في عصرنا، فهل يمكن أن يكون ذلك صحيحًا، ويكون كلام العرب صحيحا؟

---

(١) أحكام القرآن، لـ ابن بكر بن العربي، ج٣، ص٣١٨.

النظرية السائدة اليوم تقول: يتصاعد بخار البحار واليابسة الى السماء فيشكل سحبا تحمل تلك الأبخرة المتصاعدة وقد تحولت قطرات ماء فيحركها الريح إلى حيث أراد الله فتسقط تلك القطرات مطرًا تحي الإنسان والأرض.

وهذه النظرية هي التي سبق القرآن لبيانها في عدة آيات منها هذه الآية ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾، أي ذات المطر الراجع ولا يقال له راجع إلا لكونه خرج من الأرض أولاً كما هو مقتضى اللغة العربية، فلا يقال فلان رجع إلى بلد كذا إلا لكونه موجودًا فيها أولا.

وهذه النظرية التي أكدها الإعجاز العلمي اليوم هي التي أبانها القرآن الكريم قبل الف وأربعمائة سنة.

شرح الدكتور زغلول النجار هذه الآية شرحًا مطولاً وأكد الحقيقة العلمية التي ذكرتها آنفا، قال في نهاية الشرح: "وحينما ترجع أبخرة المياه من الجو إلي الأرض بعد تكثفها يجري قسم منها في مختلف أنواع المجاري المائية علي اليابسة، وتصب هذه بدورها في البحار والمحيطات، كما يترشح جزء منها خلال طبقات الأرض ذات النفاذية ليكون المطر"(١).

وما ذكره الدكتور النجار يتفق عليه عامة علماء الإعجاز من المسلمين، ورحم الله القنوجي وابن العربي، لو أدركا من آلات النظر ما أدركه علماء اليوم لكان تفسيرهم هو تفسير علماء العصر اليوم.

۞۞۞

(١) موقع اللجنة العلمية لنصرة خاتم الأنبياء.

الفصل السادس: **آراؤه اللغوية**

وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منزلته في اللغة العربية.

المبحث الثاني: شعره العربي.

المبحث الثالث : آراؤه في تناوب الحروف.

المبحث الأول: منزلته في اللغة العربية

إن الباحث والدارس لكتب صديق حسن خان ورسائله يرى بوضوح مدى تمكنه وعلو شأنه في اللغة العربية، فهو عربي النسب واللسان، ومما يدل على علو شأنه ورسوخ علمه وتمكنه في اللغة العربية عدة أمور:

أولاً: كثرة مؤلفاته باللغة العربية فقد فاقت الخمسين مؤلفا، مع جودة عالية في السبك والعبارة لا تخفى على ذي لسان عربي.

ثانيًا: مؤلفاته في علوم اللغة العربية، فقد ألَّف في بعض علومها مؤلفات تدل على تبحره وتمكنه الكبير في اللغة العربية، ومما ألفه كتابه البلغة في أصول اللغة، عقد فيه فصولاً تدل على ما قلنا وأسسنا.

وله كتاب العلم الخفاق من علم الاشتقاق، وكتاب لقط القماط على تصحيح ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط، يعالج فيهما مسائل دقيقة من مسائل اللغة العربية، وذلك يدلل على سعة علم واطلاع ولسان فصيح وذهن وقاد.

ثالثًا: ثناء العلماء على فصاحته وعلمه باللغة العربية.

قال عنه العلامة عبد الحي الحسني ﷺ، في كتابه نزهة الخواطر: "محيي العلوم العربية"[(١)].

وقال عنه علامة العراق نعمان الألوسي ﷺ: "البدر المنير البحر الحبر في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة"[(٢)].

---

(١) الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ج٧، ص ١٢٤٦.

(٢) جلاء العينين، ص٥٠.

وللباحث الزبير محمد أيوب رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان صديق حسن خان وجهوده في الدراسات اللغوية.

۞۞۞

المبحث الثاني: شعره العربي

الشعر في سيرة القنوجي هو دليل آخر على سعة علمه واطلاعه باللغة العربية، إذ كيف يستطيع أن ينظم شعرًا عربيًا فصيحًا بألفاظ جزلة ومعان عربية أصيلة لو لم يكن عربي اللسان والحس، وهذه بعض أبياته الشعرية التي ذكرها في تفسيره فتح البيان حيز الدراسة وبعض مؤلفاته الأخرى.

والمتأمل في شعر القنوجي ﷺ يجد له طرفًا من كل نوع، منها في الزهد والورع وربط الضمير بخالقه.

من ذلك قوله:

تفنى السقاة وتفنى الكأس والنادي ... ومن تلاقيه من خل ومن عادي

لا تركنن إلى الدنيا وزهرتها ... يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادي[(١)]

وقوله في آخر كتاب التفسير:

كل يجيء بكسبه وكتابه ... يوم القيامة آخر الأزمانِ

في حضرة الرحمن جل جلاله ... عم الورى بالعفو والغفرانِ

ويجيء هذا العبد وهو مقصر ... بكتابه التفسير فتح بيان[(٢)]

وله في المديح والثناء، وإذا كان أعظم الناس قدرًا وأعلى مرتبة هو رسول الله ﷺ، وهو من يستحق المدح والثناء، فإن القنوجي مع الشعراء المادحين لسيد الخلق وأكرم البشر، أشار لهذه القصيدة من ذكر مؤلفات صديق حسن خان.

وإذا كان القنوجي ﷺ من الرجال الجادين في حياتهم، فله في الحديث والفقه والتفسير، وفي العبادة شغل، إلا أن له في شعره عاطفة وغزل عفيف، على عادة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٢٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٥، ص٤٧١.

الشعراء العرب الذين كانوا يبدأون قصائدهم بذكره ثم يذكرون مقصودهم بعد ذلك، حتى كانوا بين يدي النبي ﷺ يصنعون ذلك ولا ينكر عليهم عليه الصلاة والسلام، من ذلك قصيدة كعب زهير الشهيرة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ   متيم إثرها لم يفد مكبولُ

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغنّ غضيضُ الطرف مكحولُ

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة   لا يشتكي قصر منها ولا طولُ[(1)]

للقنوجي من ذلك قصيدة، ذكرها في كتابه نشوة السكران، يقول في مطلعها:

لله غانية في مهجتي نزلت   مالت إلى الوصل شوقا ثم ما وصلت

طحت بقلبي وضامنتي بلا سبب   يا أيها القوم قولوا كيف ما فعلت

أتحف جوهر قلبي نحو حضرتها   ألقت إلي فما شامت وما قبلت

قد أمنتني وألقتني إلى أسف   بالله يا صاح ما هذا وما فعلت

قامت تودعني والحزن يرهقها   وقمت عانقتها والعين انهملت

جاءت وولت فلا شكوى من دعد   هي الحبيبة إن عادت وإن عدلت

حور الجنان تحاكي حسن عزتنا   في فكرهن ولو أبصرتها خجلت

تلوح في عارضيها صفرة عجب   لعلها من جفاء الصب انفعلت[(2)]

۞۞۞

(١) أخرجها البيهقي في السنن الكبرى، باب من شبب فلم يسم أحدًا لم ترد شهادته، دائرة المعارف النظامية الهندية، ط١، ت١٤٣٣هـ، ج١٠، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) نشوة السكران من صهباء تذكر الغزلان، لـ صديق حسن خان، المطبعة الرحمانية، ط١، ت١٣٣٨هـ١٩٢٠م، ص١٢٤.

المبحث الثالث: آراؤه في تناوب الحروف

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: رأي القنوجي.

من خلال تتبع كلام القنوجي في تفسيره يظهر رأيه بوضوح وأنه ممن يقول بأن الحروف ينوب بعضها عن بعض، موافقا بذلك مدرسة الكوفيين الذين يجوزون ذلك وإليك بعضًا من كلامه في تفسيره يثبت لك منهجه في ذلك.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾(1): "والباء بمعنى في أو هي للملابسة أي حال كونهم متلبسين بسحر"(2).

وقال عند قوله تعالى ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(3): "وإلى بمعنى مع أي مع الله"(4).

وقال عند قوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾(5): " والباء بمعنى عن كقوله ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾"(6).

وعند قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾(7)، ذكر قول الفراء بأن على بمعنى من، قال "وعلى ومن في هذا الموضع يتعاقبان"(8).

---

(١) سورة القمر، الآية [٣٤].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٣، ص٣٠٣.

(٣) سورة الصف، الآية [١٤].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص١٢٥.

(٥) سورة المعارج، الآية [١].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٤، ص٣٠٧، والآية في الإسراء، [٥٩].

(٧) سورة المطففين، الآية [٢].

(٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص١٢٤.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾[1]: "أي أن مع الضيقة سعة، ومع الشدة رخاء ومع الكرب فرجا، وفي هذا وعد منه سبحانه بأن كل عسير يتيسر، وكل شديد يهون، وكل صعب يلين، ومع بمعنى بعد، وفي التعبير بها إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن"[2].

بهذا تبين رأي القنوجي ﷺ في نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، فهو أحيانًا يذكر القول دون ذكر من قال ذلك قبله، وأحيانا يذكر القول دون مناقشته، مما يدل على ارتضائه القول بتناوب حروف الجر بعضها من بعض.

المقصد الثاني: رأي أئمة التفسير.

وقال بالتناوب في بعض المواضع الإمام الطبري، فقد قال عند قوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾[3]: "سأل عن عذاب واقع"[4].

وعند قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾[5]: "قول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حق، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيًا، و"على" و"من" في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل: اكتلت منك، يراد: استوفيت منك"[6].

(١) سورة الشرح، الآية [٥].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٢٩٣.

(٣) سورة المعارج، الآية [١].

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١١، ص٨٨.

(٥) سورة المطففين، الآية [٢].

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥، ص٤٣٢.

وهو صنيع ابن عطية ﷺ في تفسيره المحرر الوجيز، حيث قال في الآية السابقة من سورة المطففين ﴿ ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾: "معناه قبضوا منهم"(١).

وإذا كان القنوجي قد سار على خطى بعض المفسرين موافقًا لهم في القول بتناوب الحروف، إلا أن مفسرين آخرين رغبوا عن القول بالتناوب، وجعلوا ذلك من باب التضمين، ومن هؤلاء المفسرين، الإمام ابن العربي، والألوسي، وابن عاشور.

يقول الطاهر ابن عاشور ﷺ في قوله تعالى ﴿ ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾: "إدماج، مسوقة لكشف عادة ذميمة فيهم هي الحرص على توفير مقدار ما يبتاعونه بدون حق لهم فيه، والمقصود الجملة المعطوفة عليها وهي جملة: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾(٢)، فهم مذمومون بمجموع ضمن الجملتين"(٣).

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾(٤): "الفاء فصيحة تفصح عن كلام مقدر يدل عليه الاستفهام التقريري هنا، أي إذا علمت هذا وتقرر، تعلم أن اليسر مصاحب للعسر، وإذ كان اليسر نقيض العسر كانت مصاحبة اليسر للعسر مقتضية نقض تأثير العسر ومبطلة لعمله، فهو كناية رمزية عن إدراك العناية الإلهية به فيما سبق، وتعريض بالوعد باستمرار ذلك في كل أحواله"(٥).

فقد حاد عن القول بالتناوب، وقال بالتضمين كما هو واضح من كلامه.

---

(١) المحرر الوجيز، ج٨، ص٥٥٧ .

(٢) سورة المطففين، الآية [٣].

(٣) التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٩٠.

(٤) سورة الشرح، الآية [٥].

(٥) التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٤١٣.

ونحا هذا النحو قبله ابن العربي ﷺ في تفسيره، وكذا الألوسي ﷺ في تفسيره روح البيان، ولست هنا قاصدا حشد الأمثلة ومناقشتها، غير أني قصدت تبيين منهج القنوجي ﷺ في هذا الباب، وأن من أئمة التفسير من وافقه ومنهم من خالفه.

المقصد الثالث: رأي الباحث.

الكوفيون والبصريون لقبان على مدرستي النحويين، ولكل مدرسة رأي في بعض مسائل اللغة، من ذلك مسألة تناوب حروف الجر، فمدرسة الكوفة تجيزها، ومدرسة البصرة تمنعها، ولهاتين المدرستين متأثرون من المفسرين، فمن نحا نحو أهل الكوفة قال بالتناوب، وهم بين متوسع فيه ومتوسط، ومن مال إلى البصريين قال بالتضمين وحاد عن التناوب وهم فيه كذلك بين متوسع ومقتصد.

قال الدكتور زيد عمر عبد الله: "أغفل الرواد الأوائل ممن يمكن أن نسميهم مفسري النحاة التضمين في دراستهم للنص القرآني مثل: الأخفش الأوسط والفراء وابن قتيبة مكتفين بتوجيه النص في ضوء تناوب الحروف، ولقد تأثر بهم كثير من المفسرين فعلى الرغم من حضور أسلوب التضمين في تفسيرهم وحمل كثير من النصوص عليه إلا أنه لم يكن ذا ميزة أو مقدما عند كثير منهم على تناوب الحروف بل إنهم أغفلوا كثيرًا من الآيات التي يمكن حملها بلا تكليف على أسلوب التضمين.

إن شيخ المفسرين الطبري وجه عددًا من الآيات في ضوء أسلوب التضمين لكنه لم يقدمه على القول بتناوب الحروف وابن كثير الذي استحسن القول بالتضمين في مواضيع أغفله في مواضيع أخرى"[(١)].

(١) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد ٤٩ سنة ٢٠٠٢، جامعة الكويت.

وللدكتور محمد نديم فاضل بحث عنوانه "التضمين النحوي في القرآن" وهو أجمل ما وجدته في هذا الموضوع، وقد دافع عن أسلوب التضمين، وجعل القول بتناوب الحروف هروبًا من أسلوب التضمين الذي يميز اللغة العربية.

ومما قاله في هذا الباب: "والتضمين مفتاح من مفاتيح اللغة الشريفة، وسر من أسرارها، يفتر عن بديعه، ويفضي إلى لطيفه، وهو من طريف ما استودعته هذه اللغة نجواها؛ لأنه أذهب للإيجاز وأجمع لخصائص الصنعة، وفيه من الإيماء والتلويح ما ليس في المكاشفة والتصريح وذلك أحلى وأعذب".

"والذين عطلوه في الفعل أو مشتقه وجعلوه في الحروف وأن بعضها ينوب عن بعض هكذا بلا مسوغ ولا دليل يدعونه أو ينتحلونه، نزُرت من معرفة الحقيقة حظوظهم، وتخلفت عن الإحاطة بها خواطرهم، وركبهم جهل في الرأي، وإفحاش في الصنعة، واعتداء على طبيعة هذه اللغة"(١).

ويرجح قول القائلين بالتضمين أمور:

أولاها: القائلون بجواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض بتوسع، لا يتوسعون في الأفعال، وهو ما انتقده عليهم الإمام الزركشي ﷬ في كتاب البرهان، بعد أن ذكر القولين، قال: "وذهب المحققون إلى أن التوسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى لتضمنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف أولى؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر"(٢).

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم، لـ د. محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ت ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٠-٢١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٣٨.

ثانيها: أن القول بالتضمين هو ترجيح أئمة التفسير على رأسهم شيخ أئمة التفسير ابن جرير الطبري، فقد قال في تفسيره متحدثا عن الحرف "إلى" في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾(١)، بعد ذكر الأقوال وترجيح قول منها بقوله: "وهذا القول عندي أولى بالصواب؛ لأن لكل حرف من حروف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها، ولـ "إلى" في كل موضع دخلت من الكلام حكم، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها"(٢).

قال ابن تيمية ﷀ: "والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾(٣)، أي مع نعاجه و قوله تعالى ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(٤) ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ﴾(٥)، أي مع الله، ونحو ذلك، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين"(٦).

وناقش ابن القيم ﷀ موضوع التضمين في كتابه بدائع الفوائد، قال: "وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة (طريقة تناوب الحروف) بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدى به معناه، هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه ﷀ تعالى وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام

(١) سورة البقرة، الآية [١٤].

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص٢٣٠.

(٣) سورة ص، الآية [٢٤].

(٤) سورة آل عمران، الآية [٥٢].

(٥) سورة الصف، الآية [١٤].

(٦) مقدمة في أصول التفسير، لـ ابن تيمية، ص٢٤-٢٥.

الحرف وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن"[1].

ثالثها: القول بالتضمين يفيد معنيين، بخلاف القول بالإبدال فلا يفيد إلا معنى واحدًا، وهو يدل على إعجاز القرآن وتحديه للفصحاء والبلغاء.

لكن هذا الأسلوب البياني الراقي، والإعجاز القرآني البديع ليس بابًا يلجه من لا يحسنه، ويتشبع به من لا يملكه، فللباب أهل يفتحونه بمفاتيح العلم والمعرفة، وأجدني مضطرًا لختم مبحثي الذي لم أرد من خلاله بحث مسائله بتفصيل، أو حشد أدلته بتوسع، وإنما إيضاح رأي القنوجي فيه، وصواب القول فيه، بحسب ما يختاره باحث لا بد له من اختيار وترجيح، بكلام لأحد بلغاء العربية حيث يقول "وهذا التضمين فن رفيع من فنون الإيجاز في البيان، وهو لا يخضع لقواعد الاستعمالات العربية الجامدة التقليدية، التي قد يتقيد بها النحاة، بل هو لمح ابتكاري يلاحظه البليغ، إذ يرى فعلين متقاربين، أو نحوهما، وهو يريد استعمال كل منهما في كلامه، وهذا يقتضي منه أن يصوغهما في جملتين، ويعطي كلا منهما تعديته التي تلائمه، لكنه يرى ما هو أبدع من ذلك وأخصر، وأرفع أسلوبًا في أداء بياني جميل، يحرك ذهن المتلقي لفهمه، ويعجب لماحي الذكاء من البلغاء، وهو أن يختار أحد الفعلين بفنية، فيذكره بلفظه، ثم يأتي بما يتعدى إليه الفعل الآخر، أو يعمل فيه، فيذكره، ويحذف معمول الفعل الذى ذكره، إذا كان له معمول، سواء أكان مفعولاً به، أم غير ذلك، ويستغني بذكر جملة واحدة عن جملتين"[2].

۞۞۞

(١) بدائع الفوائد، لـ ابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٤.

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لـ عبد الرحمن حبنكه الميداني، دار القلم دمشق، ط١، ت ١٤١٦هـ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٩-٥٠.

الخاتمة

وشملت أهم النتائج والتوصيات

أهم النتائج والتوصيات

وبعد هذا التطواف والبحث في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لمؤلفه صديق حسن القنوجي، من سورة الذاريات وحتى سورة الناس، وقد فسر هذه الأجزاء الأربعة في مجلدين ونصف فيما يقرب من ألف ومائتي صفحة، وقفت من خلالها على آراء القنوجي ﵀ ومقارنتها بآراء وأقوال أئمة التفسير، فيسرني في نهاية هذا البحث أن أسجل بعض النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

١- لقد أنتج لنا علماؤنا المسلمون في الهند تراثًا ضخمًا في العلوم الإسلامية كافة، منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو بغيرها، وهذا التراث العظيم لم يلق حقه من الباحثين العرب، إما تحقيقًا وإخراجًا، أو دراسة ومناقشة، أو ترجمة، مما يجعل الناظر في تلك الكنوز يتمنى لو ظهر بريق نور علمها، وزال الغطاء عن شعاع لآلئها، وهذا هو دور الدارسين والمحققين والجامعات العربية.

٢- من هؤلاء النجوم السيد صديق حسن خان القنوجي ﵀، الذي عاش مجاهدًا ومصلحًا، و خلف تراثًا ضخمًا ينتظر من الباحثين العرب إخراجه ليكون في متناول القارئ العربي.

٣- تفسير فتح البيان يدل على سعة علم مؤلفه واطلاعه، ومناقشاته تدل على قدرته العالية على تحرير أقوال العلماء، وتدفع عنه تهم الحاسدين بالسرقة أو نسبة الكتب إليه، وهي تهم تبطل عند النظر في تراثه الضخم الذي تركه للأمة، وبشهادات العلماء المحققين له.

٤- سعة علمه وقوة إدراكه وارتباطه بمدرسة أهل الحديث واتصاله بحركات التحرر مثل دعوة محمد بن عبد الوهاب ﵀، واطلاعه على كتب ابن تيمية وتلميذه

ابن القيم، ومدرسة الإمام الشوكاني، كل هذه الأسباب وغيرها جعلته يتحرر من قيد التقليد الجامد الذي لا يقبل الجديد، كما هي عادة أهل عصره.

٥- في تفسير فتح البيان سار على خطى بعض المفسرين الذين يلتزمون التفسير بالمأثور، بحيث يفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين.

٦- نقَّى تفسيره من كثير من الإسرائيليات والكلاميات والجدليات التي لا صلة لها بتفسير كتاب الله تعالى، وإن كان قد وقع منه شيىء من ذلك لكنه قليل جدا.

٧- اقتفى أثر سلف هذه الأمة في إثبات العقيدة، فأثبت صفات الله تعالى على الوجه الذي يثبته أئمة الهدى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تجسيم، ويرد على الفرق التي ابتدعت في الدين بدعًا خالفت به منهج أهل السنة، كبدعة الخوارج المكفرين بالكبيرة، وبدعة المرجئة، والقدرية الجبرية، والقدرية النفاة.

٨- دافع عن أصحاب رسول الله ﷺ وأثبت لهم مكانهم اللائق بهم، ورد على الطاعنين في صحابة رسول الله ﷺ.

٩- لم يلتزم صديق حسن خان مذهبًا فقهيًا معينًا في مسائل الفقه التي ناقشها، فهو ينحو نحو مدرسة ابن تيمية والشوكاني، فيذكر الأقوال ويرجح ما يراه موافقًا للدليل من وجهة نظره.

١٠- بالغ رحمه الله في النكير على المقلدة، وشنع عليهم، وأبطل حجية الإجماع والقياس، متأثرًا بمدرسة أهل الظاهر، وعلى رأسهم ابن حزم الظاهري.

١١- أثبت عقيدة أهل السنة في السحر، وأقر حديث تأثير السحر في بدن النبي ﷺ.

١٢- رد التفسير الفلسفي الذي لا يعتمد على قواعد التفسير المعتبرة عند أهله، وإن كان قد وقع منه نقل لبعض مقولات القوم لكنه قليل جدا.

١٣- حارب العادات والتقاليد التي غزت المسلمين من غيرهم كاحتقار الفقراء، وترك الزواج بالمطلقات، وكان قدوة في ذلك لغيره.

١٤- لم يرتض الرضوخ للاستعمار ولا القبول ببيع وطنه وأمته، رغم محاولة الاستعمار استمالته، من خلال خلع بعض الألقاب عليه، لكن ذلك لا يساوي في قانون مبادئ صديق حسن حسن خان شيئا.

١٥- عمل على نشر العلم وتشجيع طلابه واستقدم العلماء من اليمن وأكرمهم، ورصد لمن يكتب بحثًا نافعًا جائزة مقابل بحثه، ورد على أقوال المنصرين المستعمرين وأذنابهم من المسلمين.

١٦- ذكر القراءات القرآنية في تفسيره، لكنها بحاجة إلى إفراد ببحث مستقل يبين فيه الشاذ من المتواتر، فكثيرًا ما يورد القراءات دون نسبة تلك القراءة ولا بيان درجتها.

١٧- يرى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، موافقًا بذلك جمهور المفسرين والأصوليين.

١٨- يقر القول بالحروف الزائدة في القرآن الكريم، لكنه لا يقره في مواضع أخرى، والقول بالحروف الزائدة مخالف للراجح من أقوال أئمة التفسير والبلاغة واللغة.

١٩- رد قول القائلين بفناء النار، وذكر الأدلة على ذلك.

٢٠- لصديق حسن خان قدم راسخة وعلو كعب في اللغة العربية، يدل على ذلك كثرة كتاباته باللغة العربية، وثناء العلماء عليه، وشعره العربي.

٢١- يجوز القول بتناوب الحروف، ويقول بالتضمين، لكن الغالب عليه هو القول بالتناوب، على الرغم من أن القول بالتضمين هو الأوفق والمقدم.

ثانياً: التوصيات

أوصي طلاب العلم والباحثين بالآتي:

١- الالتفات لكتب علماء الأمة من غير العرب، فقد تركوا تراثا ضخما، يحتاج إبرازا وتنقيحا.

٢- تقديم ما حقه التقديم من الكتب المتعلقة بكتاب الله تعالى، فهي أولى ما ينبغي العناية به وخدمته وإخراجه.

٣- حث الجهات والشخصيات القادرة على ترجمة كتب علماء أهل السنة ليعم نفعها وتدارسها بين طلبة العلم والباحثين كل بلغته التي يحسنها.

٤- الدفاع عن علماء الأمة، ورد الشبه التي بثها الاستعمار وعملاؤه لتشويه تراثهم وصد الجيل عن الانتفاع بها، ومن هؤلاء صديق حسن خان القنوجي، الذي ناله كثير من هذه الشبه، كسرقة كتب الآخرين ومؤلفاتهم ونسبتها لنفسه، ولا يزال لمثل هذه الشبه رواج عند من قصر باعه عن البحث عن حقيقة قدرات ومؤهلات هذا العلم الشامخ.

٥- الاستفادة من تراث علماء الهند السنة الذين واجهوا الاستعمار والفرق الضالة في آن واحد، وهو ما يريد الاستعمار اليوم تنفيذه من جديد وخاصة في البلاد العربية.

٦- بثّ روح التكامل لدى الأمة كلها بصرف النظر عن لغاتها، وهو ما صنعه صديق حسن خان باستقدامه بعض علماء اليمن واختلاطهم بعلماء الهند وطلبة العلم وحصل بذلك نفع كبير.

٧- تقديم النصح والإرشاد لمن وقع في خطأ علمي، فقد يكون له عذر مقبول من عزو أو تأويل أو نية لمراجعته، والتماس العذر للعلماء سمة عامة عند المتقدمين، وهو ما ينبغي أن يسود الوسط العلمي اليوم.

٨- التصدي بكل حزم وشدة لكل فكرة مخالفة لمعتقدات المسلمين، والمشوهه لصفاء المعتقد والسلوك، وإطفائها في بدايتها، قبل انتشارها ورواجها.

٩- دعوة الجامعات في الهند وباكستان لترجمة تراث العلماء في شبه القارة الهندية، وتقديمها للباحثين العرب للاستفادة منهاودراستها.

۞۞۞

الفهارس العامة

أولاً: فهارس الآيات

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٤	﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾	يوسف	٦٩	٩٦
١٥	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾	الرعد	٣	٢٧٩
١٦	﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾	الحجر	٤٧	أ
١٧	﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	الحجر	٩٤	٢٦٣
١٨	﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	الحجر	٩٤	٢٦٣
١٩	﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾	الإسراء	٤٧	٢٧١
٢٠	﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	الإسراء	٥٩	٢٩٥
٢١	﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾	الإسراء	٧٩	٥٥
٢٢	﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾	الإسراء	١٠٦	ك
٢٣	﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾	الكهف	٦٥	٣٦
٢٤	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾	الكهف	٨٦	٢٧٩
٢٥	﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾	طه	٦٦	٢٦٦

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٦	﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾	طه	٦٩	٢٧٢
٢٧	﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾	المؤمنون	٤٠	٩٦
٢٨	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾	الفرقان	٢	١٧٥
٢٩	﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	الفرقان	٦٨	٦٦
٣٠	﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	الشعراء	٢١٤	٧٦
٣١	﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾	النمل	٧٢	٩٤
٣٢	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	القصص	٨٨	١٦٩
٣٣	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	فاطر	٣٢	ج
٣٤	﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الصافات	١٨٠- ١٨٢	١٦٨
٣٥	﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾	ص	١١	٩٦
٣٦	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾	ص	٢٤	٣٠٠
٣٧	﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾	ص	٧٥	١٦٤
٣٨	﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	الزمر	٦٤-٦٦	٧٦

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٩	﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	غافر	٥٨	٩٥
٤٠	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾	الشورى	١١	١٥٨، ١٦٣، ١٦٨
٤١	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	الذاريات	١٥	٢٠٨
٤٢	﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾	الذاريات	١٧	٩٤
٤٣	﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾	الذاريات	٢٠	٢٧٦
٤٤	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾	الذاريات	٥٤	٤٢، ٤٣، ٤٦
٤٥	﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الذاريات	٥٥	٤٥
٤٦	﴿ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾	الطور	٣	١٢٥
٤٧	﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	النجم	٢٩	٤٦، ٤٣
٤٨	﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾	النجم	٣٢	١٣٩، ٢٠٣

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٩	﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾	النجم	٤٣	١٧٣
٥٠	﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾	الواقعة	٧٩	٢٢١
٥١	﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾	القمر	١	١٠٥
٥٢	﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾	القمر	٣	١٢٤
٥٣	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾	القمر	٦	٤٤
٥٤	﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾	القمر	٣٤	٢٩٥
٥٥	﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾	القمر	٤٤–٤٦	١٣٩
٥٦	﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	القمر	٤٩	١٢٦، ١٧٣، ١٧٥
٥٧	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾	القمر	٥٤	١٢٦
٥٨	﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾	الرحمن	١٩	٢٨١، ٢٨٢

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٩	﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾	الرحمن	٢٠	٢٨١، ٢٨٢
٦٠	﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	الرحمن	٢٧	١٦١، ١٦٤
٦١	﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	الرحمن	٢٨	٢٠٨
٦٢	﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	الرحمن	٢٩	١٤٠
٦٣	﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾	الرحمن	٣٠	١٤٠، ١٤١
٦٤	﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾	الرحمن	٦٨	٢١٨
٦٥	﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾	الواقعة	١٣-١٤	١٤٢
٦٦	﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾	الواقعة	٧٤	٨٥
٦٧	﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾	الواقعة	٨١	١٤٢
٦٨	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾	الواقعة	٨٢	١٤١، ١٤٢
٦٩	﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾	الواقعة	٩٤	٢٠٣

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٠	﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾	المجادلة	٧	١٤٣
٨١	﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾	المجادلة	١٣	٤٧، ٤٨
٨٢	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	الحشر	٤	١٢٤
٨٣	﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	الحشر	٥	٦٩
٨٤	﴿ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا ﴾	الحشر	٦	٨٩
٨٥	﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	الحشر	٧	٤٩
٨٦	﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾	الحشر	٨	٢٣٥
٨٧	﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾	الحشر	١٠	١٨٤
٨٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾	الممتحنة	١	١٢٥، ٢٠٣

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٦	﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾	الملك	١٦	١٦٣
١٠٧	﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾	الملك	٢٣	٩٥
١٠٨	﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴾	القلم	٦	٨٨
١٠٩	﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾	القلم	٣٣	١٤٥
١١٠	﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾	القلم	٤٢	١٦٤
١١١	﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾	القلم	٤٧	١٤٥
١١٢	﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴾	الحاقة	٣٨	٩١
١١٣	﴿ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾	الحاقة	٤١	٩٥
١١٤	﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾	المعارج	١	٨٦، ٢٩٥، ٢٩٦
١١٥	﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾	المعارج	٤	١٣٢

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١١٦	﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾	المعارج	٤٠	٩١
١١٧	﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾	نوح	٢٥	٩٦
١١٨	﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾	الجن	١٣	١٩٧
١١٩	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾	الجن	٢٠	٧٢
١٢٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾	المزمل	١	٥٣، ١٤٦
١٢١	﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾	المزمل	٢-٤	٥٣
١٢٢	﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	المزمل	٦	١٤٥
١٢٣	﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	المزمل	١٠	٥٦
١٢٤	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾	المزمل	٢٠	٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ١٤٦

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٢٥	﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾	المدثر	٣٠	٧٢، ٧٣
١٢٦	﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾	المدثر	٣١	١٧٩
١٢٧	﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ ﴾	القيامة	١-٢	٩١
١٢٨	﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾	القيامة	١٦-١٨	٧٣
١٢٩	﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾	القيامة	٢٢-٢٣	١٨٨، ١٨٩، ١٩٠
١٣٠	﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴾	القيامة	٣٤-٣٥	٩٣
١٣١	﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾	الإنسان	٦	٨٦
١٣٢	﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴾	الإنسان	١٦	١٢٣
١٣٣	﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴾	الإنسان	٢٠	٧٤
١٣٤	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾	الإنسان	٢٣	١٤٦، ١٤٧

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٣٥	﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾	الإنسان	٢٤	٥٨
١٣٦	﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾	النبأ	١٩	١٢١
١٣٧	﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾	النبأ	٢٣	٢٠٨
١٣٨	﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾	النبأ	٣٠	٢٠٨
١٣٩	﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴾	النازعات	١٠	١٢٧
١٤٠	﴿ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴾	النازعات	١٩	١٠٣
١٤١	﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾	النازعات	٣٠	٢٧٧، ٢٧٩
١٤٢	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾	عبس	١	٧٥
١٤٣	﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴾	التكوير	٨	١٢٧
١٤٤	﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾	التكوير	١٥	٩٢
١٤٥	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾	المطففين	١	١٤٧
١٤٦	﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾	المطففين	٢	٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٤٧	﴿ ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾	المطففين	٣	٢٩٧
١٤٨	﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	الانفطار	٨	٩٧
١٤٩	﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾	المطففين	١٨	١٣٣
١٥٠	﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾	المطففين	٢٨	٨٧
١٥١	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾	المطففين	٢٩	١٤٧
١٥٢	﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾	الطارق	١١	٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩
١٥٣	﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾	الطارق	١٧	٥٩
١٥٤	﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾	الأعلى	١	١٤٨، ١٧٥
١٥٥	﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	الأعلى	٢–٣	١٧٥
١٥٦	﴿ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾	الغاشية	٢٠	٢٧٧
١٥٧	﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴾	الغاشية	٢٥	١٢٦

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٥٨	﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾	الفجر	٣	١٠٦
١٥٩	﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾	الفجر	٢٢	١٦٥
١٦٠	﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾	البلد	١	٩٣
١٦١	﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾	البلد	٣	١٠٧
١٦٢	﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴾	البلد	٦	١٢٤
١٦٣	﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾	الشرح	٥	٢٩٦، ٢٩٧
١٦٤	﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾	التين	١	١٠٧
١٦٥	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾	العلق	١	١٤٥
١٦٦	﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾	الليل	٧-١٠	١٧٤
١٦٧	﴿ لَمۡ يَكُنِ ﴾	البينة	١	١٥٠
١٦٨	﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾	الزلزلة	٥	٨٧
١٦٩	﴿ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴾	العاديات	٥	١٢٤
١٧٠	﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴾	الهمزة	٢	١٢٢

ثانياً: فهرس الأحاديث

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	الصفحة
١١٠	محمد عبد العظيم الزرقاني	٦٣
١١١	محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الطائي، الحاتمي، المرسي، ابن العربي	٢٠٥
١١٢	مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن عبد القادر الرافعى	٨١
١١٣	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخى	٥٥
١١٤	مكي بن أبي طالب حَمّوش	٤٧
١١٥	منصور بن الحسن العماد القرشى العدوى العمرى الكازرونى	١٤٠
١١٦	منصور بن محمد السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي	٤٩
١١٧	نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي	١٥٨
١١٨	نواب شاه جهان بيكم	٢٩
١١٩	هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي	١٩٣
١٢٠	وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري	١٣٠
١٢١	وهبة بن مصطفى الزحيلي	٥٦
١٢٢	يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي	٧٩
١٢٣	يحيى بن شرف بن مري الحوراني، النووي الشافعي	١٧٣
١٢٤	يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف	٢١٨
١٢٥	يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي المالكي	١١٤

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المباشرة:

١- **الإباضية بين الفرق**، لـ علي يحي معمر، طبعة وزارة التراث القومي والثقافي سلطنة عمان، ط٣، ت١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢- **أبجد العلوم**، لـ صديق حسن خان، منشورات دار الثقافة والإرشاد القومي دمشق- دار الكتب العلمية، ط١ ت١٣٠٧هـ، ١٨٨٩م.

٣- **الإتقان في علوم القرآن**، لـ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤- **إتمام الأعلام**، لـ د نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر بيروت، ط١، ت١٩٩٩م.

٥- **أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية**، لـ خادم الهي بخش، (رسالة دكتوراة جامعة أم القرى، ت ١٤٠٤-١٤٠٥هـ).

٦- **الإجماع**، لـ لابن عبد البر، تحقيق: فؤاد الشلهوب وعبد الوهاب الشهري، دار القاسم.

٧- **أحكام القرآن**، لـ أبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط٣، ت١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

٨- **إذا هبت ريح الإيمان**، لـ أبي الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، ط١، ت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٩- **إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل**، لـ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ت١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

١٠- **الأسماء والصفات**، للبيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي.

١١- **الإشراف على مذاهب العلماء**، لـ ابن المنذر، تحقيق: د. صعير الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، ط١، ت١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

١٢- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لـ الحافظ بن حجر، تحقيق: عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية، ط١، ت١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لـ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق بكر ابو زيد، دار عالم الفوائد، ط١.

١٤- **الاعتبار ببقاء الجنة والنار**، لـ تاج الدين السبكي.

١٥- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، لـ مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٩، ت١٣٩٣هـ١٩٧٣م.

١٦- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي الدمام، ط١ ت١٤٢٣هـ.

١٧- **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** لـ عبد الحي الحسني، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٨- **الأعلام**، لـ خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط٥، ت٢٠٠٢م.

١٩- **أفعال العباد عند الفرق الإسلامية**، لـ د سعد عبد الله عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة العدد الثاني.

٢٠- **إنباء الغمر بأنباء العمر**، لـ الحافظ بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، ط١، ت١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٢١- **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه**، لـ لمكي ابن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار المنارة جدة، ط١، ت١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٢٢- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، لـ النسفي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٢٣- **البداية والنهاية**، لـ الإمام بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ت١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٢٤- **بدائع الصنائع**، للكاساني، دار الكتب العلمية، ط٢، ت١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٢٥- **بدائع الفوائد**، لـ ابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.

٢٦- **البدر الطالع لمن بعد القرن السابع**، لـ محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي.

٢٧- **البرهان في علوم القرآن**، لـ بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، مكتبة دار التراث القاهرة، ط٣، ت١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٢٨- **البعث**، للبيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١، ت١٤٠٦هـ ١٩٦٨م.

٢٩- **بلاد الهند في العهد الإسلامي**، لـ عصام الدين الفقي، عالم الكتب، ط١، ت١٩٨٠م.

٣٠- **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، لـ عبد الرحمن حبنكه الميداني، دار القلم دمشق، ط١، ت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣١- **التاج المكلل في مآثر الطراز الآخر والأول**، لـ صديق حسن خان، وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٢٨هـ٢٠٠٧م، ص٢٨٤.

٣٢- **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية**، لـ أحمد الساداتي، مكتبة الآداب، ط١.

٣٣- **تبسيط العقائد الإسلامية**، لـ حسن أيوب، دار الندوة الجديد.

٣٤- **التحرير والتنوير**، لـ لابن عاشو، الدار التونسية للنشر، ط١، ت١٩٨٤م.

٣٥- **تذكرة الحفاظ**، لـ الذهبي، دار الكتب العلمية، ط٣.

٣٦- **ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان**، لأبي الحسن الندوي، مجمع الإمام أحمد بن عرفان، ط٢، ت١٤٢٠هـ.

٣٧- **تشنيف المسامع على جمع الجوامع**، لـ الإمام الزركشي، تحقيق: أبي عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

٣٨- **التضمين النحوي في القرآن الكريم**، لـ د محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع المدينة المنورة، ط١، ت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٩- **التعليقات الرضية على الروضة الندية**، لـ محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن القيم الرياض، ودار ابن عفان القاهرة، ط١، ت١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٠- **تفسير ابن عطية**، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين، مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ت١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٤١- **تفسير البغوي**، دار طيبة للنشر، ط، ت ١٣١٢هـ.

٤٢- **تفسير الفخر الرازي** المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار الفكر بيروت، ط١، ت١٤٠١٩هـ١٩٨١م.

٤٣- **تفسير القرآن العظيم**، لـ لإمام ابن كثير، مؤسسة الريان بيروت، ط٢، ت١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٤٤- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، لـ د وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، ط١١، ت١٤٣٢هـ٢٠١١م.

٤٥- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لـ محمد سيد طنطاوي، الرسالة القاهرة، ط٤، ت١٤٠٨هـ١٩٨٧م.

٤٦- **التفسير والمفسرون**، لـ محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، ط١، ت ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٤٧- **التمهيد لما في الموطا من المعاني والأسانيد**، لـ لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، ط١، ت١٣٨٧هـ١٩٦٧م.

٤٨- **توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين**، لـ مرعي بن يوسف الحنبلي، تحقيق: خليل بن عثمان السبيعي، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٤٩- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لـ لابن جرير الطبري، تحقيق: إسلام الحمد، دار الحديث بالقاهرة، ط١، ت١٣١هـ٢٠١٠م.

٥٠- **جامع بيان العلم وفضله**، لـ ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيثري، دار ابن الجوزي السعودية، ط ١، ت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥١- **الجامع لأحكام أصول الفقه المسمى حصول المأمول من علم الأصول**، لـ صديق حسن خان، أحمد مصطفى الطهطاوي وعطية العكاوي، دارالفضيلة القاهرة.

٥٢- **الجامع لأحكام القرآن**، لـ القرطبي، تحقيق د عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة (مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية) ط١، ت١٤٣٤هـ٢٠١٣م.

٥٣- **الجامع لأحكام وأصول الفقه**، لـ صديق حسن خان، تحقيق: أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة القاهرة.

٥٤- **جلاء العينين لمحاكمة الأحمدين**، لـ نعمان الألوسي، المكتبة العصرية، ط١.

٥٥- **جهود مخلصة لخدمة السنة**، لـ عبد الرحمن الفريوائي، مطبوعات الجامعة السلفية بالهند، ط١، ت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٥٦- **جواهر الإكليل**، لـ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، المكتبة الثقافية بيروت.

٥٧- **حاشية السندي على المسند**، طبع وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

٥٨- **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، لـ صديق حسن خان، دار الجيل الجديد، ط١.

٥٩- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لـ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بالقاهرة، ط١، ت١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

٦٠- **دراسات في علوم القرآن**، لـ د فهد الرومي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١٤، ت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٦١- **الدعوة السلفية في الهند**، لـ عبد الوهاب خليل الرحمن (رسالة دكتوراة جامعة أم القرى) ت١٤٠٦هـ.

٦٢- **دولة المغول والتتار**، لـ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار الأندلس الجديدة، ط١، ١٤٣٠ت هـ - ٢٠٠٩م.

٦٣- **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، ط٢، ت١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٦٤- **ديوان محمد إقبال**، لـ سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٦٥- **ذخر المحتي من آداب المفتي**، لـ صديق حسن خان، تحقيق: أبي عبدالرحمن الباتني، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦٦- **الرحيق المختوم**، لـ صفي الرحمن المبارك فوري، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٦٧- **الرد على من قال بفناء النار**، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالله السمهري، دار بلنسية.

٦٨- **ردود أهل العلم على الطاعنين على حديث السحر**، لـ مقبل الوادعي، دار الآثار، ط٢، ت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٩- **رسالة التوحيد**، لـ اسماعيل الدهلوي، ترجمة وتقديم: أبي الحسن الندوي، مكتبة ندوة العلماء، لكهنؤ، ط١، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٧٠- **رسالة أول ما خلق الله وإثبات كروية الأرض ودورانها**، للألباني، جمع د. شادي آل نعمان، مركز البحوث والدراسات وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، صنعاء.

٧١- **رسالة في علوم القرآن**، لـ ابن تيمية، تحقيق: علي بن أحمد الكندي، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، ط١، ت١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧٢- **رسائل ودراسات في الأهواء والفرق**، لـ د عبد الكريم العقل، دار الوطن، ط ٢، ت١٤٢٣هـ٢٠٠٢م

٧٣- **رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار**، لـ ابن الأمير الصنعاني، تحقيق: الألباني، طبع المكتب الإسلامي.

٧٤- **الرفع والتكميل في الجرح والتعديل**، لـ عبد الحي اللكنوي، مكتبة ابن تيمية، مقدمة عبد الفتاح أبو غدة.

٧٥- **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، لـ محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٧٦- **زاد المسير في علم التفسير**، لـ لابن الجوزي، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ت١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٧٧- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لـ ابن القيم، مؤسسة الريان بيروت، ط٣، ت١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٧٨- **سد الذرائع وتحريم الحيل**، لـ ابن القيم.

٧٩- **السراج الوهاج**، لـ صديق حسن خان، تحقيق: عبد الله الأنصاري، طبع الشئون الدينية بدولة قطر.

٨٠- **سنن ابن حبان**، تحقيق: الألباني، دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٨١- **سنن ابن ماجه**، تحقيق: مشهور آل سليمان، مكتبة دار المعارف، ط١، ت١٤١٧هـ.

٨٢- **سنن الترمذي**، تحقيق: شعييب الأرنؤوط – عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ت١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٨٣- **سنن الدارقطني**، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسن شلبي وسعيد اللحام، ط١، ت١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٨٤- **السنن الكبرى**، للنسائي، تحقيق: حسن شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ت١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٨٥- **السنن الكبرى**، للبيهقي، دائرة المعارف النظامية الهندية، ط١، ت١٤٣٣هـ.

٨٦- **السيد صديق القنوجي آراؤه الاعتقادية موقفه من عقيدة السلف**، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة أم القرى، ت ١٤٠٧-١٤٠٨هـ.

٨٧- **سير أعلام النبلاء**، لـ الذهبي، تحقيق د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة

٨٨- **السيرة النبوية الصحيحة**، لـ د أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السنة والسيرة "جامعة قطر"، ط٦، ت١٤١١هـ١٩٩١م.

٨٩- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، لـ د مهدي رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ط١، ت١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٩٠- **شخصيات وكتب أثرت في حياتي**، لـ أبي الحسن الندوي، دار القلم سوريا، ط١، ت١٤١٠هـ١٩٩٠م.

٩١- **شذرات الذهب**، لـ لابن العماد، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، ط١، ت١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٩٢- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، للالكائي تحقيق: د. أحمد بن سعيد الغامدي، دار طيبة، ط٤، ت١٤١٦هـ١٩٩٥م.

٩٣- **شرح العقيدة الطحاوية**، لـ لابن أبي العز، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٩، ت١٤١٧هـ١٩٩٦م.

٩٤- **شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، لابن رشد الحفيد، تحقيق: د. عبدالله العبادي، دار السلام القاهرة، ط١، ت١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٩٥- **صحيح البخاري**، دار بيت الأفكار، ط١، ت١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٩٦- **صحيح مسلم ابن الحجاج بشرح النووي**، المطبعة المصرية بالأزهر، ت١٣٤٧هـ١٩٢٩م.

٩٧- **صحيح مسلم**، طبعة وزارة الأوقاف القطرية.

٩٨- **صديق حسن خان ومنهجه في كتابه فتح البيان**، لـ محمود محمد الحنطور، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الاسكندرية، ت١٤١٦هـ١٩٩٥م.

٩٩- **طبقات الحفاظ**، لـ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١، ت١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٠٠- **عالم السحر والشعوذة**، لـ د عمر سليمان الأشقر، دار النفائس عمان، ط٣، ت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

١٠١- **فتاوى صديق المسمى دليل الطالب**، دار الداعي، ط١، ت١٤٢٢هـ.

١٠٢- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لـ صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية بيروت، ط١ ت١٤١٢هـ١٩٩٢م.

١٠٣-**فتح القدير**، لـ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، ط١، ت١٤١٢هـ١٩٩٢م.

١٠٤-**الفرق بين الفرق**، لـ عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا القاهرة.

١٠٥-**الفقه على المذاهب الأربعة**، لـ عبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ت١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠٦-**في ظلال القرآن**، لـ سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط٨، ت١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

١٠٧-**القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب**، لـ عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ت١٤٠١هـ/١٩٩٨م.

١٠٨-**القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة**، لـ د عبد الرحمن المحمود، ط٢، ت ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٠٩-**قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، لـ صديق حسن خان، تحقيق: د. عاصم القريوتي، عالم الكتب، ط١، ت١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

١١٠-**الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر**، لـ أحمد المعصراوي، ط دار الإمام الشاطبي، ت١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١١١-**كشاف القناع**، لـ البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتاب، ت١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١١٢-**كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار**، المنسوب لابن تيمية، تحقيق: د. علي بن علي الحربي، مطابع دار الطيبة.

١١٣-**الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، لـ ابن رشد، تحقيق محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة المربية، ط١، ت١٩٩٨م.

١١٤-**الكفاية في علم الدراية**، للخطيب البغدادي.

١١٥-**اللباب في في علوم الكتاب**، لـ ابن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١١٦-**لقط العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان**، لـ صديق حسن خان، مطبعة الجوائب بتركيا، ت١٢٩٦هـ.

١١٧-**اللمع في الرد على أهل أهل الزيغ والبدع**، لـ أبي الحسن الأشعري تحقيق حموده غرابه، مطبعة مصر، ت١٩٥٥م.

١١٨-**مباحث في علوم القرآن**، لـ مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١١، ت٢٠٠٠م.

١١٩-**مجلة الأمة**، العدد [٣٧].

١٢٠-**مجلة الجامعة الإسلامية** بغزة العدد الثاني (بحث أفعال العباد عند الفرق الإسلامية، لـ د سعد عبد الله عاشور).

١٢١-**مجلة الجامعة الإسلامية**، بالمدينة المنورة، العدد (١٣) بحث: اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن، لـ د صالح الوهيبي.

١٢٢-**مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد ٤٩ سنة ٢٠٠٢، جامعة الكويت.

١٢٣-**مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء القاهرة، ط٣، ت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٢٤-**المجموع شرح المهذب**، لـ النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة، ط، ت.

١٢٥-**محاسن التأويل**، لـ محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ط١، ت١٣٧٦هـ١٩٥٧م.

١٢٦-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لـ لابن عطية، تحقيق: الرحالة الفاروق وإخوانه، دار الخير بيروت (وزارة الأوقاف القطرية) ط٢، ت ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

١٢٧-**المحلى**، لابن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، ت ١٣٤٧هـ.

١٢٨-**مذاهب وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، لـ د غالب العواجي، المكتبة العصرية الذهبية جدة، ط٤، ت١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

١٢٩-**مستدرك الحاكم،** إشراف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، ط١، ت١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٣٠-**المسلمون في الهند،** لـ أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، ط١، ت١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١٣١-**مسند الإمام أحمد،** تحقيق: شعيب الأرنؤط وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ت١٤٢١هـ١٠٠١م.

١٣٢-**مشارق أنوار العقول،** لـ عبد الله بن حميد السالمي، تعليق: أحمد الخليلي، دار الجيل بيروت، ط١، ت١٤٠٩هـ١٩٨٥م.

١٣٣-**المعتمد في الفقه الشافعي،** لـ د. محمد الزحيلي، دار القلم دمشق، ط٣، ت١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٣٤-**معجم البلدان،** لـ ياقوت الحموي، دار صادر، ط١، ت١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٣٥-**معجم الطبراني الصغير**، دار الكتب العلمية، ط١، ت١٤٠٣-١٩٩٣م.

١٣٦-**معجم الطبراني الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.

١٣٧-**معرفة القراء الكبار**، لـ للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: د. طيار قولاج، سلسلة عيون التراث الاسلامي تركيا، ت١٤١٦هـ١٩٩٥م.

١٣٨-**مغني المحتاج شرح المنهاج،** لـ محمد بن الخطيب الشربيني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة بيروت، ط١، ص١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٣٩-**المغني،** لابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ط٣، ت١٤١٧هـ١٩٩٧م.

١٤٠-**مقدمات في علم القراءات،** لـ د محمد أحمد مفلح وآخرين، دار إعمار عمان، ط١، ت١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤١-**مقدمة في أصول التفسير،** لـ لابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، ط٢، ت١٣٩٢هـ١٩٧٢م.

١٤٢-**الملل والنحل**، لـ أبي الفتح الشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ت١٤١٣هـ١٩٩٢م.

١٤٣-**منار السبيل في شرح الدليل**، لـ إبراهيم بن ضويان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٤٤-**مناهل العرفان في علوم القرآن**، لـ محمد عبد العظيم الزرقاني، صححه أمين الكردي، دار إحياء التراث، ط٢.

١٤٥-**المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من الشاطبية**، لـ خالد العلمي، دار الزمان المدينة المنورة، ط١، ت١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٤٦-**منح الجليل على شرح مختصر خليل**، لـ محمد عليش، دار صادر.

١٤٧-**منهاج الطالبين وعمدة المفتين**، دار المنهاج، ط٣، ت١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

١٤٨-**منهج الأشاعرة في العقيدة**، لـ د سفر الحوالي، مكتبة العلم القاهرة.

١٤٩-**المهذب في علم أصول الفقه المقارن**، لـ د عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ت١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

١٥٠-**مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، لـ محمد بن محمد المغربي الشهير بالحطاب الرعيني، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب العلمية.

١٥١-**الموسوعة لميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة**، لـ د. حامد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ت١٤٢٠هـ.

١٥٢-**الموضوعات**، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ط١، ت١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

١٥٣-**الناسخ والمنسوخ في القرآن**، لـ لابن حزم، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

١٥٤-**النبأ العظيم**، لـ محمد عبد الله دراز، دار الثقافة قطر، ت١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٥٥-**النبوات**، لـ ابن تيمية، تحقيق: د عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، ط١، ت١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٥٦-**نزهة الخواطر**، لـ عبد الحي بن فخر الدين الحسني، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ت١٣٨٢هـ١٩٦٢م.

١٥٧-**النشر في القراءات العشر**، لـ لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت.

١٥٨-**نشوة السكران من صهباء تذكر الغزلان**، لـ صديق حسن خان، المطبعة الرحمانية، ط١، ت١٣٣٨هـ/١٩٢٠م.

١٥٩-**النهاية في غريب الحديث**، لـ ابن الأثير، تحقيق: أحمد الخراط، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ت١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

١٦٠-**نواب صديق حسن خان**، د. رضية حامد، بهوبال (بالأردية)، ط١، ت١٩٨٤م.

١٦١-**نواسخ القرآن**، لـ لابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط١، ت١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

١٦٢-**نيل الأوطار**، لـ الإمام الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي الدام، ط١، ت١٤٢٧هـ.

١٦٣-**نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر**، لـ محمد زبارة، المكتبة السلفية، ط١، ت١٣٥٠هـ.

١٦٤- **هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ ابن عتيق.**

١٦٥-**الهند الجديدة**، لـ سير تشاترجي، دار الفكر، ط١، ت١٩٥٥م.

١٦٦-**وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، لـ لابن خلكان، تحقيق: حسن عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ت١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٦٧- **يقظة أولي الاعتبار بذكر الجنة والنار**، لـ صديق حسن خان القنوجي، تحقيق إياد القيسي، دار ابن حزم بيروت، ط١، ت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ثانياً: المراجع التي أفدت منها:

١- **أثر إسلام أحد الزوجين في النكاح**، لـ د محمد عبد القادر أبو فارس، دار الوطن للنشر الرياض، ط١، ت١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٢- **أثر الأختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء**، لـ د مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ت١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣- **أحكام الداخل في الإسلام**، لـ سالم بن حمزة أمين مدني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤- **الإيمان**، لـ ابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٥، ت١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥- **البلغة في أصول اللغة**، لـ صديق حسن خان، مطبعة الجوائب بتركيا، ت١٢٩٦هـ.

٦- **تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند**، لـ مسعود الندوي، دار العربية بيروت.

٧- **التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة**، لـ محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد غياث الجنباز، دار عالم الكتب، ط٢، ت١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٨- **حقيقة السحر بين العلم والدجل**، لـ د محمد أمين سعيد الطاهر.

٩- **رسالة في حقيقة التأويل**، لـ عبد الرحمن المعلمي، تحقيق: جرير بن العربي، دار أطلس الخضراء، ط١، ت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٠- **زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم**، لـ د. هيفاء عثمان عباس فدا، دار القاهرة، ط١، ت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١١- **العلم الخفاق من علم الاشتقاق**، لـ صديق حسن خان، مطبعة الجوائب بتركيا ١٢٩٦هـ.

١٢- **مجلة التراث العربي** العدد ١١٢، ت١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مقال حروف الجر بين النيابة والتضمين.

١٣- **المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الاسلامية**، لـ د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١، ت١٤١٣هـ١٩٩٣م.

١٤- **مقالات الإسلاميين**، لـ أبي الحسن الأشعري.

١٥- **موجز تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم**، لـ أبي الأعلى المودودي، دار الفكر بيروت، ط٢، ت١٣٨٦هـ١٩٦٧م.

خامساً: فهرس الموضوعات والعناوين